العَرْفُ النَّاشِرْ

في شَرْحِ وأدلّةِ فِقْهِ مَتنِ ابنِ عَاشِرْ

قِسْمُ
العَقِيدَةِ وَالتَّصَوُّفْ

تأليف
المختار بن العربي سُوسِين
الجزائري ثم الشنقيطي

دار ابن حزم

العَرْفُ النَّاشِرْ

في شَرْحِ وَأدِلَّةِ فِقْهِ مَتنِ ابنِ عَاشِرْ

بسم الله الرحمن الرحيم

العَرْفُ النَّاشِرُ

فِي شَرْحِ وَأَدِلَّةِ فِقْهِ مَتْنِ ابْنِ عَاشِرْ

قِسْمُ العَقِيدَة

تَأْلِيفُ

المختار بن العربي مؤمن

الجزائري ثم الشنقيطي

عفا الله تعالى عنه وعن والديه

والمسلمين آمين

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

ISBN 978–9959–854-96- 4

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم
بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ سماحة الوالد شيخنا العلامة الفقيه الأصولي النظار، المحدث اللغوي فخر الأمصار، محمد بن محفوظ بن المختار فال التاقنيتي الشنقيطي حفظه الله تعالى[1].

أبديتَ في العَرْفِ يا مُخْتَارُ إحْكَاما ... لا الهجرَ جئتَ بهِ كَلاًّ ولا الذاما
أبديتَ فيه أعاجيباً مسطَّرَةً ... وجئتَ فيه بما قد عَزَّ أَقْوَامَا
صَفَتْ مشَارِبُهُ إذْ لَيْسَ فِيهِ سِوَى ... أصلٌ وفرعٌ علَى الأصْلَينِ قَدْ قَامَا
مُوَشَّحاً بِتَعالِيق مُهَذَّبَة ... مقَرِّبَاتٍ إلى الأفهامِ إفْهَاما
آنَسْتَ فيهِ سُلُوكاً غَيْرَ مُنْحَرِفٍ ... وَشِمْتَ فِيهِ إلَى الإنصَاف إقْدَامَا
أَصْمَى مِنَ الْحقِّ قِسْطاً عَزَّ مَطْلَبُهُ ... بِنَاقِدٍ عَنْ سَوَاءِ الْقَصْدِ ما مَامَا
والنَّاسُ في شَأْنِ ذَا مَا بَيْنَ مُتَّبِع ... جَهْلاً هَوَاهُ وَمَنْ في غَيِّهِ هَامَا
وَزَانَه في مَجَالِ النَّقْل أنَّ لَهُ ... فِي كُلِّ مَا سَاق تَنْقيحاً وَإبْرَامَا
أَتَى بكَ الله مِنْ أَسْلافِنَا خَلَفاً ... رِضًى وَسَيْفاً عَلَى الأَعْدَاء صِمْصَامَا

---

(١) الإمام العَلَمُ، والمدرس بدار الحديث الواقعة بمسجد العباس (المعروف بمسجد الصمعة) وسط العاصمة الشنقيطية (نواكشوط موريتانيا)، معروف عند الطلاب بشيخ السوق؛ والشيخ من أعلام المسلمين وفقهائهم، وأئمة الإسلام ونبهائهم، قلما رأيت مثله في الأخلاق وسموها، والعلوم وتفهيمها، أكرمني الله بملازمته سنوات عدة في الحل والترحال فكنت أسعد الناس بصحبته، أمدَّ الله في عمره وعافانا الله وإياه من كل بلاء ورزقنا وإياه حسن الخاتمة آمين.

تَحْمِي حَرِيماً تَنَاسَى القومُ حُرْمَتَهُ ... وَاسْتَجْهَلُوهُ مَفَازاتٍ وَأَغْلاَمَا
مِنْ عِلْمِكَ الْجَمِّ والأَقوَامُ شَاهِدَةٌ ... ثَارَتْ بحوثٌ عَفَاهَا الجَهْلُ أَيَّامَا
هَذَا وَلا زَالَ منكَ الْفَيْضُ مُنْبَسِطاً ... تَرْعَى حِمَاه رِعَاءَ العِلْم أَعْوَامَا
عَلَيْكَ تَتْرَى أَيَادِي اللُّطْفِ مُوصَلَةً ... غَضًّا مِنَ الْعَيْشِ تَبْجِيلاً وإِكرَامَا
ثُمّ الصَّلاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا بَعَثَتْ ... سَوَاجِعُ الأَيْكِ لِلْمُشْتَاقِ أَسْقَامَا

تقريظ شيخنا العلامة محمد عمر حَوِيَة

مدير مركز الدّراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، أطال الله عمره في الصّالحات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبينا الكريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فقد قرأت العرف الناشر شرح وأدلة متن ابن عاشر لأخينا الفاضل أبي سليمان المختار بن العربي مؤمن الجزائري ثم الشنقيطي.

قرأت الكتاب كلّه بأقسامه الثلاثة، قسم العقائد، وقسم الفقه، وقسم التصوف، فألفيته شرحه شرحاً ممتازاً، مدعمًّا بالأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين، وبالنقول الصحيحة الواضحة، عن الأئمة الأعلام: كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، وغيرهم من أئمة الهدى.

وقد كان ثقة في النّقل والتّوثيق، بيَّن زيف العقائد المنحرفة بأدلّة ومناقشات علمية، من غير قذع ولا تحامل على المخالف.

أمّا قسم الأحكام الفقهية فقد شرحه شرحاً لم أر من سبقه إلى مثله

من المتقدمين، ولا من المعاصرين من جودة الأسلوب، وحسن الصياغة وتلخيص الأحكام، وتقريبها للأفهام.

وقارئ هذا القسم من الكتاب لا يملّ من القراءة لما بثّه المؤلف بين ثناياه من الفوائد والطّرائف والنّكات الأدبية.

كما أنّ المؤلف وفّق في شرح قسم التّصوف فذكر تاريخ الصّوفية وبدايتها وتطورها منذ بدأت إلى يومنا هذا، ونقدها نقداً صحيحاً، ونقل كلام العلماء المحققين من أهل العلم...

وقد أفدت ولله الحمد من كتاب العرف الناشر، فوائد جمَّة أجزى الله لمؤلفه المثوبة، والحقيقة أنه قد أخذ القوس باريها.

يَا بَارِيَ القَوْسِ بَرْياً ليسَ يُحْسِنُهُ أتعبتَ نَفْسَكَ أَعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا

وكتبه بالمدينة المنورة، الدّكتور محمد عمر حوية، مدير مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وعضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً.

حرر في ٢١/١/١٤٢٩هـ

قسم العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله وسلّم على البشير النذير، والسراج المنير سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة بين يدي الكتاب

الحمد لله ربّ العالمين الرّحمن الرّحيم مالك يوم الدّين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله المعبود الحق المبين، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأشهد أنّ محمداً عبد الله ورسوله الصادق الأمين، والنّاشر لكلمة التوحيد بصدق ويقين، وعلى آله وصحبه البررة الكرام والتابعين لهم من الأخيار على مرّ العصور وفي سائر الأمصار.

ثمّ أما بعد: فإنّي لمّا منَّ الله تعالى: عليّ بواسع كرمه وأتممت شرح فقه منظومة **ابن عاشر** واطّلع عليه جِلّة من مشايخنا الأكابر، وإخوة من طلبة العلم الأكارم، فكان الشكر منهم موصولاً، والثناء والدعاء معسولاً، إلاّ أنّ بعضهم عتب عليّ وكان عتبه مقبولاً، أنني لم أشرح نظم العقيدة والتصوف، فبرّرت ذلك أنّني لست أهلاً لذلك، فما قبلوا دعواي، ولا رحموا شكواي، وعزموا عليّ أن أتمّ ما بدأت، ورغبوا إليّ بإسباغ الثّوب الذي لبست، وأنا أعلم ولست ناسياً ما ذكرته في مقدمة كتاب العَرف الناشر ـ في طبعته الأولى والتي لقيت بحمد الله انتشاراً لم يكن في الحسبان وذاك من صنع اللّطيف المنان، ومن ستر الكريم الواحد الدّيّان، أسأله أن يجعل عملي لوجهه الكريم خالصاً ـ أن الفقه شبه مسلّم بين المالكية شرقاً وغرباً، ولكنّ العقيدة اختلفت أنظار كثير من المتأخرين فيها عن المتقدّمين وصار فيها ما

فيها من التأويل، وكثرت الأهواء وتنازع أهل الدين الواحد فصاروا شيعاً وأحزاباً، والقرءان بينهم محفوظ، وهدي النبي ﷺ مسطور وملفوظ، وصار حال كثير منهم كما قال نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾[1]، وترك المتأخرون معتقد المتقدمين من سلف هذه الأمة، وسلكوا بنيات الطريق بدل الصراط السوي، على أن معظمهم كان من صالحي هذه الأمة، ولكن اشتبهت عليهم السبل مع اجتهادتهم وطول باعهم، فأخطأوا وهم مأجورون في ذلك، ولكن من ضل عن قصد، واتبع المخطئ بعد بيان الحق فقد ركب الأَسِنَّةَ، ومَالَ عن الكتاب والسنة.

ومع ذلك فسوف أستعين الله تعالى: متيمنا بقول نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2]، وذلك في توضيح ما أعتقد أنّه الدّليل الحقّ، والمنهج الصّدق، في شرح هذه الأبيات، ثم يكون ـ بحول الله تعالى: ـ بعد ذلك قد تمّ النّظم بياناً وتدليلاً، وبسطاً وتأصيلاً، والله الهادي للصواب، ونسأله الإخلاص في القول والعمل، ونعوذ به من الزلل والخطل، وماكان فيه من صواب فهو من الكريم الوهاب، ومن خطإ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله ﷺ منه بريئان، وأنا راجع عن كلّ خطإ صدر منّي وتبين لي بالأدلّة بطلانه، والله نسأل أن يتجاوز عنّا ويصفح، وكل أخ أن يستر وينصح، أولئك الذين إن وجدوا صالحاً عملوا به، وإن وجدوا خللا أصلحوا ونصحوا ودفنوا.

وكم من عائب قولاً سليماً وآفته من الفهم السقيم

(١) من الآية (٦١) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٨٨) من سورة هود.

مقدمة لكتاب الاعتقاد
معينة لقارئها على المراد

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يَقُولُ عَبْدُ الْوَاحِد ابنُ عَاشِرِ ... مُبْتَدِئاً بِاسْمِ الإِلَهِ الْقَادِرِ
أَلْحَمْدُ لله الَّذِي عَلَّمَنَا ... مِن الْعُلُومِ مَا بِهِ كَلَّفَنَا
صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدِ ... وَآلِه وَصَحْبِهِ وَالْمُقْتَدِي
وَبَعْدُ فَالْعَونُ مِن الله الْمَجِيدْ ... فِي نَظْمِ أَبْيَاتٍ لِلأُمِّيِّ تُفِيدْ
فِي عَقْدِ الآشْعَرِي وفِقْهِ مَالِكِ ... وَفِي طَرِيقَةِ الْجُنَيْدِ السَّالِكِ
وَحُكْمُنا الْعَقْلِي قَضِيَّةٌ بِلاَ ... وَقْفٍ عَلَى عَادَةٍ أَوْ وضْعِ جَلاَ
أَقْسامُ مُقْتَضاهُ بِالْحَصْرِ تُمازْ ... وهِيَ الْوجُوبُ اِلاستِحالَةُ الْجَوازْ
فَوَاجِبٌ لاَ يَقْبَلُ النَّفْيَ بِحالْ ... ومَا أَبَى الثُّبُوتَ عَقْلاً الْمُحَالْ
وجَائِزاً مَا قَبِلَ الأَمْرَيْنِ سِمْ ... لِلضَّرُورِيْ والنَّظَرِي كُلٌّ قُسِمْ
أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ كُلِّفَا ... مُمَكِّناً مِنْ نَظَرٍ أنْ يَعْرِفَا
اللهَ وَالرُّسُلَ بِالصِّفَاتِ ... مِمَّا عَلَيْهِ نَصَبَ الآيَاتِ
وكلُّ تكْليفٍ بِشرْطِ الْعَقْل ... مَعَ الْبُلُوغِ بِدمٍ أوْ حَمْلِ
أوْ بِمَنِيٍّ أو بِإِنْباتِ الشَّعَرِ ... أَوْ بِثَمانِ عَشْرَةٍ حَوْلاً ظَهَرْ

كتاب أمّ القواعد،
وما انطوت عليه من العقائد

يـجِـبُ لله الْـوُجُـودُ وَالْـقِـدَمْ ... كـذَا الْبَقَاء وَالْغِنَى الْمُطْلَقُ عَمْ
وَخُـلْـفُـهُ لِـخَـلْـقِـهِ بِـلاَ مِـثَـالْ ... وَوَحْـدَةُ الـذَّاتِ وَوَصْـفٍ وَالْـفِـعَـالْ
وَقُـدْرَةٌ إِرَادَةٌ عِـلْـمٌ حَـيَـاةْ ... سَـمْـعٌ كَـلاَمٌ بَـصَـرٌ ذِي وَاجِـبَـاتْ
وَيَـسْـتَـحِـيـلُ ضِـدُّ هَـذِهِ الـصِّـفـاتْ ... الـعَـدمُ والْـحُـدُوثُ ذَا لِـلْـحـادِثَـاتِ
كـذَاَ الْـفَـنَـا وَالاِفْـتِـقَـارُ عُـدَّه ... وَأَنْ يُـمَـاثِـلَ وَنَـفْـيُ الْـوحْـدَهْ
عَـجْـزٌ كَـرَاهَـةٌ وَجَـهْـلٌ ومـمَـاْت ... وَصَـمَـمٌ وَبَـكَـمٌ عَـمًى صُـمـات
يَـجُـوزُ فِي حَقِّهِ فِعْلُ الْـمُـمْـكِـنات ... بـأَسْـرِهَـا وَتَـرْكُـهَـا فِـي الْـعَـدَمَـاتْ
وُجُـودُهُ لَـهُ دَلِـيـلٌ قَـاطِـعْ ... حَـاجَـةُ كُـلِّ مُـحْـدَثٍ لِـلـصَّـانِـعْ
لَـوْ حَـدَثَـتْ لِـنَـفْـسِـهَـا الأَكْـوَانُ ... لاَجْـتَـمَـعَ الـتَّـسـاوي وَالـرُّجْـحَـانُ
وَذَا مَـحَـالٌ وَحُـدُوثُ الـعَـالَـمِ ... مِـنْ حَـدَثِ الأَعْـرَاضِ مَـعْ تَـلاَزُمِ
لَـوْ لَـمْ يَـكُ الْـقِـدَمُ وَصْـفَـهُ لَـزِمَ ... حُـدُوثُـهُ دَوْرٌ تَـسَـلْـسُـلٌ حُـتِـمْ
لَـوْ أَمْـكَـنَ الْـفَـنَـاءُ لاَنْـتَـفَـى الْـقِـدَم ... لَـوْ مَـاثَـلَ الْـخَـلْـقَ حُـدُوثُـهُ انْـحَـتَـمْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ وَصْفُ الْغِنَى له افْتَقَرْ ... لَـوْ لَـمْ يَـكُـنْ بِـوَاحِـدٍ لَـمَـا قَـدَرْ
لَـوْ لَـمْ يَـكُـنْ حَـيًّـاً مُـرِيـداً عَـالِـمـا ... وَقَـادِراً لَـمَـا رَأَيْـتَ عَـالَـمـاً
وَالـتَّـالِ فِي الـسِّـتِّ الْـقَـضـايَـا بَـاطِـل ... قَـطْـعـاً مُـقَـدَّمٌ إِذاً مُـمـاثِـلُ
وَالـسَّـمْـعُ وَالْـبَـصَـرُ وَالْـكَـلاَمُ ... بِـالـنَّـقْـلِ مَـعْ كَـمَـالِـهِ تُـرَامُ

لَوْ اسْتَحَالَ مُمْكِنٌ، أَوْ وَجَبَا ... قَلْبَ الْحَقَائِقِ لُزُوماً أَوْجَبَا

يَجِبُ لِلرُّسْلِ الْكِرامِ الصِّدْقُ ... أَمانَةٌ تَبْلِيغُهُمْ يَحِقُّ

مُحالٌ الْكَذِبُ وَالْمَنْهِيُّ ... كَعَدَمِ التَّبْلِيغِ يا ذَكِيُّ

يَجُوزُ فِي حَقِّهِمُ كُلُّ عَرَضْ ... لَيْسَ مُؤَدِّياً لِنَقْصٍ كالْمَرَضْ

لَوْ لَمْ يَكُونُوا صَادِقِينَ لَلَزِمْ ... أَنْ يَكْذِبَ الإِلَهُ فِي تَصْدِيقِهِمْ

إِذْ مُعْجِزَاتُهُمْ كَقَوْلِهِ وَبَرّْ ... صَدَقَ هَذَا الْعَبْدُ فِي كُلِّ خَبَرْ

لَوِ انْتَفَى التَّبْلِيغُ أَو خَانُوا حُتِمْ ... أَنْ يُقْلَبَ الْمَنْهِيُّ طَاعَةً لَهُمْ

جَوَازُ الأَعْرَاضِ عَلَيْهِمْ حُجَّتُهْ ... وُقُوعُهَا بِهِمْ تَسَلٍّ حِكْمَتُهْ

وَقَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللهُ ... مُحَمَّدٌ أَرْسَلَهُ الإِلَهُ

يَجْمَعُ كُلَّ هَذِهِ الْمَعانِي ... كانَتْ لِذَا عَلاَمَةَ الإِيمان

وَهِيَ أَفْضَلُ وُجُوهِ الذِّكْرِ ... فَاشْغَلْ بِها الْعُمْر تَفُزْ بِالذُّخْر

فَضْلٌ وَطَاعَةُ الْجَوارِحِ الْجَمِيعْ ... قَوْلاً وَفِعْلاً هُو الاسْلامُ الرَّفِيعْ

قَوَاعِدُ الإِسْلاَمِ خَمْسٌ وَاجِبَاتْ ... وَهْيَ الشَّهادَتَانِ شَرْطُ البَاقِياتْ

ثُمَّ الصَّلاةُ والزَّكاةُ فِي الْقِطاعْ ... والصَّوْمُ والحَجُّ عَلَى مَنِ اسْتَطاعْ

الايمانُ جَزْمٌ بِالإِلَهِ والْكُتُبْ ... والرُّسْلِ والأَمْلاكِ مَعْ بَعْثٍ قَرُبْ

وقَدَرٌ كَذَا صِرَاطٌ مِيزانْ ... حَوْضُ النَّبِيِّ جَنَّةٌ نِيرانْ

وأَمَّا الاِحسانُ فَقالَ مَنْ دَرَاهْ ... أَنْ تَعْبدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهْ

إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ إِنَّهُ يَرَاكْ ... والدِّينُ ذِي الثَّلاَثُ خُذْ أَقوَى عُرَاكْ

قسم العقيدة

- شرح مقدمة الناظم.
- تعريف الناظم بنفسه ودأب العلماء على ذلك لماذا؟
- تعريف العقيدة في اللغة والاصطلاح.
- ترجمة للإمام علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله تعالى.
- مراحل في طريق اعتقاده.
- ترجمة للإمام مالك رحمه الله تعالى.
- ترجمة للإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى.
- مقدمة لكتاب الاعتقاد.
- الحكم العقلي وأقسامه.
- كلام نفيس للمقريزي حول سبب انتشار عقيدة الاعتزال، وأثرها في معتقدات أهل السنة والجماعة.
- اعتقاد أئمة الدّين أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى.
- ما يجب على المكلف اعتقاده.
- شروط التكليف.

- أطوار انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة.
- وقفة مع أعلام من هذه الأمة خاضوا في علم الكلام وندموا على ذلك.
- كتاب أم القواعد، وما انطوت عليه من العقائد.
- وقفة تأمل مع الذرة.
- النُّبُوَّات.
- عدد الرّسل والأنبياء
- مما يجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام
- ما يجوز في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- الحكمة في جواز وقوع الأعراض على الرسل.
- فضل لا إله إلا الله.
- دعائم الدين الثلاث.
- أركان الإيمان.

شرح مقدمة النّاظم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يَـقُـولُ عَـبْـدُ الْـوَاحِـدِ بْـنُ عَـاشِـرِ مُـبْـتَـدِئـاً بِـاسْـمِ الإِلَـهِ الْـقَـادِرِ
أَلْـحَـمْـدُ لله الَّـذِي عَـلَّـمَـنَـا مِـنِ الْـعُـلُـومِ مَـا بِـهِ كَـلَّـفَـنَـا
صَـلَّـى وَسَـلَّـمَ عَـلَـى مُـحَـمَّـدِ وَآلِـه وَصَـحْـبِـهِ وَالْـمُـقْـتَـدِي

تعريف الناظم بنفسه ودأب العلماء والسر في ذلك:

بدأ الناظم رحمه الله تعالى، بالتعريف بنفسه، لتحصل الثقة بكتابه، لما عُلم عند العلماء قديماً وحديثاً، بأنّ الكتب المجهولة لا يوثق بها عادة، ولا يجوز العمل بها، قال ميارة رحمه الله تعالى: «قال الإمام شهاب الدّين القرافي رحمه الله في كتاب الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام: «تحرم الفتوى من الكتب الحديثة التصنيف، إذا لم يشتهر إعزاء ما فيها من النقول إلى الكتب المشهورة إلاّ أن يعلم أنّ مصنّفها ممن يُعتمد لصحة علمه والوثوق بعدالته، وكذا تحرم الفتوى من الكتب الغريبة التي تشتهر، حتى تتظافر عليها الخواطر ويعلم صحة ما فيها، وكذا تحرم من حواشي الكتب لعدم الوثوق بما فيها.

قال ابن فرحون رحمه الله تعالى: مراده إذا كانت الحواشي غريبة النّقل أمّا إذا كان ما فيها موجوداً في الأمهات أو منسوباً إلى محله وهو

بخط من يوثق به فلا فرق بينها وبين التصانيف اهـ[1].

وقال بعضهم[2]: ولا تجوز الفتوى من ظاهر الكتب المطلقة كالرسالة ونحوها، لمجرد النظر من غير قراءة لجهله بالمطلق منها والمقيد، إلا أن يكون أخذها عن شيخ عارف بذلك، ولا من التقارير المطرّرة[3] عن المشايخ قال زروق رحمه الله تعالى: «كما لابن عمر ـ الأنفاسي ـ والجزولي وما في معناهما، ومن أفتى بذلك أُدِّب» اهـ.

ويقول المقري رحمه الله تعالى: الذي يذكر أنّ النّاس «استباحوا النقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسبوا ظواهر ما فيها لأمّهاتها ... ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف، وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب لا يدرى ما زيد فيها وما نقص منها لعدم تصحيحها وقلّة الكشف فصارت تؤخذ من كتب المسخوطين كالأخذ من المرضيين، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين، ولم يكن هذا فيمن قبلنا حتى تركوا كتب البرادعي على نبلها، ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التهذيب...» اهـ[4].

وقد تأكدنا من معرفة مؤلف الكتاب، وسبقت ترجمته في أول مقدمة الكتاب.

---

(١) الدر الثمين والمورد المعين لميارة (٦) ط/ المكتبة العصرية.

(٢) إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين لعلي بن عبد الصادق الطرابلسي (ص٣٦).

(٣) المطررة: مأخوذة من الطرة قال ابن منظور: طرة الثوب موضع هدبه وهي حاشيته التي لا هدب لها، وطرة الأرض حاشيتها وطرة كل شيء حرفه لسان العرب (٣/٥٨٠) أما في اصطلاح المؤلفين: فهي تطلق على كل شرح يقتصر على المسائل المستغلقة في النص.

(٤) نيل الابتهاج (٢٤٧) وتعريف الخلف (١/٩٧) نقلاً عن محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي للدكتور عمر الجيدي. وانظر الكتب التي حذر منها العلماء ومن الفتاوى منها المصدر السابق (١٠٣) وانظر نظم البوطليحية لمحمد النابغة بن عمر الغلاوي المتوفى سنة ١٢٤٥هـ)، (ص٦٥ فما بعدها) تحقيق يحيى ابن البراء ط/ المكتبة المكية ١٤٢٢ ـ ٢٠٠٢.

(قوله: **يقول**) القول وفروعه يتعدى إلى مفعول واحد فإن وقعت بعده جملة محكية فهي في موضع مفعول والمحكي به هنا قوله (**الحمد لله**) إلى آخر النظم، ولما كان نظم الكتاب وتأليفه أمراً ذا بال ابتدأه بالبسملة فقال: (**مبتدئاً باسم الإله**) لحديث ـ، «**كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم**[1]»، (**القادر**) من له القدرة وهو صفة الإله، إشارة منه ـ والله أعلم ـ إلى أنه يستعين باسمه ليعطيه القدرة على إتمام ما تمناه من نسج هذه المنظومة المباركة فكان له ما تمنى ـ نسأله من فضله.

(**الحمد لله**) معنى الحمد كما قال العلماء: هو الثناء بالجميل الاختياري على وجه التبجيل والتعظيم للمحمود بالكمال محبة وتعظيماً، فإن وصفه بالكمال لا محبة ولا تعظيماً، ولكن خوفاً ورهبة سمي ذلك مدحاً لا حمداً، وتعبير الناظم بالمصدر وهو الحمد أبلغ في الدلالة على الثبوت والاستمرار وكأنه يقول أحمده حمداً دائماً مستمراً لا ينقطع.

وقوله (**الذي علّمنا من العُلوم**) الذي بدل من اسم الجلالة و(ما) من

---

(١) قال الإمام النووي: رُوِّينا في «سنن أبي داود»، و«ابن ماجه»، و«مسند أبي عوانة الإسفراييني» المخرَّج على «صحيح مسلم» رحمهم الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع**». وفي رواية: «**بحمد الله**». وفي رواية: «**بالحمد فهو أقطع**». وفي رواية: «**كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم**». وفي رواية: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**» روينا هذه الألفاظ كلَّها في كتاب «الأربعين» للحافظ عبد القادر الرهاوي، وهو حديث حسن، وقد روي موصولاً كما ذكرنا، وروي مرسلاً، ورواية الموصول جيدة الإسناد، وإذا روي الحديث موصولاً ومرسلاً، فالحكم للاتصال عند جمهور العلماء، لأنها زيادة ثقة، وهي مقبولة عند الجماهير، وضعفه الألباني في إرواء الغليل، ومعنى «ذي بال»: أي: له حال يهتمّ به، ومعنى أقطع: أي ناقصٌ قليل البركة، وأجذم: بمعناه، وهوَ بالذال المعجمة وبالجيم. قال العلماء: فيستحب البداءة بالحمد لله لكل مصنف، ودارس، ومدرس، وخطيب، وخاطب، وبين يدي سائر الأمور المهمة. قال الشافعي رحمه الله: أحبُّ أن يقدِّم المرءُ بين يدي خطبته وكل أمر طلبه: حمد الله تعالى، والثناء عليه سبحانه وتعالى، والصلاة على رسول الله ﷺ.

قوله (ما به كلّفنا) مفعول ثانٍ لعلّم والذي كلّفنا به من العلوم هوالعلم الواجب على الأعيان أي على كلّ مكلف وهو: عِلْمُ الْمُكَلَّفِ مَا لاَ يَتَأَتَّى لَهُ تَأْدِيَةُ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ إِلاَّ بِهِ.

مثال ذلك كيفية الوضوء والصلاة والصيام والزكاة إن كان له مال والحجّ إن كان مستطيعاً، وكذا ما يتعلّق بالمعتقدات في حقّه تعالى، وفي حقّ رسله عليهم الصلاة والسلام، لا سيما في وقت عمّ فيه الجهل بأبسط المعتقدات، وفشا التّعليم المنحرف وكثرت المذاهب الهدّامة، وعمّ البلاء الأرض وطار في الأجواء، فلذلك ينبغي على أهل الإسلام أن يتعاونوا على إقامة المنهج الحقّ والسّبيل الأقوم، وإلاّ صاروا لا سمح الله أثراً بعد عين.

وهل يكفي في ذلك التّقليد وهو اتباع الغير من غير دليل، أو لا يكفي إلاّ العلم . . .، في ذلك خلافٌ، والصحيح الاكتفاء بالعلم، ولم يطلب النّبي ﷺ من الجارية أكثر من قوله: «**أين الله؟**» فأشارت إلى السماء، قال: «**ومن أنا؟**» فقالت: أنت رسول الله ﷺ[1].

ولذلك قال زروق رحمه الله تعالى: معلّقاً على عقيدة ابن أبي زيد: قد جمعت هذه العقيدة نحواً من مائة مسألة من مسائل الاعتقاد وأتى بها الشّيخ مسلّمة من غير برهان، اكتفاء بالمعاني على الاصطلاح، ولأن إيمان المقلد عنده صحيح، وهو مذهب جماعة من الأئمة، وادّعى بعضهم الإجماع عليه، وبعضهم الإجماع على عكسه، وعلى صحته (أي إيمان المقلّد) أئمة المذاهب الأربعة، والثوري والأوزاعي وكافّة أهل الظاهر، وكثير من المتكلّمين خلافاً لأكثرهم . . . اهـ[2].

وكذلك حكم البيع لمن يتعاطاه والقراض والشركة والإجارة ونحوها لمن يتعاطى ذلك، في زمن كَثُر فيه الحرام وكرع النّاس في مستنقع الرِّبا إلاّ من رحم الله تعالى، وفشت التّجارة كما أخبر النّبيّ ﷺ أنّ ذلك من أشراط

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢٢٦٧) باب ما يجوز من العتق في الرّقاب الواجبة، ومسلم (٥٣٧).

(٢) انظر شرح زروق على الرسالة (٧١ ط/دار الفكر).

الساعة[1]، فيجب على كلّ أحد تعلّم حكم ما يريد أن يفعله، وذلك للإجماع أنّه لا يجوز لأحد أن يقدم على أمرٍ حتى يعلم حكم الله فيه[2].

لكن يكفيه في غير العبادات تعلّم الحكم بوجه إجمالي فيبرئه من الجهل بأصل حكمه على قدر وسعه.

وعلى المسلم أن يتعلّم علم أمراض القلوب كالكبر والحسد والحقد ونحوها، لأنها مهلكات للمرء وإن كان عالماً بعلوم أخرى، وكم رأينا ممن ينتسب في معتقده لسلف الأمة، أو يزعم أنه من خيرة الصوفية، وأخلاقه تسيء للإسلام وأهله، بل حتى أهله، بل حتى والداه لم يسلما من إفكه وشرّه، ولذلك كان العلماء قديماً يحرصون على تلقين المبتدئين الأدب قبل كلّ شيء، وعقدوا في كتبهم أبواباً للسلوك والتزكية، ومنهم من سمّاه بالتصوف، ولا مشاحاة في الاصطلاح[3] إذا سلم المضمون، وإن كان مصطلح القرآن أولى من كلّ حادث، ولم يكن عند السلف الأوّل فرق بين هذه الفنون إذ الفقه في الدّين يعني علم كل ما يلزم تعلمه والعمل به فكانوا يؤتون العلم والإيمان معاً.

وما عدا ما ذكر فهو فرض كفاية يحمله من قام به، قال في الرّسالة: «وكذلك طلب العلم فريضة عامّة يحملها من قام بها إلاّ ما يلزم الرّجل في خاصة نفسه أي فهو فرض عين»[4].

والعلم هو الخاصية التي يتميّز بها الإنسان على سائر بهيمة الحيوان قال تعالى: ممتناً على بني البشر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾[5].

---

(١) رواه النسائي في سننه في كتاب البيوع باب التجارة.

(٢) كتاب العبادات للأخضري (٤).

(٣) انظر أصول التعامل مع المصطلحات للشيخ أبي الفتح البيانوني نشر في مجلة كلية الشريعة جامعة القرويين.

(٤) الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (٢٦٠) دار الغرب الإسلامي.

(٥) الآيات [١ ـ ٢ ـ ٣] من سورة الرحمن.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأبدانهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور

قوله (**صلّى وسلّم على محمّد**) يعود على الله تعالى، ولفظه وإن كان خبراً فالمراد الطلب أي اللّهمّ صلّ وسلّم، ومعنى الصّلاة على النبي ﷺ هو طلب الثّناء عليه من الله تعالى: إذا كان الطّالب بشراً، أمّا إن كانت من العليّ الأعلى سبحانه وتعالى: فهو ثناء الله تعالى: عليه في الملأ الأعلى، وهذا القول لأبي العالية، وقال بعض العلماء[1]: وأمّا من قال إنّ الصّلاة بمعنى الرحمة فهذا يضعفه قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[2] والأصل في الكلام التّأسيس وإلاّ صار المعنى أولئك عليهم رحمات من ربّهم ورحمة؛ وهذا لا يستقيم استقامة قويّة والصّحيح الأوّل.

قال ميارة رحمه الله تعالى: (فائدة):

قال الرّصّاع ناقلاً عن الشيخ أبي محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام لا يتوهم المصلّي على النّبي ﷺ أنّ صلاتنا عليه شفاعة منّا له عند الله تعالى: في زيادة رفعته، وبلوغ أمنيته فإنّ مثلنا لا يشفع لعظيم القدر عند ربّه، ولكن الله سبحانه أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا، وأنعم علينا، ولمّا أحسن إلينا رسول الله ﷺ إحساناً لم يحسن إلينا أحد كإحسانه، ولا أكرمنا مخلوق مثل إكرامه، وكنّا عاجزين عن مكافأة سيّد المرسلين وحبيب رب العالمين، أمرنا ربّنا سبحانه أن نرغب إليه بأن يصلي هو عليه لتكون صلاة مولانا عليه مكافأة له منه سبحانه لإحسانه إلينا وأفضاله علينا إذ لا إحسان أفضل من إحسانه إلاّ إحسان خالقه المنعم ببعثه رحمةً إلى خلقه ﷺ اهـ[3].

---

(١) انظر فتح الباري (٨/٣٩٢). وفي فضل الصلاة والسلام على سيد الأنام انظر: جلاء الأفهام لابن القيم.

(٢) من الآية [١٥٧] من سورة البقرة.

(٣) الدر الثمين (١٣) ط. المكتبة العصرية . بيروت.

(**وآله وصحبه والمقتدي**) آله قرابته ممن آمن به، وأهل بيته الطاهرين وأزواجه أمّهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين، والصّحب جمع صاحب وهو كلّ من آمن بالنّبيّ ﷺ والتقى به ولو لحظة ومات على ذلك، والمُقْتدِي المتبّع أي للنّبيّ ولشريعته.

قال النّاظم رحمه الله تعالى:

وَبَعْدُ فَالْعَونُ مِنْ اللهِ الْمَجِيدْ فِي نَظْمِ أَبْيَاتٍ لِلأُمِّيِّ تُفِيدْ
فِي عَقْدِ الأَشْعَرِي وفِقْهِ مَالِكِ وَفِي طَرِيقَةِ الْجُنَيْدِ السَّالِكِ

(**وبعدُ**) ظرف قطع عما يستحقه من الإضافة فبني على الضّمّ والمضاف إليه هنا ضمير ما تقدّم من الحمد والصّلاة والسّلام أو اسم ظاهر والتقدير، وبعد الحمد والصلاة المتقدمين أو بعد هذه الخطبة (**فالعون**) والإعانة الظهور على الأمر والتَّقوّي عليه وأتى بالفاء إمّا على توهم أمّا، وإمّا على تقديرها في الكلام.

(**من الله المجيد**) المجيد صفة لله وهو الذي انتهى في الشّرف وكمال الملك واتساعه.

(وقوله: **في نظم أبيات**) النّظم قال في القاموس: نظمه ينظمه نظماً ونظاماً جمعه، فالنّظم ضم الأبيات وجمع بعضها لبعض.

واصطلاحاً الكلام الموزون الذي قصد وزنه فارتبط لمعنى وقافية.

ووضع جمع القلّة في قوله: أبيات موضع جمع الكثرة وذلك كثير. والبيت هو أحد أركان القصيدة.

(**والأمي**) منسوب إلى الأمة الأمية التي هي على أصل ولادة أمهاتها ولم تتعلم الكتابة ولا قراءتها، وجملة: للأميّ تفيد صفة أبيات.

تعريف العقيدة في اللغة والاصطلاح:

وقوله (**في عقد**) أي في اعتقاد

والعقد: لغة: قال في المصباح المنير: عقدت الحبل عقداً من باب ضرب فانعقد والعقدة ما يمسكه ويوثقه، ... واعتقدت كذا وعقدت عليه القلب والضمير حتى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشّكّ اهـ، فالعقيدة فعيلة بمعنى مفعولة، لأن كل إنسان على وجه الأرض إلا وله عقيدة يعتقدها، ويُحِلُّها سويداء قلبه سواء كانت حقّاً أم باطلاً.

واصطلاحاً: هي المباحث المتعلّقة بالله من حيث وجودُه وإلهيتُه، وربوبيتُه، وصفاته وأسماؤه، والأنبياء ورسالاتهم، والكتب المنزلة، والسمعيات كالملائكة، والقدر، والبرزخ، والعالم الآخروي، وقد غلب هذا الاسم الأسماء الأخرى كالإيمان والتوحيد، وأصول الدين والفقه الأكبر، ونحوها[1].

وأمّا التّوحيد فقد عرّفه الباقلاني رحمه الله تعالى: بقوله: هو الإقرار بأنّه ثابت موجود، وإله واحد فرد معبود، ليس كمثله شيء».

وقال أيضاً: ومعنى ذلك: أنّه ليس معه إله سواه، ولا من يستحق العبادة إلاّ إيّاه[2].

وقال الباجوري: وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتّصديق بها ذاتاً وصفات وأفعالاً[3].

● ترجمة للإمام علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله تعالى:

(الأَشعري) بنقل حركة الهمزة للساكن قبلها للوزن، وهو الإمام علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب

---

(١) مناهج البحث في العقيدة الإسلامية (١٦) عبد الرحمن الزنيدي ط/ دار إشبيليا بتصرف يسير.

(٢) الإنصاف للباقلاني (ص٣٤).

(٣) تحفة المريد للباجوري (ص١٠).

رسول الله ﷺ، وكنيته أبو الحسن، والأشعريّ نسبة إلى أشعر قبيلة مشهورة باليمن من ولد سبأ، والأشعر اسمه: نَبْتُ بن أُدَد[1]، قال ابن الكلبي[2]: إنما سمي نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ: الأشعر، لأنّ أمه ولدته وهو أشعر، والشّعر على كلّ شيء منه»[3] اهـ، ولد أبو الحسن الأشعري بالبصرة سنة ستين ومائتين من الهجرة (٢٦٠هـ) وسكن بغداد وتوفي سنة أربع وثلاثمائة من الهجرة على الأرجح[4]. وهو مالكي المذهب إليه تنسب جماعة الأشاعرة ويلقبون أيضاً الأشعرية.

مراحل في طريق اعتقاده:

مرَّ الأشعري رحمه الله في اعتقاده بعدّة مراحل:

الأولى: **المرحلة الاعتزالية**، وكان سبب هذه المرحلة ملازمته لشيخه أبي علي الجُبَّائي زوج أمه واستمرّ على الاعتزال إلى سنّ الأربعين ثمّ فارقه لمّا لم يجد إجابات كافية في مسألة الصّلاح والأصلح على الله تعالى، وقيل إنه رأى النّبي ﷺ مناماً وأمره بأن يروي العقائد المروية عنه لأنّها الحقّ ولهذا اعتمد على الأدلّة النقلية في تقرير العقائد[5].

ثمّ انتقل إلى المرحلة الكُلَّابِيَّة وذلك بعد أن اختفى مدة متحيراً،

---

(١) تاريخ بغداد (٣٤٦/١١) ط/دار الكتاب العربي بدون تاريخ، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر (٣٤ ـ ٣٥) دار الكتاب العربي بيروت ط/٤، ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤م.

(٢) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي كان علامة في النسب له كتاب الجمهرة، لكنه رافضي انظر سير أعلام النبلاء (١٠١/١٠) وميزان الاعتدال (٣٠٤/٤) كلاهما للذهبي.

(٣) الأنساب للسمعاني (٢٦٦/١).

(٤) تاريخ بغداد (٣٤٧/١١) وتبيين كذب المفتري (٥٦).

(٥) انظر تبيين كذب المفتري (٤٠ ـ ٤١) وطبقات الشافعية الكبرى (٢٤٦/٢).

وطريقة ابن كُلَّاب جاءت في زمن يتمثل فيه اعتقاد أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات كلّها الذاتية والفعلية، والجهمية[1] ينكرونها، فجاء ابن كلاب وأثبت الصفات الذاتية ونفى ما يتعلّق منها بالمشيئة، فلذلك قرّر الأشعري هذه العقيدة، وقد يمثل هذه المرحلة كتابه اللّمع في الرّد على أهل الزيغ والبدع.

ثم **المرحلة السنية**: ويمثلها كتابه **الإبَانَة** الذي بيَّن في مقدِّمته مؤلفه أبو الحسن الأشعري أنه راجِعٌ عمَّا كان عليه من الاعتقاد الفاسد إلى ما عليه الإمام أحمد بن حنبل، وكذلك تظهر عقيدته في رسالته لأهل الثغر، ومقالات الإسلاميين وكتبه والحمد لله مطبوعة[2].

ويكفي في إثبات الإبانة أنَّ ابن عساكر أثبته في كتابه تبيين كذب المفتري، ونسبه إلى الأشعري، كما ألّف ابن درباس رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري وأثبته فيها[3].

وقد قال شيخنا العلامة محمّد سالم ولد عدود الشنقيطي ناظماً ذلك في مقدمة نظمه لمختصر سيدي خليل:

ولستُ ذَاكِراً سوى المُتَّفَقِ ... عليه من قبلِ نُشُوءِ الفِرَقِ
ممّا إليه الأشعريُّ قد رجعْ ... متّبعا أحمدَ نِعْمَ المُتَّبَعْ

(وفقه مالك) الفقه: في اللّغة: الفهم.

اصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.

---

(١) الجهمية: انظر طبقات الشافعيين لابن كثير (٢١٠/١) وهم أتباع الجهم بن صفوان الذي قال: بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات لها، وزعم أن الإيمان هو المعرفة فقط وأن الكفر هو الجهل به، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان. انظر مقالات الإسلاميين (٣٣٨/١)، الفرق بين الفرق ص(٢١١).

(٢) انظر منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة (٢١/١ ـ ٢٢) خالد محمد نور.

(٣) في مقدمة كتابه.

ترجمة للإمام مالك رحمه الله تعالى:

هو مالك بن أنس[1] بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري المدني[2]، ولد عام ٩٣هـ، على أشهر الأقوال، وقيل ٩٤، وقيل ٩٦، وقيل غير ذلك. وتوفي سنة ١٧٩هـ.

وأمّه العالية بنت شريك الأزدية، نشأ في بيت علم وصلاح، فأبوه أنس كان عالماً فقيهاً، وعمّاه: ربيع، ونافع، كانا عالمين محدثين، وجدّه مالك كان من كبار التّابعين، وجِلّة فقائهم وعلمائهم يروي عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله رضي الله عنهم في آخرين.

كان رحمه الله تعالى من أحسن النّاس خلقاً، وأرجحهم عقلاً، وألطفهم معشراً، قال فيه ابن المبارك رحمه الله تعالى: ـ وما أدراكم ما ابن المبارك ـ قولاً جميلاً ينبئ عن مكانته في نفوس الآخرين:

صموتٌ إذا ما الصَّمت زيَّن أهلَه ... وفتَّاقُ أبكارِ الكلام المُخَتَّم
وَعَى مَا وَعَى القرآنُ من كلِّ حكمة ... وسِيطَتْ له الآداب باللَّحمِ والدَّمِ[3]

---

(١) انظر ترجمته الزكية بتوسع في: ترتيب المدارك للقاضي عياض، والانتقاء لابن عبدالبر، ومناقب مالك للزواوي، وسير أعلام النبلاء وغيرهم كثير ممن ترجم له، ولا تنسى كتاب محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي للدكتور عمر الجيدي فهو من الكتب المفيدة في ترجمة مالك وسيرة مذهبه في المغرب الإسلامي (ص١٠). انظر الانتقاء لابن عبدالبر (١٠)، والمدارك لعياض (١/١٠٤).

(٢) الديباج المذهب للعلامة بابا التنبكتي (١٧) والمصدرين السابقين.

(٣) سيطت: أي اختلطت انظر البيتين في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ضمن ترجمة الإمام (٨/١٣٤).
انظر كتاب إضاءة الحالك من ألفاظ السالك على موطإ مالك ص (١٣ ـ ١٩)، ورجوع الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح عن تقديم.

عاش في المدينة، وتعلّم بها ومات بها فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأجزل مثوبته، تجاوز القنطرة، فقد روى عنه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، وكتابه أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى، وعلى خلاف في الرّتبة بعد الصحيحين، وهل هما إلاّ منه ومن أمثاله[1].

قال أبو طالب المكي رحمه الله تعالى: كان مالك أبعدَ النّاس من مذاهب المتكلّمين، وأشدَّهم بغضا للعراقيين (أي لمذهب المتكلمين منهم)، وألزمَهم لسنة السالفين من الصّحابة والتّابعين.

وقد زعم بعض الغالين: أنّ والد الإمام مالك لمّا دخل على زوجه ليلة بنائه بها لم يعجبه جمالها، فقالت له: لعلّ الخيرَ يكون كامنا في الشر، فخرج إلى الآفاق في الغزو ـ بعد أن أصاب منها ـ وهجر زوجه ولم يعد إلاّ بعد سبعة عشر عاماً فوجد غلاماً يحدّث في مسجد النّبيّ ﷺ فأعجب به، فسأل فأخبر أنّه ولد فلان، فرجع إلى البيت .. إلخ القصة المختلقة، وبعضهم يقول إنه لمّا أراد الدّخول إلى بيته خرج له شاب فنازعه الدخول إلى بيته، فلما سمعت أمّه المشاجرة خرجت فقالت: هذا والدك يا مالك، وكلّها قصص مختلقة، والذي يظهر أنّ الذي نسج خيوطها بعض المتعصبين للمذهب، ومالك في غِنًى عن هذه الافتراآت، فرائحة المِسْكِ التي كانت تعطّر مجلس تحديثه عن رسول الله ﷺ ملأت بطيب ذكره وحسن الثناء عليه الآفاق، إلى يوم الدّين إن شاء الله رب العالمين، وكفاه كتاب الموطأ كرامة سائرة.

قال عنه ابن المبارك رحمه الله تعالى فيما حدّث عنه نُعيم بن حمّاد قال: سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت أحداً ارتفع مثل مالك ليس له كثير صلاة ولا صيام إلاّ أن تكون له سريرة، قال الذهبي: قلت: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله»[2].

---

(١) صحيح البخاري في الصحة عن موطأ مالك. انظره تستفد. ط/دار البشائر الإسلامية.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ترجمة مالك (٨/٤٩).

وطريقة: الطريقة: مأخوذة من الطريق وهو تعبير عن ما يسلكه الصوفية.

ترجمة للإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى:

هو الإمام الشّهير الجليل أبو القاسم الجنيد بن محمّد سيّد الصّوفية علماً وعملاً وإمامهم، وأصله من نهاوند ـ مثلث النون الأولى مفتوح الهاء بعدها ألف ثم واو مفتوحة ثم نون ساكنة ثم دال مهملة ـ قال في القاموس: بلد من بلاد الجبل جنوبي هَمْذَان وكان فقيهاً على مذهب أبي ثور، صحب السَّريَّ والمُحاسبي ومحمد بن علي القصاب توفي رحمه الله تعالى: سنة سبعٍ وتسعين ومائتين.

من كلامه رحمه الله تعالى: الطّريق إلى الله تعالى: مسدود على خلقه إلاّ على المقتفين آثار رسول الله ﷺ ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لم يقتد به في هذا الأمر، لأنّ عِلْمَنَا مُقَيَّد بالكتاب والسنة. اهـ.

تعليق: فأين المتصوفة الذين يقفون اليوم عند الكتاب والسنة، ويقدمونهما على الأهواء والشهوات؟، إلاّ من رحم الله تعالى، لقد رأينا أصنافاً كثيرة تلبس التّصوف شبكة لصيد الحطام، وقليل من أولئك الذي عرف تزكية النّفس.

وقال رحمه الله تعالى: «إنّي لتَخْطُرُ ببالي النّكتة فلا أقبلها إلاّ بشاهدي عدلٍ من الكتاب والسنة».

ولقد رأينا جماعات تنسب للدّعوة والزّهد قد قامت جلّ حلقاتها على المنامات والرؤى.

توفي رحمه الله تعالى: سنة سبعٍ وتسعين ومائتين.

وحاصل البيتين أنّ النّاظم طلب من الله أن يعينه على نظم أبيات تنفع الأمّيّ قراءتها، وتُفهم معانيها لاشتمالها على ما يجب عليه تعلّمه، ولا يسعه تركه من العقائد والفقه.

مقدّمة لكتاب الاعتقاد
معينة لقارئها على المراد

وَحكْمُنا الْعَقْلي قَضِيَّةٌ بِلاَ وَقْفٍ عَلَى عَادَةٍ أَوْ وضْعٍ جَلاَ

شرح غريب المتن:

الحكم: لغة ـ القضاء وأصله المنع. يقال حَكَمتُ عليه بكذا إذا منعته من خلافه فلم يَقدر على الخروج من ذلك، ومنه قول الشّاعر جرير:

أَبَنِي حَنِيفَة أَحْكِمُوا سُفَهَاءكُم إنِّي أخافُ عليكُمُ أن أغضبا[1]

ومن الحكم بمعنى المنع حَكَمَةُ اللِّجام، وهي ما أحاط بحنكي الدّابة سمّيت بذلك لأنّها تمنعها من الجري الشّديد.

وأقسام الحكم ثلاثة: إما عقلي وهو ما توصل إليه عن طريق العقل وهو المشار إليه في كلام الناظم وأقسامه إما واجب، أو جائز، أو مستحيل.

وأما النوع الثاني فهو الحكم الشرعي التكليفي أو الحكم الوضعي وسيأتي بيانه في شرح المقدمة الأصولية بين يدي العبادات، وأقسام الشرعي التكليفي: فرض وندب وحرام ومكروه وإباحة.

وأما النوع الثالث فهو الحكم العادي وهو ما توصل به عن طريق

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (٢٧٢/٣) ـ مادة حكم.

العادة، لم يتعرض له لعدم توقف شيء عليه مما سيأتي ذكره. **والعادة**: ما تعارفه الناس من الأمور المتكررة المقبولة عند الطبائع السليمة فأصبح مألوفاً لهم سائغاً في مجرى حياتهم، سواء كان قولاً جرى عرفهم على استعماله في معنى خاص بهم، كإطلاقهم لفظ الولد على الذكر دون الأنثى، أم كان فعلاً متبعاً كالبيع بالتعاطي في السلع التي كثر تداولها وتحدد سعرها[1]. أو ما عرف عادة: أنه يضر أو ينفع بما جعله الله فيه من خصائص كالنار المحرقة، والماء المطفئ للظمإ وغير ذلك.

القضية: في اصطلاح المناطقة: هي التّصديق، وتسمى القضية، والخبر، والتصديق وهو ما يعبر عنه في المعاني بالإسناد الخبري، وفي النحو بالجملة الاسمية أو الفعلية[2].

وقال الجرجاني في التعريفات: القضية قول يصحّ أن يقال لقائله: إنّه صادق فيه أو كاذب فيه. وقد قسمها إلى: قضية بسيطة، وقضية حقيقية، وطبيعية، ومركبة وضرب لكل مثالاً فانظره هناك إن شئت.

التّصور: هو وصول العقل إلى شيء بتمامه، من نسبة أو غيرها، وبلا حكم عليه فهذا هو التصور.

أمّا التّصديق فهو: إدراك الشيء مع الحكم عليه.

فإدراكنا لمعنى الإنسان، وإدراكنا لمعنى الكتاب، هذان تصور، فلو قلنا: الإنسان كاتب فقد حكمنا بإثبات الكتابة للإنسان، أو قلنا غير كاتب فقد نفينا عنه الكتابة، فالإثبات والنفي بعد الإدراك هو التصديق أو القضية.

قال الأخضري في السلم المنورق:

إدراك مفرد تصور علم ودرك نسبة بتصديق وسم

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون (٤/٩٣٣).

(٢) آداب البحث والمناظرة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ص٤٧).

الوضع: وضعته أضعه وضعاً والموضع بالكسر والفتح لغة مكان الوضع[1]. أي جعلته في مكان كذا.

واصطلاحاً: هو ما تعلّق بفعل المكلف بواسطة وضع أمارة، من سبب، أو شرط، أو مانع على حكم من الأحكام الخمسة.

وإنما سمي خطاب الوضع بذلك وكأن الله عز وجل يقول مثلاً: إذا وقع هذا في الوجود فاعلموا أنني حكمت بكذا نحو:

إذا زالت الشمس فقد حكمت بوجوب صلاة الظهر، فكون الخطاب بوجوب الصلاة عند الزوال خطاب وضع، لأنّ الزوال شرط في الوجوب والشروط من خطاب الوضع.

تنبيه: خطاب الوضع أعمّ من خطاب التكليف، لأنه لم يوجد خطاب تكليف إلا مقترناً بخطاب وضع، إذ لا يخلو التكليف من الشروط والموانع والأسباب. . . »[2].

جلا: وضح وانكشف فهو جليّ[3].

شرح الأبيات:

قال الشارح رحمه الله تعالى: ذكر في هذه الترجمة الحكم العقلي وأقسامه وأول ما يجب على المكلّف وشروط التكليف وجعل ذلك مقدمة لكتاب الاعتقاد لأن مدار الاعتقادات على الحكم العقلي بأقسامه الثلاث اهـ[4].

قلت: اعلم رعاك الله أن مدار الاعتقادات في الأصل على النقل أولاً لا على العقل، ولما كان الأمر كذلك لم يُترَك الأمر سُدى، بل بين الله في

---

(١) المصباح المنير مادة وضع.

(٢) انظر نثر الورود للشنقيطي (٥٢/١).

(٣) المصباح المنير.

(٤) الدر الثمين والمورد المعين (٢٢/١).

كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ كل ما يهمنا من خير وشر، قال ﷺ: **«ما بعث الله من نبي إلاّ كان حقّاً عليه أن يدلّ أمّته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شرّ ما يعلمه لهم»**[1].

فكيف بأمر تتعلق به حقيقة التّوحيد وما يتعلّق بصفات ربّ العالمين، بل بكلّ الغيبيات التي لايتوصل إليها بعقل، ومن أين لعقل النّاقص أن يثبت صفة واحدة من صفات الكامل الباري، لولا إخبار الله عن نفسه بواسطة نبيه ﷺ، فهل يا ترى أكان العقل يهتدي إلى أنّ هناك جنّة وناراً، وحشراً وميزاناً، وغير ذلك مما هو غيب؟ اللهمّ لا، ولو حاول لتخبط كما يتخبط الغريق الذي لا يحسن السباحة، والنتيجة حتماً معروفة، وهذا ما اعترف به أئمة كبار سيأتي ذكر ما وصلوا إليه.

إنّ العقل إن لم يستضئ بنور الوحي ضلّ عن السبيل، وكما قال أئمتنا: الوحي للعقل كنور الشّمس للبصر، فلا يبصر من في الظلمات يتخبط.

ورحم الله تعالى من قال:

عِلْمُ العَلِيم وعَقْلُ العَاقِل اختلفا ... من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا؟
فالعلم قال: أنا أحرزت غايته ... والعقل قال: أنا الرحمن بي عرفا
فأفصح العلم إفصاحا وقال له ... بأينا الله في فرقانه اتصفا؟
فبان للعقل أن العلم سيده: ... فقبَّل العقل رأس العلم وانصرفا

ولذلك ضلّ من ضلّ في باب الصفات حينما استعمل العقل في زعمه لتنزيه الخالق عن المخلوق، فرأى أنّه أعلم بالله من الله، وبصفات الله

---

(١) انظر «صحيح مسلم» (٢٣٣/١٢) شرح النووي، في الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، وابن ماجه في الفتن، انظر (١٣٠٦/٢) رقم (٣٩٥٦)، والنسائي في البيعة (١٥٣/٧).

من الله ورسوله المُوحَى إليه، يا قوم ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[1]، وما يقال في صفة واحدة يقال في جميع الصفات، إذ المحذور الذي يخاف منه في الصفات الأخرى هو عينه الواقع في الصفات السبع التي أثبتت، فالتفريق بينها تفريق يعوزه النّقل والعقل، ولقد كان مذهب السّلف من لدن نبينا ﷺ حتى آخر القرون المزكاة، هو الإقرار والإمرار، وهو أسلمها وأعلمها وأحكمها ومن لم يسعه اعتقاد النّبيّ ﷺ وصحابته وأئمة الهدى كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأبي الحسن الأشعري في إبانته وغيرهم فما عسى أن يسعه، إلا أن يكون مخطئاً، فعفو الكريم واسع.

أطوار انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة:

وصف المقريزي ـ رحمه الله ـ وصفاً مفيداً أطوار ما مرّت به العقيدة فقال: «لما بعث الله محمداً ﷺ إلى النّاس، وصف لهم ربّهم بما وصف به نفسه، فلم يسأله أحد من العرب بأسرهم، قرويّهم وبدويّهم، عن معنى شيء من ذلك، كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة، وشرائع الإسلام، إذ لو سأله أحد منهم عن شيء من الصفات لَنُقِل، كما نقلت أحاديث الأحكام وغيرها.

ومن أمعن النّظر في دواوين الحديث والآثار عن السّلف، علم أنّه لم يرد قطّ لا من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصّحابة على اختلاف طبقاتهم، وكثرة عددهم، أنه سأل النبي ﷺ عن معنى شيء[2]، مما وصف الربّ ـ سبحانه ـ به نفسه في القرآن وعلى لسان نبيّه، بل كلّهم فهموا معنى ذلك وسكتوا سكوت فاهِم مقتنع، ولم يفرقوا بين صفة وأخرى، ولم يتعرض أحد منهم إلى تأويل شيء منها، بل أجروا الصفات كما وردت

---

(١) من الآية (١٤٠) من سورة البقرة.

(٢) مقصوده: أنهم لم يسألوا عن مثل اليدين والوجه والنزول والاستواء ونحو ذلك، مما يدل على أنهم فهموا أن هذه الصفات على ظاهرها المفهوم من لغتهم، مع علمهم انتفاء المماثلة فيها لصفات الخلق.

بأجمعهم، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به سوى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومضى عصرهم رضي الله عنهم على هذا، وحدث القول بنفي القدر في عهد آخرهم[1].

وكان أول من فاهَ بذلك معبد الجُهني[2]، أخذه عن رجل من الأساورة، يقال له: أبو يونس سِيسُويَه، ويعرف بالأسواري، وتبرأ من هذه المقالة الصحابة. ثم خرجت الخوارج[3]، وكفروا بالذنوب، فقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وحدث التشيع لعلي، وغلا فيه طائفة بدعوة ابن سبأ اليهودي، فحرقهم في النار، كما أحدث ابن سبأ القول بالوصية لعلي بالإمامة من بعد الرسول ـ ﷺ ـ والقول بالرجعية، أي رجعة علي بعد موته، وأن فيه جزءاً من الإلهية.

ومن دعوة هذا اليهودي تشعبت الغلاة من الرافضة، كالإمامية الاثنى عشرية، والإسماعيلية، والقرامطة، والنصيرية، وغيرهم، وهو الذي أثار الفتنة على أمير المؤمنين عثمان حتى قتل، ولم يزل مذهب الرفض يستفحل حتى ملأ الدنيا فساداً.

---

(١) قلت: بل حتى خصوم الإسلام وأعداؤه كأبي جهل وغيره لم يجد ذكر هذه الصفات غنيمة يطعن بها على النبي ﷺ في تبليغه لرسالة ربه كما سيأتي بيان ذلك، ونظم شيخنا العلامة محمد سالم بن عبدالودود أطال الله في عمره.

(٢) معبد الجهني البصري: تابعي، كان داعية في ضلال، قال الدارقطني: حديثه صالح ومذهبه رديء. تكلم فيه كثير من السلف من أجل قوله بنفي القدر، قتله عبد الملك سنة ثمانين. انظر «تهذيب التهذيب» (٢٢٥/١٠). الخوارج: فرقة ضالة أخبر عن خروجها النبي ﷺ، وقد خرجوا عن أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي رضي الله عنه.

(٣) انظر مذهب القدرية في الرد عليهم خلق أفعال العباد للبخاري رحمه الله تعالى: وغيره.

ثم حدث مذهب الجهمية، وتعطيل الرب ـ تعالى ـ عن صفاته، والقول بخلق القرآن، وغير ذلك من العظائم، وعُرِّبَت كتب الفلاسفة في عهد المأمون، فعظمت الفتنة والضلال.

ثم ظهر الأشعري، وكان أخذ عن الجبائي الاعتزال، ولازمه دهراً طويلاً، ثم سلك طريق ابن كلاب في الصفات، والقدر، وغير ذلك.

وسلك طريقه جماعة من العلماء، مثل الباقلاني، وابن فورك، والإسفراييني، والشيرازي، والغزالي، والشهرستاني، والرازي وغيرهم، ملأوا الدنيا بتصانيفهم، يحتجون، ويدعون أنّ طريقتهم هي طريقة أهل السنة والجماعة، فانتشر هذا المذهب في البلاد الإسلامية، وجاءت دولة بني أيوب، وكانوا على هذا المذهب، ثم مواليهم الأتراك، وأخذه ابن تومرت إلى المغرب، ونشره هناك[1]، فصار هذا المذهب هو المعروف في الأمصار، بحيث نسي ما عداه من المذاهب، أو جهل، حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة.

حتى جاء تقي الدين ـ أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ـ فتصدى للانتصار لمذهب السلف، ورد على الأشاعرة، والرافضة، والصوفية، فافترق الناس فيه فريقان: فريق يقتدي به، ويعول على أقواله، ويرى أنه شيخ الإسلام حقاً، ومن أجل حفاظ أهل الملة الإسلامية.

وآخر يبدعه، ويضلله، ويزري عليه إثبات الصفات وغيرها».

ثم قال المقريزي:

«فهذا ـ أعزك الله ـ بيان ما كانت عليه عقائد الأمة من ابتداء الأمر إلى وقتنا، قد فصلت فيه ما أجمله أهل الأخبار، وأجملت ما فصلّوا، فدونك طالب العلم تناول ما قد بذلت فيه جهدي، وأطلت بسببه سهري وكدّي،

---

(١) ولذلك من تأمل كتب المغاربة قبل دولة الموحدين وجد عقائدهم سلفية لم تدخلها لوثة الاعتزال، ولك أحسن شاهد عقيدة ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى: وهو المسمى بمالك الصغير. فعقيدته على منهج السلف رضي الله عنهم.

في تصفح دواوين الإسلام، وكتب الأخبار فقد وصل إليك صفواً»[1].

وقال أبو سعيد الدارمي ـ رحمه الله تعالى ـ: «لم يزل أهل الباطل مقموعين أذلة، مدحورين، حتى كان الآن بآخرة، حيث قلّت الفقهاء، وقبض العلماء، ودعا إلى البدع دعاة الضلال، فشدّ ذلك طمع كلّ متعوّذ في الإسلام من أبناء اليهود، والنّصارى، وأنباط العراق، ووجدوا فرصة للكلام، فجدّوا في هدم الإسلام، وتعطيل ذي الجلال والإكرام، وإنكار صفاته وتكذيب رسله، وإبطال وحيه، إذ وجدوا فرصتهم، وأحسّوا من الرّعاع جهلاً، ومن العلماء قلّة، فنصبوا عندها الكفر للنّاس إماماً، بدعوتهم إليه، وأظهروا لهم أغلوطات من المسائل، وعمايات من الكلام، يغالطون بها أهل الإسلام، ليوقعوا في قلوبهم الشّك، ويلبسوا عليهم أمرهم ويشككوهم في خالقهم، مقتدين بأئمتهم الأقدمين»[2].

وقال البخاري: «حدثني أبو جعفر، حدثني يحيى بن أيوب، قال: سمعت أبا نعيم البلخي، قال: كان رجل من أهل «مرو» صديقاً للجهم، ثمّ قطعه وجفاه، فقيل له: لم جفوته؟ فقال: جاء منه ما لا يحتمل، قرأت يوماً آية كذا وكذا ـ نسيها يحيى ـ فقال: ما كان أظرف محمداً، فاحتملتها، ثم قرأ سورة طه، فلما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[3]، قال: أما والله لو وَجدتُ سبيلاً إلى حكّها لحَكَكْتُها من المصحف، فاحتملتها، ثمّ قرأ سورة القصص فلمّا انتهى إلى ذكر موسى، قال: ما هذا؟ ذكر قصته في موضع فلم يتمّها، ثم ذكرها هاهنا فلم يتمّها، ثمّ رمى المصحف من حِجْره برجليه، فوثبت عليه»[4].

---

(١) «الخطط» للمقريزي ملخصاً (٣/٣٠٩ ـ ٣١٤). نقلاً عن شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للعلامة عبدالله بن محمد الغنيمان.

(٢) «الرد على الجهمية» (ص٢٥٩) «عقائد السلف» بواسطة شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/١٩).

(٣) الآية ٥ من سورة طه.

(٤) «خلق أفعال العباد» (ص٤٦)، وانظر: «عقائد السلف» (١٢٨ ـ ١٢٩).

فهذه الوقائع ـ ومثلها كثير جداً ـ تدلّ على حقد دفين على هذا الدّين، وأنّه دخل في المسلمين الدّخيل ذو القلب الموتور، والصّدر الموغور، والنّفس التي تأكلها نار عداوة الإسلام، ونبي الإسلام، وأنّ هؤلاء يحاولون اجتثاث الإسلام من قلوب النّاس، بالتّشكيك في أصوله، وأنّ كثيراً من علماء السلف علّموهم، وعرفوا أنّ مرادهم صدّ النّاس عن الإسلام، وإفساد عقائدهم: وأنّ تعاوناً يهودياً، ومجوسياً، ونصرانياً، وإلحادياً لم يزل ينتهز الفرص، جاهداً في إطفاء نور الله، ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره»[1].

ولذلك كان إدخال العقل في إثبات ونفي الصفات منزلقاً خطيراً يرمي منه أعداء الإسلام لهدمه. فما كان من أئمة الإسلام إلا أن وقفوا في وجه الزندقة والإلحاد، فقد أخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبدالأعلى سمعت الشافعي رحمه الله تعالى: يقول: «لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجّة فقد كفر، وأمّا قبل قيام الحجّة فإنّه يعذر بالجهل لأنّ علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا الرؤية ولا الفكر، فنثبت هذه الصّفات وننفي عنه التّشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2]».

وقفة مع أعلام من هذه الأمة خاضوا في علم الكلام وندموا على ذلك:

لقد دخل علم الكلام على المسلمين فزعزعهم عن المنهج النبوي الناصع، وزحزح عقائد كثير من المتعلمين عن النهج الساطع، وخاض أقوام تجربة الشك الموصل في فلسفتهم إلى اليقين بزعمهم فتاهوا عن الطريق، ولولا أن هداية الله لاحت أعلامها لهلك القوم في موامي الفتنة والتلفيق، وليس المخبر كالمعاين فهذا أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه: (أقسام اللذات):

---

(١) ما بين القوسين ( ) من كتاب «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» للعلامة الشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان (١٧/١).

(٢) من الآية (١١) سورة الشورى.

نِـهَـايَـةُ إِقْـدام الـعُـقـولِ عِـقَـالُ وغـايَـةُ سـعـي الـعـالـمـيـن ضَـلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحـاصـل دنـيـانـا أذى ووبـال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه: قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال، فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ .وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾. ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

وكذلك قال الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم الشهرستاني[1] إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال:

لعمري لقد طُفْت المعاهدَ كلَّها وسَيَّرْتُ طَرْفِي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ إلاّ واضعاً كفَّ حائرٍ على ذقن أو قارعاً سِنَّ نَادِمِ

وكذلك قال أبو المعالي الجويني[2]: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور.

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي[3] وكان من أجل تلامذة فخر الدين الرازي ـ لبعض الفضلاء، وقد دخل عليه يوماً، فقال: ما تعتقده؟

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (٤٨١) لابن أبي العز الحنفي تحقيق: أحمد محمد شاكر.
(٢) نقض المنطق ص٦١.
(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (٤٨١) لابن أبي العز الحنفي تحقيق: أحمد محمد شاكر.

قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ أو كما قال، فقال: نعم، فقال: أشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضل لحيته.

ولابن أبي الحديد الفاضل المشهور بالعراق[1]:

فيك يا أغلوطة الفكر ... حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما ... ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الأُلَى زعموا ... أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا ... خارج عن قوة البشر

وقال الخوفجي عند موته: ما عرفت مما حصلته شيئاً سوى أن الممكن يفتقر إلى المرجح، ثم قال: الافتقار وصف سلبي، أموت وما عرفت شيئاً. وقال آخر: أضطجع على فراشي وأضع اللحفة على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء .

ومن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تزندق، كما قال قاضي القضاة أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى: «من طلب الدّين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب»[2].

ويرحم الله تعالى: اللّقاني حيث قال في جوهرة التوحيد:

وكلّ خير في اتباع من سلف ... وكلّ شرّ في ابتداع من خلف

اعتقاد الأئمة الأربعة:

إنّ المتتبع لأقوال أئمة المذاهب الأربعة يجدها حَكَماً عدْلاً بين

---

(١) هو عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد المدائني (٥٨٦ ـ ٦٥٥هـ) كاتب وشاعر، أديب شيعي خبيث، كانت له حظوة عند الوزير ابن العلقمي الرافضي، ترجمته في البداية (١٣/١٩٩).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري، الإحياء (١/١٦٤)، والحجة في بيان المحجة ص(١٣).

من أوّل وتنطّع، وبين من اهتدى واتّبع، والمنصف من أنصف أهل الحقّ واتبع طريقهم، والمتكبر من عرفَ الحقّ فبطره فها هم أئمتنا رحمهم الله تعالى: وأسكنهم فسيح جناته يبيّنون عقيدة سلفهم وما ينبغي عليه أن يكون أتباعهم، وها أنا تابع لهؤلاء لا كما يزعم الجهلة الذين يصفون من اتبع عقيدة السلف بألقاب تدل على التطفيف فـ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، والجهل بحقيقة ما يعيبون، ولو أنصف الواحد منهم نفسه قبل غيره لاطلع على كتبهم بعين الفائدة والإنصاف فاستفاد وأفاد، والحق نوره وَضَّاءٌ لمن شرح الله صدره وأنار طريقه.

فإليك أيها المالكي الموفّق بعض أقوال أئمة المذاهب الأربعة ـ رحمهم الله تعالى ـ: المقتدى بهم فقهاً واعتقاداً عند من سلم قصده، وذلك حينما بينوا معتقدهم في معبودهم، فحقّ لكلّ مقلّد أو مُتَّبِع، طالب أو عالم أن ينهج نهجهم، فإنّه لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أولها، وحتى لا يفتري مُفْتَرٍ بأنّنا خالفنا مذهب مالك، أو الأشعري في الاعتقاد، فهذه أقوال مالك بين يديك فابحث عنها في مظانّها تجدها كما قال لا كما يهوى أهل الهوى؛ وحقّ لكل مالكيّ أن يفتخر بمالك النّجم الذي سار على قاعدته في الاعتقاد أئمة عظام، فهاك فاتّبع مالكاً في الفقه الأكبر، والأصغر ولا تجعل القسمة ضيزى[1]:

فمن أقوال الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى: وبدأنا به بحسب الترتيب الزمني لهم:

(١) قال: «لا يوصف الله تعالى: بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال: غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونصفه كما وصف نفسه أحدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، حيٌّ قادر سميع بصير عالم،

---

(١) كما نقلها الشيخ محمد بن عبدالرحمن الخميس في رسالته اعتقاد الأئمة الأربعة.

يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه ووجهه ليس كوجوه خلقه»[1].

(٢) وقال: «وله يد ووجه ونفس، كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال»[2].

(٣) وقال: «لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئاً تبارك الله وتعالى: رب العالمين»[3].

(٤) ولما سئُل عن النّزول الإلهي قال: (ينزل بلا كيف)[4].

(٥) وقال أبو حنيفة: «والله تعالى: يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء»[5].

(٦) وقال: «وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه»[6].

(٧) وقال: «ولا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبه من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته»[7].

(٨) وقال: «وصفاته بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر

---

(١) الفقه الأبسط (ص٥٦).
(٢) الفقه الأكبر (ص٣٠٢).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٤٢٧/٢. تحقيق د. التركي، جلاء العينين ص٣٦٨.
(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٤٢ ط دار السلفية، الأسماء والصفات للبيهقي ص٤٥٦ وسكت عليه الكوثري، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٤٥، تخريج الألباني وشرح الفقه الأكبر للقاري ص٦٠.
(٥) الفقه الأبسط (ص٥١).
(٦) الفقه الأبسط ص٥٦، وسكت عليه محقق الكتاب الكوثري.
(٧) الفقه الأكبر ص٣٠١.

لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا»[1].

من أقوال الإمام مالك رحمه الله تعالى:

(١) ـ أخرج الهروي عن الشافعي قال: سئل مالك عن الكلام والتوحيد، فقال مالك (محال أن يظن بالنبي ﷺ، أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»[2] فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد».

(٢) ـ وأخرج الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال: «سألت مالكاً والثوري والأوزاعي والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات فقالوا أَمِرُّوهَا كما جاءت»[3].

(٣) ـ وأخرج أبو نعيم عن جعفر بن عبدالله قال: «كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبدالله، الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟»[4].

---

(١) الفقه الأكبر ص٣٠٢.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة (٢٦٣/٣) ح (١٣٩٩)، ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (٥١/١) ح (٣٢٤)، والنسائي كتاب الزكاة باب مانع الزكاة (١٤/٥) ح (٢٤٤٣)، جميعهم من طريق عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة أخرجه أبو داود كتاب الجهاد باب على ما يقاتل المشركون (١٠١/٣) ح (٢٦٤٠) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه ذم الكلام (ق ـ ٢١٠).

(٣) أخرج هذا الأثر الدارقطني في الصفات ص٧٥، والآجري في الشريعة ص٣١٤ والبيهقي في الاعتقاد ص١١٨، وابن عبدالبر في التمهيد (١٤٩/٧).

(٤) الحلية ٣٢٥/٦، ٣٢٦ ـ وأخرجه أيضاً الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص١٧ ـ ١٨، من طريق جعفر بن عبدالله عن مالك وابن عبدالبر في التمهيد ١٥١/٧ من طريق عبدالله بن نافع عن مالك والبيهقي في الأسماء والصفات ص٤٠٨ من طريق عبدالله بن وهب عن مالك قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٠٦/١٣ ـ ٤٠٧ إسناده جيد وصححه الذهبي في العلو ص١٠٣.

فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت في يده حتى علاه الرّحضاء ـ يعني العرق ـ ثم رفع رأسه ورمى العود وقال: «الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج».

(٤) وأخرج أبو نعيم عن يحيى بن الربيع قال: «كنت عند مالك بن أنس ودخل عليه رجل فقال يا أبا عبدالله، ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟ فقال مالك: زنديق[١] فاقتلوه، فقال: يا أبا عبدالله إنما أحكي كلاماً سمعته، فقال: لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك، وعظّم هذا القول»[٢].

(٥) ـ وأخرج ابن عبدالبر عن عبدالله بن نافع قال: «كان مالك بن أنس يقول من قال القرآن مخلوق يوجع ضرباً ويحبس حتى يتوب»[٣].

(٦) ـ وأخرج أبو داوود عن عبدالله بن نافع قال: «قال مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان»[٤].

---

(١) الزنديق: كلمة معربة عن الفارسية استعملها المسلمون أولاً في الدلالة على القائلين بالأصلين النور والظلمة على مذهب المانوية وغيرهم ثم اتسع معناها عندهم فشمل الدهريين والملحدين وسائر أصحاب المعتقدات الضالة بل أطلق على المتشككين وكل متحرر عن أحكام الدين فكراً وعملاً. انظر الموسوعة المُيسرة ٩٢٩/١، وتاريخ الإلحاد لعبدالرحمن بدوي ص١٤ ـ ٣٢.

(٢) الحلية ٣٢٥/٦ وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢٤٩/١، من طريق أبي محمد يحيى بن خلف عن مالك، وأورده القاضي عياض في ترتيب المدارك ٤٤/٢.

(٣) الانتقاء ص٣٥.

(٤) رواه أبو داوود في مسائل الإمام أحمد ص٢٦٣، وأخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ص١١ الطبعة القديمة، وابن عبدالبر في التمهيد ١٣٨/٧، وانظر ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤٣/٢). ورواه مكي بن أبي طالب فيما جمعه من تفسير مالك نفسه بإسناد صحيح.

من أقوال الشافعي رحمه الله تعالى:

(١) ـ قال الشافعي: كما في جزء الاعتقاد المنسوب للشافعي ـ من رواية أبي طالب العشاري[١] ما نصّه قال: وقد سُئل عن صفات الله عز وجل وما ينبغي أن يؤمن به، فقال: «لله تبارك وتعالى: أسماء وصفات جاء بها كتابه وخبر بها نبيه ﷺ، أمته لا يسع أحداً من خلق الله عز وجل قامت لديه الحجة إن القرآن نزل به وصحيح عنده قول النبي ﷺ، فيما روى عنده العدل خلافه فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله عز وجل، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالدراية والفكر ونحو ذلك أخبار الله عز وجل أنه سميع وأن له يدين بقوله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٢] وأن له يميناً بقوله عز وجل ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[٣]، وإن له وجهاً بقوله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[٥] وأن له قدماً بقوله ﷺ «**حتى يضع الرب عز وجل فيها قدمه**»[٦] يعني جهنم لقوله ﷺ، للذي قتل في سبيل الله عز وجل أنه

---

(١) هو محمد بن علي العشاري شيخ صدوق معروف وقد تفرد برواية هذا الجزء وهو مما أدخل عليه فحدّث به بسلامة باطن قاله الذهبي في الميزان ٦٥٦/٣، لكن اعتمد غير واحد من السلف ما هو مثبت في هذه العقيدة كالموفق ابن قدامة في كتاب صفة العلو ص١٢٤، وابن أبي يعلى في الطبقات ٢٨٣/١، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٦٥، والذهبي نفسه في السير ٧٩/١٠، ثم إن هذه الرسالة التي سأنقلها بنصها ـ (والكلام للشيخ الخميس) ـ قد قرئت على الإمام الحافظ ابن نصر الدمشقي ونقلها جميعها ابن أبي يعلى في الطبقات وسأثبت الفروق بينهما.

(٢) سورة المائدة ٦٤.

(٣) سورة الزمر ٦٧.

(٤) سورة القصص ٨٨.

(٥) سورة الرحمن ٢٧.

(٦) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب (وتقول هل من مزيد) ٥٦٤/٨، ح٤٨٤٨ . ومسلم كتاب الوصية وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلوها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٧/٤، ح ٢٨٤٨ ـ كلاهما من طريق قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

«**لقي الله عز وجل وهو يضحك إليه**»[1] وأنه يهبط كل ليلة إلى السماء الدنيا بخبر رسول الله ﷺ، بذلك وأنه ليس بأعور لقول النبي ﷺ إذ ذكر الدجال فقال: «**إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**»[2] وإن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر وأنه له إصبعاً بقوله ﷺ: «**ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل**»[3].

وإنّ هذه المعاني التي وصف الله عز وجل بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، لا يدرك حقّه ذلك بالفكر والدراية ولا يكفر بجهلها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه وإن كان الوارد بذلك خبراً يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع (وجبت الدينونة) على سامعه بحقيقته والشهادة عليه كما عاين وسمع من رسول الله ﷺ، ولكن نثبت هذه الصفات وننفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه تعالى ذكره فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4]. إلى آخر الاعتقاد[5].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب الكفار يقتل المسلم ٣٩/٦، ح٢٨٢٦. ومسلم كتاب الإمارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ١٥٠٤/٣، ح١٨٩٠. كلاهما من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب ذكر الدجال ٩١/١٣. ح٧١٣١. ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته ٢٢٤٨/٤، ح٢٩٣٣. كلاهما من طريق قتادة عن أنس بن مالك.

(٣) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد في المسند ١٨٢/٤، وابن ماجه في المقدمة باب: فيما أنكرت الجهمية ٧٢/١، ح ١٩٩ والحاكم في المستدرك ٥٢٥/١، والآجري في الشريعة ص٣١٧، وابن منده في الرد على الجهمية ص٨٧، جميعهم من حديث النواس بن سمعان قال الحاكم: (صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) وأقره الذهبي في التلخيص، وقال ابن منده: (حديث النواس بن سمعان حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم).

(٤) سورة الشورى ١١.

(٥) يقول الشيخ محمد عبدالرحمن الخميس: نقلت هذا الاعتقاد من نسخة مصورة من أصل خطي محفوظ في المكتبة المركزية بجامعة ليدن بهولندا. قلت: ونحن نعلم أن الاستعمار الخبيث نقل جل مخطوطاتنا إليه وجزء العقيدة مطبوع.

قال شيخنا العلامة محمد سالم ولد عبدالودود (عدود) الشنقيطي في بداية نظمه لمختصر خليل:

وما نقول في صفات قدسهِ ... فرعُ الذي نقولُه في نفسهِ
فإن يَقُلْ جَهْمِيُّهُمْ: كيف استوى؟ ... كيف يَجِي؟ فقلْ له: كيف هُوَا؟
لا فَرْقَ بين ما سميُّهُ يُعَدْ ... وصفاً لنا كـ(عِلْم) أو جُزءً كَـ(يَدْ)
البابُ في الجميع واحدٌ فَلاَ ... تكنْ معطِّلاً ولا مُمَثِّلا

أقسام الحكم العقلي:

قال الناظم رحمه الله تعالى:

أَقْسامُ مُقْتَضاهُ بِالْحَصْرِ تُمازْ ... وهْيَ الْوجُوبُ اِلاستِحالَةُ الْجَوازْ
فَوَاجِبٌ لاَ يَقْبَلُ النَّفْيَ بِحالْ ... ومَا أَبَى الثُّبُوتَ عَقْلاً الْمُحَالْ
وجَائِزاً مَا قَبِلَ الأَمْرَيْنِ سِمْ ... لِضَّرُورِيْ والنَّظَرِي كُلٌّ قُسِمْ

أخبر أنّ أقسام مقتضى الحكم العقلي تتميّز وتتبيّن بالحصر، وتلك الأقسام هي:

الوجوب، والاستحالة، والجواز.

وبيان الحصر في الثلاثة أنّ كلّ ما يحكم به العقل: ويقبل الثبوت فقط فهو الواجب.

وإمّا أن يقبل الثّبوت والانتفاء معاً فهو الجائز ويسمّى الممكن أيضاً.

أو يقبل الانتفاء فقط فهو المستحيل.

قوله (**للضروري والنّظري كلّ قسم**): يعني أنّ كلّ قسم من الثلاثة المتقدمة ينقسم إلى ضروري وهو ما يدرك ثبوته أو نفيه ابتداءً بلا تأمل، كإدراك الحواس لمحسوساتها، وإلى نظري وهو ما يحتاج في إدراكه إلى تأمل، كربع عشر العشرين.

ثم انتقل النّاظم ليتكلّم عن أوّل واجب على المكلّف الممكن من النّظر فقال:

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ كُلِّفَا مُمَكِّناً مِنْ نَظَرٍ أَنْ يَعْرِفَا
اللهَ وَالرُّسلَ بِالصِّفَاتِ مِمَّا عَلَيْه نَصَبَ الآيَاتِ

أخبر أنّ أوّل ما يجب على المكلّف وهو العاقل البالغ حالة كونه ممكّناً من النظر، معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم الصلاة والسلام بالصفات التي نصب الله تعالى عليها الآيات أي أقام عليها البراهين والأدلة، والصحيح أنّ أول واجب هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وليس المعرفة، أو النظر، ولو كان ذلك شرطاً لا بد منه لما صح إيمان أحد سوى أهل الكلام بزعمهم، قال القرطبي: «لو لم يكن في الكلام إلا مسألتان، هما من مبادئه، لكان حقيقاً بالذّمّ.

إحداهما: قول بعضهم: إن أول واجب: الشك إذ هو اللازم لوجوب النظر، أو القصد إلى النظر. والثانية: قول جماعة منهم: من لم يعرف الله بالطرق التي رتبها أهل الكلام، لم يصح إيمانه. والقائل بهاتين المسألتين كافر؛ لجعله الشك في الله ـ تعالى ـ واجباً، ومعظم المسلمين كفاراً، حتى يدخل في عموم كلامه السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، وهذا معلوم الفساد من الدّين بالضّرورة، وإلاّ فلا يوجد في الشرعيات ضروري»[1].

وقال الغزالي: «أسرفت طائفة فكفّروا عوّام المسلمين، وزعموا أنّ من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلّة التي حرّروها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة، وجعلوا الجنّة مختصّة بشرذمة يسيرة من المتكلّمين»[2].

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٣٦٣/١٣).
(٢) الفتح (٣٦١/١٣).

وقد دلّ على ما قلناه تبعاً لما ذهب إليه المحقّقون الكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2]، وأمّا من السنة فقوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى أهل اليمن: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**»، وقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ...**» وكلاهما في الصحيح، وقد وردت في حديث معاذ جملة وهي «**فإذا عرفوا الله**» فتمسّك بها من قال إن أول واجب هو المعرفة، وقد أجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: عن ذلك بقوله في الفتح: «إن الأكثر رووه بلفظ «**فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك**» ومنهم من رواه بلفظ «**فادعهم إلى أن يوحدوا الله، فإذا عرفوا ذلك**» ومنهم من رواه بلفظ «**فادعهم إلى عبادة الله فإذا عرفوا الله**» ووجه الجمع بينهما أن المراد بالعبادة: التوحيد، والمراد بالتوحيد: الإقرار بالشهادتين، والإشارة بقوله (ذلك) إلى التوحيد وقوله: «**فإذا عرفوا الله**» أي عرفوا توحيد الله، والمراد بالمعرفة: الإقرار والطواعية، فبذلك يجمع بين الألفاظ المختلفة في القصة الواحدة» اهـ[3]، ولأنّ الفطر تعرف ربّها بداهة وإنما الذي تحتاجه هو كيفية عبادته والصدق في توحيده[4]، وقال الإمام السمعاني معلقاً على الحديث: «ومثل هذا كثير، ولم يرد أنه دعاهم إلى النظر والاستدلال، وإنما يكون حكم الكافر في الشرع أن يدعى إلى الإسلام، فإن أبى وسأل النظرة والإمهال لا يجاب إلى ذلك، ولكنه إما أن

---

(١) من الآية (٣٦) من سورة النحل.

(٢) الآية (٢٥) من سورة الأنبياء.

(٣) فتح الباري (٣٦٧/١٣) انظر منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة خالد بن عبداللطيف بن محمد نور (٣١٨/١). ط/ مكتبة الغرباء الأثرية.

(٤) انظر الشهرستاني نهاية الإقدام في علم الكلام (ص/١٢٥) ط/ مكتبة المتنبي ـ مصر ـ القاهرة.

يسلم وإما أن يعطي الجزية أو يقتل، وفي المرتد إما أن يسلم وإما أن يقتل، وفي مشركي العرب على ماعرف، وإذا جعلنا الأمر على ماقاله أهل الكلام لم يكن الأمر على هذا الوجه، ولكن ينبغي أن يقال له ـ أعني الكافر عليك النظر والاستدلال لتعرف الصانع بهذا الطريق، ثم تعرف الصفات بدلائلها، وطرقها، ثم مسائل كثيرة إلى أن يصل الأمر إلى النبوات، ولايجوز على طريقهم الإقدام على هذا الكافر بالقتل والسبي إلا بعد أن يُذَكَّر وَيُمْهَل، لأن النّظر لا يكون إلاّ بمهلة، خصوصاً إذا طلب الكافر ذلك، وربما لا يتفق النظر والاستدلال في مدّة يسيرة فيحتاج إلى إمهال الكفار مدة طويلة تأتي على سنين ليتمكنوا من النظر على التمام والكمال، وهو خلاف إجماع المسلمين» اهـ[1].

وخصّ الناظم (الممكّن) ليخرج من كان منقطعاً عن أخبار الرسل كمن في أماكن منقطعة أو ما أشبه ذلك من الأماكن النائية، أو من جاءه الموت فجأة عقب البلوغ فلا تجب عليه المعرفة إذ لا يتوصل لها إلا بالنظر وقد مرّ ما فيه من الخبر.

نعم قد يقال في تنوع الطرائق التي يدعى بها إلى معرفة الربّ سبحانه وتتبع أسلوب القرآن الكريم في هدايته للمشركين سعة للدعاة إلى الله عز وجل.

والحقّ أن من تتبع كيفية استدلالهم في النّظر الذي ألزمه بعضهم للمكلّف يرى من الصعوبة بمكان أن يتوصل أحد للمعرفة، ولذلك رجع من رجع منهم إلى القول بالدليل الجملي[2].

قوله: (أن يعرفا) المعرفة: «هي الجزم المطابق عن دليل»، وهل

---

(١) رسالة الانتصار لأهل الحديث له، ضمن كتاب صون المنطق والكلام للسيوطي (ص١٧١) ونقله أبو القاسم التيمي بإسناده عنه في كتابه الحجة في بيان المحجة (١١٩/٢) وعنه صاحب كتاب منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة (٣١٩/١ ـ ٣٢٠).

(٢) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (ص/٢١).

تنسب المعرفة إلى الله تعالى فيقال: معرفة الله تعالى أم لا؟ قال الشيخ بكر: بسط ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في (مدارج السالكين) منزلة المعرفة، مبيناً حقيقتها، والفروق بينها وبين العلم ... وفي (بدائع الفوائد) عقد فائدة بديعة ذكر فيها حقيقة العلم والمعرفة، ثم قال:

«إذا عرف هذا فقال بعض المتكلمين: لا يضاف إلى الله سبحانه إلا العلم لا المعرفة؛ لأن علمه متعلق بالأشياء كلّها مركبها ومفردها تعلّقاً واحداً بخلاف علم المحدثين، فإن معرفتهم بالشيء المفرد وعلمهم به غير علمهم ومعرفتهم لشيء آخر. وهذا بناء منه على أن الله تعالى يعلم المعلومات كلها بعلم واحد، وأن علمه بصدق رسول الله ﷺ هو عين علمه بكذب مسيلمة.

والذي عليه محققو النظار خلاف هذا القول، وأنّ العلوم متكاثرة متغايرة بتكثر المعلومات وتغايرها فلكلّ معلوم علم يخصه. ولإبطال قول أُولئك وذكر الأدلة الرّاجحة على صحة قول هؤلاء مكان هو أليق به.

وعلى هذا فالفرق بين إضافة العلم إليه تعالى: وعدم إضافة المعرفة لا ترجع إلى الإفراد والتركيب في متعلق العلم وإنما ترجع إلى نفس المعرفة ومعناها؛ فإنما في مجاري استعمالها إنما تستعمل فيما سبق تصوره من نسيان أو ذهول، أو عزوب عن القلب، فإذا حصل وتصور في الذهن قيل: عرفه، أو وصف له صفته ولم يره، فإذا رآه بتلك الصفة وتعينت فيه قيل: عرفه ألا ترى أنك إذا غاب عنك وجه الرّجل ثم رأيته بعد زمان فتبينت أنه هو؛ قلت: عرفته؟ وكذلك عرفت اللفظة، وعرفت الديار، وعرفت المنزل، وعرفت الطريق.

وسر المسألة: أن المعرفة لتمييز ما اختلط فيه المعروف بغيره فاشتبه، فالمعرفة تمييز له وتعيين، ومن هذا قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[1] فإنهم كان عندهم من صفته قبل أن يروه ما طابق شخصَه عند رؤيته، وجاء ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ من باب ازدواج الكلام وتشبيه أحد

---

(١) من الآية (١٤٦) من سورة البقرة.

اليقينين بالآخر. فتأمله، وقد بسطنا هذا في كتاب: التحفة المكية، وذكرنا فيها من الأسرار والفوائد ما لا يكاد يشتمل عليه مصنف.. اهـ[1].

وفي شأن الدعاء للخطابي قال: (وفي أسمائه: العليم، ومن صفته العلم، فلا يجوز قياساً عليه أن يسمى: عارفاً؛ لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء) اهـ.

وفي إضاءة الراموس: (ومن الفروق أن المعرفة ما يحصل بعد الجهل بخلاف العلم، ومن ثم لم يرد في صفات الله: عارف) اهـ.

وقد صحَّ قوله ﷺ: **«تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»**[2]، لكن لا يشتق من كل فعل لله: اسم له، أو صفة له سبحانه[3].

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَكُلُّ تَكْلِيفٍ بِشَرْطِ الْعَقْلِ مَعَ الْبُلُوغِ بِدمٍ أَوْ حَمْلِ
أَوْ بِمَنِيٍّ أو بِإِنْباتِ الشَّعَرْ أَوْ بِثَمانِ عَشْرَةٍ حَوْلاً ظَهَرْ

التّكليف: في اللّغة: كلفت الأمر من باب تعب حملته على مشقة. المصباح.

وفي اصطلاح الأصوليين فقد اختلف في التّكليف فقيل: هو إلزام ما فيه مشقة وكلفة، وعلى هذا فلا يدخل في حدّ التكليف إلاّ الواجب والحرام.

وقيل: طلب ما فيه مشقة وكلفة ويدخل في حدّ التكليف الواجب والمندوب والحرام والمكروه. قال في المراقي:

---

(١) وانظر: روضة المحبين في العارفين بالله.

(٢) رواه أحمد، والحاكم في المستدرك (٦٣٠٣) وانظر الجامع الصحيح للألباني (٢٩٦١).

(٣) معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر بن عبدالله أبي زيد حفظه الله تعالى: (٥٠٢). وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله تعالى: (ضمن شرحه الحديث التاسع عشر).

وهـــو إلـــزام الـــذي يـــشُـــقُّ أو طَـلَـبٌ، فَـاهَ بـكـلٍّ خـلْـقُ[1]

فاه: أي نطق بكلّ واحد من التعريفين جماعة من الأصوليين. وقد تكلمت عن التكليف وأحكامه في قسم الفقه فلا داعي لتكراره.

وللتكليف ثلاثة شروط:

الأول: العقل وهو قوة مُهَيَّئَة لقبول العلم، وقيل قوة يكون بها التمييز بين الحسن والقبح.

الثاني: البلوغ، وهو كما قال الإمام أبو عبدالله المازري: قوة تحدث في الصبي يخرج بها عن حالة الطفولية إلى حال الرّجولية، وتلك القوة لا يكاد يعرفها أحد فجعل الشارع لها علامات يستدلّ بها على حصولها اهـ[2].

والعلامات خمس: ثلاث يشترك فيها الذكر والأنثى.

أولها: الاحتلام وهو خروج المني. لقول النبي ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاث . .** »[3].

والثانية: إنبات الشعر أي شعر الوسط. وقد «أمر النبي ﷺ في غزوة بني قريظة بضرب عنق كلّ من جَرَتْ عليه المُوسى منهم، ومن لم ينبت، ألحق بالذرية»[4].

من أنبت فكان يكشف عليهم بحسب الغالب وإلاّ ففيه من لا ينبت مطلقاً.

والثالثة: السّنّ واختلف في حدّه والمشهور وعليه اقتصر النّاظم ثمان عشرة سنة، وقيل سبع عشرة، وقيل خمس عشرة، والصحيح الأخير ومن

---

(١) انظر نثر الورود شرح مراقي السعود للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٤٢/١).

(٢) الدر الثمين (٣٠) ط. المكتبة العصرية ـ بيروت.

(٣) رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي وصححه الألباني كما في الإرواء (رقم ٢٩٧).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (غزوة بني قريظة).

الأدلة التي يستأنس بها حديث ابن عمر رضي الله عنه عندما ردّه النبي ﷺ في غزوة أحد لأنّه لم يبلغ سنّ الخامسة عشر قال الحافظ: وأمّا احتجاجه (أي ابن معين) بأنّ النّبي ﷺ ردّ البراء وغيره يوم بدر ممن كان لم يبلغ خمس عشرة فمردود بأنّ القتال يقصد فيه مزيد القوّة والتّبصر في الحرب، فكانت مظنّته سنّ البلوغ اهـ[1].

واثنتان تختص بهما الأنثى وهما الحيض لقوله ﷺ: «**أليس إذا حاضت لم تُصَلّ ولم تصم**»[2]، وهناك من ذكر أن الحمل أيضاً من علامات البلوغ قال ابن ناجي: في عدّ الحمل نظر لأنه لا يكون إلاّ بعد سبقية الإنزال من المرأة فهو راجع إلى الاحتلام.

وزاد الشهاب القرافي في العلامات رائحة الإبطين، وزاد غيره فَرْق الأرنبة من الأنف، وزاد بعضهم غِلَظ الصوت.

ولا إشكال في العلامات المذكورة بالنسبة إلى الشخص الذي تمحضت ذكورته أو أنوثته، وأما الخنثى فإن غلبت ذكورته فله حكم الذكر، أو أنوثته فله حكم الأنثى، وإن كان مشكلاً فله حكم الاحتياط فتجري فيه العلامات الخمس.

الثالث من شروط التكليف: بلوغ دعوة النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[3] ولم يذكر النّاظم هذا الشرط لعدم الحاجة إليه بسبب دعوته لكلّ أحد والله تعالى أعلم.

كتاب أم القواعد، وما انطوت عليه من العقائد

ويقصد الناظم رحمه الله تعالى بأمّ القواعد الشهادتان: لا إله إلا الله محمّد رسول الله، لأنّ الشهادتين شرط في صحة ما تبقّى من أركان الإسلام

---

(١) فتح الباري (٥٨/١). قلت والذين ردهم النبي ﷺ إنما كان ذلك في أحد وليس بدر والله أعلم انظر سبل الهدى والرشاد للإمام الصالحي (١٨٧/٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحيض (٢٩٨).

(٣) من الآية (١٩) من سورة الأنعام.

فمن لم يأت بهما لم يصحّ منه بقية قواعد الإسلام، كما صرح بذلك في قوله بعد: (وهي الشهادتان شرط الباقيات).

وقد جاء في الصّحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

لما توفي رسول اللّه ﷺ واستُخْلِف أبو بكر بعده وكفرَ من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنهما: كيف تقاتل النّاس وقد قال رسول اللّه ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا اللّه، فمن قال: لا إله إلا اللّه عصم منّي ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على اللّه عز وجل»**... الحديث[1].

والقواعد جمع قاعدة: وهي الضابط الكليّ الذي تندرج تحته جزئيات؛ وسمّاها بأمّ القواعد أي شرطاً شرعيّاً لصحة بقيّة القواعد كما أنّ وجود الأمّ شرط عادي في وجود الولد[2].

قال الناظم رحمه الله تعالى:

(يجِبُ لله) الْوُجُودُ وَالْقِدَمْ ... كذَا الْبَقَاء وَالْغِنَى الْمُطْلَقُ عَمْ
وَخُلْفُهُ لِخَلْقِهِ بِلاَ مِثَالْ ... وَوَحْدَةُ الذَّاتِ وَوَصْفٍ وَالْفِعَالْ
وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ عِلْمٌ حَيَاةْ ... سَمْعٌ كَلاَمٌ بَصَرٌ ذِي وَاجِبَاتْ
(وَيَسْتَحِيلُ) ضِدُّ هَذِهِ الصِّفاتْ ... العَدمُ والْحُدُوثُ ذَا لِلْحادِثَاتْ
كَذَاَ الْفَنَا وَالاِفْتِقَارُ عُدَّه ... وَأَنْ يُمَاثِلَ وَنَفْيُ الْوحْدَهْ
عَجْزٌ كَرَاهَةٌ وَجَهْلٌ ومَمَاتْ ... وَصَمَمٌ وَبَكَمٌ عَمى صُمَاتْ
يَجُوزُ فِي حَقِّهِ فِعْلُ الْمُمْكِنات ... بِأَسْرِهَا وَتَرْكُهَا فِي الْعَدَمَاتِ

قال الشارح: لما ذكر الناظم في مقدمة كتاب الاعتقاد أن معرفة الله تعالى: بالصفات التي قام الدليل عليها واجبة، شرع هنا في ذكر تلك الصّفات وقسّمها كغيره إلى ثلاثة أقسام: قسم واجب في حقّه تعالى، بمعنى

---

(١) متفق عليه.

(٢) الدر الثمين (٣٢).

أنّ وصفه تعالى: به واجب عقلاً لا يتصور في العقل عدمه؛ وقسم مستحيل عليه تعالى: بمعنى أنّ وصفه تعالى: به محال عقلاً لا يتصور في العقل وجوده؛ وقسم جائز في حقّه تعالى: بمعنى أنّ وصفه تعالى: به جائز عقلاً أي بحيث أنّ العقل يُجوِّز أن يُوصف به تعالى: وأن لا ينبني محال على كلّ منهما اهـ.

إلاّ أنّه ينبغي أن نقف مع شيخ مالكي مغربي من أجلّ علماء العصر الذين شهد لهم الخاص والعام بالتبحر في العلم والتفقه في الدين والزهد في الدنيا، ألا وهو شيخ مشايخنا فريد وقته، ونسيج وحده الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى، حيث فسر القرآن بالقرآن، وبما صحّ عن خير ولد عدنان ﷺ، وبيّن المعتقد الحق للخلق، وهو الذي جمع جلّ العلوم، لغةً، وفقهاً، وأصولاً، وحديثاً، ومنطقاً... إلخ، فنسوق كلامه المتميز ولو أنه طويل نوعاً ما[1]، ولكن ما نحن بصدده يحتّم علينا ذلك، ويكفينا عن الخوض في الأخذ والردّ على من أوّلوا في الصفات، حيث قال في معرض تفسيره لقول الحق تبارك وتعالى: من سورة الأعراف: عن صفات الله فقال: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

لم يفصل هنا ذلك، ولكنّه فصّله في سورة «فصلت» بقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ۖ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

---

(١) وقد أفرد ذلك في رسالة تحت عنوان «منهج دراسات الأسماء والصفات». مطبوعة من رسائل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) الآيتان (٥٤ ـ ٥٥) من سورة الأعراف.

قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾[1].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾.

هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] ونحو ذلك أشكلت على كثير من النّاس إشكالاً ضلّ بسببه خلق لا يحصى كثرة، فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه ـ سبحانه وتعالى: علواً كبيراً عن ذلك كلّه ـ والله جلّ وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أيّ لبس ولا إشكال، وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحقّ في آيات الصفات متركب من أمرين:

أحدهما: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى: عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: الإيمان بكلّ ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله ﷺ. لأنّه لا يصف الله أعلم بالله من الله ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[3]، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[4] فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله ﷺ زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[5].

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مع تنزيهه جل

---

(١) الآيات (٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢) من سورة فصلت.

(٢) من الآية (١٠) من سورة الفتح.

(٣) من الآية (١٤٠) من سورة البقرة.

(٤) الآيتان (٣ ـ ٤) من سورة النجم.

(٥) من الآية (١٦) من سورة النور.

وعلا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا. هي قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الإتصاف بصفات الكمال والجلال.

والظاهر أن السر في تعبيره بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ دون أن يقول مثلاً: وهو العلي العظيم أو نحو ذلك من الصفات الجامعة. أن السمع والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات. فبين أن الله متصف بهما، ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى، وبين صفات خلقه. ولذا جاء بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ففي هذه الآية الكريمة إيضاح للحق في آيات الصفات لا لبس معه ولا شبهة البتة، وسنوضح إن شاء الله هذه المسألة إيضاحاً تاماً بحسب طاقتنا، وبالله جل وعلا التوفيق.

اعلم أولاً: أن المتكلمين قسّموا صفاته جل وعلا إلى ستة أقسام:

صفة نفسية، وصفة سلبية، وصفة معنى، وصفة معنوية، وصفة فعلية، وصفة جامعة، والصفة الإضافية تتداخل مع الفعلية.

لأن كل صفة فعلية من مادة متعدية إلى المفعول كالخلق والإحياء والإماتة، فهي صفة إضافية، وليست كل صفة إضافية فعلية فبينهما عموم وخصوص من وجه، يجتمعان في نحو الخلق والإحياء والإماتة، وتتفرد الفعلية في نحو الاستواء، وتتفرد الإضافية في نحو كونه تعالى: كان موجوداً قبل كل شيء، وأنه فوق كل شيء، لأن القبلية والفوقية من الصفات

---

(١) من الآية (١١) من سورة الشورى.

الإضافية، وليستا من صفات الأفعال، ولا يخفى على عالم بالقوانين الكلامية والمنطقية أن إطلاق النفسية على شيء من صفاته جل وعلا أنه لا يجوز، وأن فيه من الجراءة على الله جل وعلا ما الله عالم به، وإن كان قصدهم بالنفسية في حق الله الوجود فقط وهو صحيح، لأن الإطلاق الموهم للمحذور في حقه تعالى: لا يجوز، وإن كان المقصود به صحيحاً.

لأن الصفة النفسية في الاصطلاح لا تكون إلا جنساً أو فصلاً، فالجنس كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان، والفصل كالنطق بالنسبة إلى الإنسان، ولا يخفى أن الجنس في الاصطلاح قدر مشترك بين أفراد مختلفة الحقائق كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان والفرس والحمار، وأن الفصل صفة نفسية لبعض أفراد الجنس ينفصل بها عن غيره من الأفراد المشاركة له في الجنس كالنطق بالنسبة إلى الإنسان، فإنه صفته النفسية التي تفصله عن الفرس مثلاً: المشارك له في الجوهرية والجسمية والنمائية والحساسية، ووصف الله جل وعلا بشيء يراد به اصطلاحاً ما بينا لك. من أعظم الجراءة على الله تعالى: كما ترى. لأنه جل وعلا **واحد في ذاته وصفاته وأفعاله**، فليس بينه وبين غيره **اشتراك** في شيء من ذاته، ولا من صفاته، حتى يطلق عليه ما يطلق على الجنس والفصل ـ سبحانه وتعالى: عن ذلك علواً كبيراً ـ لأن الجنس قدر مشترك بين حقائق مختلفة.

والفصل: هو الذي يفصل بعض تلك الحقائق المشتركة في الجنس عن بعض سبحان رب السماوات والأرض وتعالى: عن ذلك علواً كبيراً.

وسنبين لك أن جميع الصفات على تقسيمهم لها جاء في القرآن وصف الخالق والمخلوق بها، وهم في بعض ذلك يقرون بأن الخالق موصوف بها، وأنها جاء في القرآن أيضاً وصف المخلوق بها، ولكن وصف الخالق مناف لوصف المخلوق، كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق، ويلزمهم ضرورة فيما أنكروا مثل ما أقروا به لأن الكل من باب واحد، لأن جميع صفات الله جل وعلا من باب واحد، لأن المتصف بها لا يشبهه شيء من الحوادث.

فمن ذلك: الصفات السبع. المعروفة عندهم بصفات المعاني وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام.

فقد قال تعالى: في وصف نفسه **بالقدرة**: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

وقال في وصف الحادث بها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾[2] فأثبت لنفسه قدرة حقيقية لائقة بجلاله وكماله، وأثبت لبعض الحوادث قدرة مناسبة لحالهم من الضعف والافتقار والحدوث الفناء، وبين قدرته، وقدرة مخلوقه من المنافاة ما بين ذاته وذات مخلوقه. وقال في وصف نفسه **بالإرادة**: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[3]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[4]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[5]، ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف المخلوق بها: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾[6]، ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[7]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾[8]، ونحو ذلك من الآيات.

فله جل وعلا إرادة حقيقية لائقة بكماله وجلاله، وللمخلوق إرادة أيضاً مناسبة لحاله، وبين إرادة الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

---

(١) من الآية (٤٠) من سورة المائدة.
(٢) من الآية (٣٤) من سورة المائدة.
(٣) الآية (١٦) من سورة البروج.
(٤) الآية (٨٢) من سورة يس.
(٥) من الآية (١٥٨) من سورة البقرة.
(٦) من الآية (٦٧) من سورة الأنفال.
(٧) من الآية (١٣) من سورة الأحزاب.
(٨) من الآية (٨) من سورة الصف.

وقال في وصف نفسه **بالعلم**: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[2]، ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾[3].

وقال في وصف الحادث به: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[4]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾[5]، ونحو ذلك من الآيات.

فله جل وعلا علم حقيقي لائق بكماله وجلاله، وللمخلوق علم مناسب لحاله، وبين علم الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وقال في وصف نفسه **بالحياة**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[6]، ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[7]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[8]، ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف المخلوق بها: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾[9]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَىٍّ﴾[10]، ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[11].

فله جل وعلا حياة حقيقية تليق بجلاله وكماله، وللمخلوق أيضاً حياة

---

(١) من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٦٦) من سورة النساء.
(٣) الآية (٧) من سورة الأعراف.
(٤) من الآية (٢٨) من سورة الذاريات.
(٥) من الآية (٦٨) من سورة يوسف.
(٦) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.
(٧) من الآية (٦٥) من سورة غافر.
(٨) من الآية (٥٨) من سورة الفرقان.
(٩) الآية (١٥) من سورة مريم.
(١٠) من الآية (٣٠) من سورة الأنبياء.
(١١) من الآية (١٩) من سورة الروم.

مناسبة لحاله. وبين حياة الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وقال في وصف نفسه **بالسمع والبصر**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف الحادث بهما: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾[1]، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾[2]، ونحو ذلك من الآيات.

فله جل وعلا سمع وبصر حقيقيان يليقان بكماله وجلاله، وللمخلوق سمع وبصر مناسبان لحاله. وبين سمع الخالق وبصره، وسمع المخلوق وبصره من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وقال في وصف نفسه **بالكلام** ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[3]، ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾[4]، ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[5] ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف المخلوق به: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[6]، ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾[7]، ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[8]، ونحو ذلك من الآيات.

---

(١) الآية (٢) من سورة الإنسان.
(٢) من الآية (٣٨) من سورة مريم.
(٣) من الآية (١٦٤) من سورة النساء.
(٤) من الآية (١٤٤) من سورة الأعراف.
(٥) من الآية (٦) من سورة التوبة.
(٦) من الآية (٥٤) من سورة يوسف.
(٧) من الآية (٦٥) من سورة يس.
(٨) من الآية (٢٩) من سورة مريم.

فله جل وعلا كلام حقيقي يليق بكماله وجلاله. وللمخلوق كلام أيضاً مناسب لحاله. وبين كلام الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وهذه الصفات السبع المذكورة يثبتها كثير ممن يقول بنفي غيرها من صفات المعاني.

والمعتزلة ينفونها ويثبتون أحكامها فيقولون: هو تعالى: حي قادر، مريد عليم، سميع بصير، متكلم بذاته لا بقدرة قائمة بذاته، ولا إرادة قائمة بذاته هكذا فراراً منهم من تعدد القديم.

ومذهبهم الباطل لا يخفى بطلانه وتناقضه على أدنى عاقل. لأن من المعلوم أنّ الوصف الذي منه الاشتقاق إذا عدم فالاشتقاق منه مستحيل فإذا عدم السواد عن جرم مثلاً استحال أن تقول هو أسود، إذ لا يمكن أن يكون أسود ولم يقم به سواد، وكذلك إذا لم يقم العلم والقدرة بذات، استحال أن تقول: هي عالمة قادرة لاستحالة اتصافها بذلك، ولم يقم بها علم ولا قدرة. قال في «مراقي السعود»:

وعند فَقْدِ الْوَصْفِ لاَ يُشْتَقُّ وَأَعْوَزَ الْمُعْتَزِلِيَّ الْحَقُّ

وأما **الصفات المعنوية** عندهم: فهي الأوصاف المشتقة من صفات المعاني السبع المذكورة، وهي كونه تعالى: قادراً، مريداً عالماً حياً، سميعاً بصيراً، متكلماً.

والتحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بالمعاني، وعد المتكلمين لها صفات زائدة على صفات المعاني، مبني على ما يسمونه الحال المعنوية. زاعمين أنها أمر ثبوتي ليس بموجود، ولا معدوم.

والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذا الذي يسمونه الحال المعنوية لا أصل له، وإنما هو مطلق تخييلات يتخيلونها. لأن العقل الصحيح حاكم حكماً لا يتطرقه شك بأنه لا واسطة بين النقيضين البتة.

فالعقلاء كافة مطبقون على أن النقيضين لا يجتمعان، ولا يرتفعان،

ولا واسطة بينهما البتة، فكل ما هو غير موجود، فإنه معدوم قطعاً، وكل ما هو غير معدوم، فإنه موجود قطعاً، وهذا مما لا شك فيه كما ترى.

وقد بينا في اتصاف الخالق والمخلوق بالمعاني المذكورة منافاة صفة الخالق للمخلوق، وبه تعلم مثله في الاتصاف بالمعنوية المذكورة لو فرضنا أنها صفات زائدة على صفات المعاني. مع أن التحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بها.

وأما **الصفات السلبية** عندهم: فهي خمس، وهي عندهم: القدم، والبقاء، والوحدانية، والمخالفة للخلق، والغنى المطلق، المعروف عندهم بالقيام بالنفس.

وضابط الصفة السلبية عندهم: هي التي لا تدل بدلالة المطابقة[1] على معنى وجودي أصلاً، إنما تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله.

أما الصفة التي تدل على معنى وجودي: فهي المعروفة عندهم بصفة المعنى، فالقدم مثلاً عندهم لا معنى له بالمطابقة، إلا سلب العدم السابق، فإن قيل: القدرة مثلاً تدل على سلب العجز، والعلم يدل على سلب الجهل، والحياة تدل على سلب الموت، فلم لا يسمون هذه المعاني سلبية أيضاً؟

فالجواب: أن القدرة مثلاً تدل بالمطابقة على معنى وجودي قائم بالذات، وهو الصفة التي يتأتى بها إيجاد الممكنات وإعدامها على وفق الإرادة، وإنما سلبت العجز بواسطة مقدمة عقلية، وهي أن العقل يحكم بأن قيام المعنى الوجودي بالذات يلزمه نفي ضده عنها لاستحالة اجتماع الضدين عقلاً، وهكذا في باقي المعاني.

---

(١) قال الأخضري في السلم المنورق:

دلالة اللفظ على ما وافقه ... يدعونها دلالة المطابقة

أي أنها سميت بذلك لمطابقة الفهم للوضع اللغوي، لأن الواضع وضع اللفظ ليدل على المعنى بتمامه وقد فهمناه بتمامه، كدلالة الإنسان على مجموع الحيوان الناطق. (رسالة في المنطق إيضاح المبهم في معاني السلم للعلامة الدمنهوري ٤١ ـ ٤٢).

أما القدم عندهم مثلاً: فإنه لا يدل على شيء زائد على ما دل عليه الوجود، إلا سلب العدم السابق، وهكذا في باقي السلبيات، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن القدم، والبقاء اللذين يصف المتكلمون بهما الله تعالى: زاعمين، أنه وصف بهما نفسه في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[1]، جاء في القرآن الكريم وصف الحادث بهما أيضاً، قال في وصف الحادث بالقدم: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾[2]، وقال: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾[3]، وقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾[4]، وقال في وصف الحادث بالبقاء: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾[5]، وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[6]، وكذلك وصف الحادث بالأولية والآخرية المذكورتين في الآية. قال: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[7]، ووصف نفسه بأنه واحد، قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[8]، وقال في وصف الحادث بذلك ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾[9]، وقال في وصف نفسه بالغني، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[10]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾[11]، وقال في وصف الحادث بالغني: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾[12]، ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ

---

(١) من الآية (٣) من سورة الحديد.
(٢) الآية (٣٩) من سورة يس.
(٣) من الآية (٩٥) من سورة يوسف.
(٤) الآيتان (٧٥ ـ ٧٦) من سورة الشعراء.
(٥) الآية (٧٧) من سورة الصافات.
(٦) من الآية (٩٦) من سورة النحل.
(٧) الآيتان (١٦ ـ ١٧) من سورة المرسلات.
(٨) من الآية (١٦٣) من سورة البقرة.
(٩) من الآية (٤) من سورة الرعد.
(١٠) من الآية (١٥) من سورة فاطر.
(١١) الآية (٨) من سورة إبراهيم.
(١٢) من الآية (٦) من سورة النساء.

يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾[1]، فهو جل وعلا موصوف بتلك الصفات حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، والحادث موصوف بها أيضاً على الوجه المناسب لحدوثه وفنائه، وعجزه وافتقاره، وبين صفات الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين الخالق والمخلوق، كما بيناه في صفات المعاني.

وأما **الصفة النفسية** عندهم: فهي واحدة، وهي الوجود، وقد علمت ما في إطلاقها على الله، ومنهم من جعل الوجود عين الذات فلم يعده صفة، كأبي الحسن الأشعري، وعلى كل حال، فلا يخفى أن الخالق موجود، والمخلوق موجود، ووجود الخالق ينافي وجود المخلوق، كما بينا.

ومنهم من زعم أن القدم والبقاء صفتان نفسيتان، زاعما أنهما طرفا الوجود الذي هو صفة نفسية في زعمهم.

وأما **الصفات الفعلية**، فإن وصف الخالق والمخلوق بها كثير في القرآن، ومعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذاته لذاته، فمن ذلك وصفه جل وعلا نفسه بأنه يرزق خلقه، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾[2]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[3]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[4].

وقال في وصف الحادث بذلك: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾[5]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾[6].

ووصف نفسه بالعمل، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾[7]، وقال في وصف الحادث به: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[8]

---

(١) من الآية (٣٢) من سورة النور.
(٢) من الآية (٥٨) من سورة الذاريات.
(٣) من الآية (٣٩) من سورة سبأ.
(٤) من الآية (٦) من سورة هود.
(٥) من الآية (٨) من سورة النساء.
(٦) من الآية (٢٣٣) من سورة البقرة.
(٧) من الآية (٧١) من سورة يس.
(٨) من الآية (٢٤) من سورة الواقعة.

ووصف نفسه بتعليم خلقه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾[1].

وقال في وصف الحادث به: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[2].

وجمع المثالين في قوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾[3].

ووصف نفسه بأنه ينبىء، ووصف المخلوق بذلك، وجمع المثالين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾[4].

ووصف نفسه بالإيتاء، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾[5]، وقال: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[6]، وقال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[7]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[8].

وقال في وصف الحادث بذلك: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[9]، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[10]، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[11]. وأمثال هذا كثيرة جداً في القرآن العظيم.

---

(١) الآيات (١ ـ ٢ ـ ٣) من سورة الرحمن.
(٢) من الآية (٢) من سورة الجمعة.
(٣) من الآية (٤) من سورة المائدة.
(٤) الآية (٣) من سورة التحريم.
(٥) من الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.
(٦) من الآية (٢٦٩) من سورة البقرة.
(٧) من الآية (٣) من سورة هود.
(٨) من الآية (٢١) من سورة الحديد.
(٩) من الآية (٢٠) من سورة النساء.
(١٠) من الآية (٢) من سورة النساء.
(١١) من الآية (٤) من سورة النساء.

ومعلوم أن ما وصف به الله من هذه الأفعال فهو ثابت له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله. وما وصف به المخلوق منها فهو ثابت له أيضاً، على الوجه المناسب لحاله، وبين وصف الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وأما الصفات الجامعة، كالعظم والكبر والعلو، والملك والتكبر والجبروت، ونحو ذلك. فإنها أيضاً يكثر جداً وصف الخالق والمخلوق بها في القرآن الكريم.

ومعلوم أن ما وصف به الخالق منها مناف لما وصف به المخلوق، كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق. قال في وصف نفسه جلا وعلا بالعلو والعظم والكبر: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[2]، ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾[3].

وقال في وصف الحادث بالعظم: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4]، ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾[5]، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[6]، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[7]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال في وصف الحادث بالكبر: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[8]، وقال: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[9]، وقال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[10]، وقال: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٣٤) من سورة النساء.
(٣) من الآية (٩) من سورة الرعد.
(٤) من الآية (٦٣) من سورة الشعراء.
(٥) من الآية (٤٠) من سورة الإسراء.
(٦) من الآية (٢٣) من سورة النمل.
(٧) من الآية (١٢٩) من سورة التوبة.
(٨) من الآية (٧) من سورة فاطر.
(٩) من الآية (٣١) من سورة الإسراء.
(١٠) من الآية (٧٣) من سورة الأنفال.

هَدَى ٱللَّهُ﴾[1]، وقال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[2].

وقال في وصف الحادث بالعلو: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[3]، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[4]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال في وصف نفسه بالملك: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾[5]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾[6].

وقال: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[7].

وقال في وصف الحادث به: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾[8]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾[9]، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[10]، ﴿أَنَّ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾[11]، ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[12]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال في وصف نفسه بالعزة: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾[13]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[14]، ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ

---

(١) من الآية (١٤٣) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٤٥) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٥٧) من سورة مريم.
(٤) من الآية (٥٠) من سورة مريم.
(٥) الآية (١) من سورة الجمعة.
(٦) من الآية (٢٣) من سورة الحشر.
(٧) من الآية (٥٥) من سورة القمر.
(٨) من الآية (٤٣) من سورة يوسف.
(٩) من الآية (٥٤) من سورة يوسف.
(١٠) من الآية (٧٩) من سورة الكهف.
(١١) من الآية (٢٤٧) من سورة البقرة.
(١٢) من الآية (٢٦) من سورة آل عمران.
(١٣) من الآية (٢٠٩) من سورة البقرة.
(١٤) الآية (١) من سورة الجمعة.

ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾[1].

وقال في وصف الحادث العزة ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾[2]، ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[3].

وقال في وصف نفسه جل وعلا بأنه جبار متكبر ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[4].

وقال في وصف الحادث بهما: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[5]، ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[6]، ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[7]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال في وصف نفسه بالقوة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[8]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[9].

وقال في وصف الحادث بها: ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[10]، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[11]، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[12]. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾[13]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) من الآية (٩) من سورة ص.
(٢) من الآية (٥١) من سورة يوسف.
(٣) من الآية (٢٣) من سورة ص.
(٤) من الآية (٢٣) من سورة الحشر.
(٥) من الآية (٣٥) من سورة غافر.
(٦) من الآية (٦٠) من سورة الزمر.
(٧) الآية (١٣٠) من سورة الشعراء.
(٨) الآية (٥٨) من سورة الذاريات.
(٩) من الآية (٤٠) من سورة الحج.
(١٠) من الآية (١٥) من سورة فصلت.
(١١) من الآية (٥٢) من سورة هود.
(١٢) من الآية (٢٦) من سورة القصص.
(١٣) من الآية (٥٤) من سورة الروم.

وأمثال هذا من الصفات الجامعة كثيرة في القرآن، ومعلوم أنه جل وعلا متصف بهذه الصفات المذكورة حقيقة على الوجه اللائق بكماله، وجلاله، وإنما وصف به المخلوق منها مخالف لما وصف به الخالق، كمخالفة ذات الخالق جل وعلا لذوات الحوادث، ولا إشكال في شيء من ذلك، وكذلك الصفات التي اختلف فيها المتكلمون. هل هي من صفات المعاني أو من صفات الأفعال، وإن كان الحق الذي لا يخفى على من أنار الله بصيرته أنها صفات معان أثبتها الله جل وعلا لنفسه، كالرأفة والرحمة.

قال في وصفه جل وعلا بهما:

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقال في وصف نبينا ﷺ بهما: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[2]، وقال في وصف نفسه بالحلم: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾[3].

وقال في وصف الحادث به: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[4] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[5].

وقال في وصف نفسه بالمغفرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6]. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[7]، ونحو ذلك من الآيات.

---

(١) من الآية (٧) من سورة النحل.
(٢) من الآية (١٢٨) من سورة التوبة.
(٣) من الآية (٥٩) من سورة الحج.
(٤) الآية (١٠١) من سورة الصافات.
(٥) الآية (٧٥) من سورة هود.
(٦) من الآية (٩٩) من سورة التوبة.
(٧) من الآية (٣) من سورة الحجرات.

وقال في وصف الحادث بها: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[1]. ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾[2]. ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[3]، ونحو ذلك من الآيات.

ووصف نفسه جل وعلا بالرضى ووصف الحادث به أيضاً فقال: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[4] ووصف نفسه جل وعلا بالمحبة، ووصف الحادث بها، فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[5]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[6].

ووصف نفسه بأنه يغضب إن انتهكت حرماته فقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[7]، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾[8].

وقال في وصف الحادث بالغضب: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾[9]، وأمثال هذا كثير جداً.

والمقصود عندنا ذكر أمثلة كثيرة من ذلك، مع إيضاح أن كل ما اتّصف به جلّ وعلا من تلك الصّفات بالغ من غايات الكمال والعلوّ والشرف ما يقطع علائق جميع أوهام المشابَهَة بين صفاته جلّ وعلا، وبين صفات خلقه، سبحانه وتعالى: عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) من الآية (٤٣) من سورة الشورى.
(٢) من الآية (١٤) من سورة الجاثية.
(٣) من الآية (٢٦٣) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (٨) من سورة البينة.
(٥) من الآية (٥٤) من سورة المائدة.
(٦) من الآية (٣١) من سورة آل عمران.
(٧) من الآية (٦٠) من سورة المائدة.
(٨) من الآية (٩٣) من سورة النساء.
(٩) من الآية (١٥٠) من سورة الأعراف.

فإذا حقَّقْت كلَّ ذلك علمت أنّه جلّ وعلا وصف نفسه بالاستواء على العرش، ووصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات، فتمدَّح جلّ وعلا في سبع آيات من كتابه باستوائه على عرشه، ولم يذكر صفة الاستواء إلاّ مقرونة بغيرها من صفات الكمال، والجلال.

القاضية بعظمته وجلاله جلّ وعلا، وأنّه الرّبّ وحده، المستحقّ لأنْ يعبد وحده.

الموضع الأول: بحسب ترتيب المصحف الكريم. قوله في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[1].

الموضع الثاني: قوله تعالى: في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[2].

الموضع الثالث: قوله تعالى: في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ۖ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[3].

---

(١) الآية (٥٤) من سورة الأعراف.

(٢) الآيتان (٣، ٤) من سورة يونس.

(٣) الآيات (٢ ـ ٤) من سورة الرعد.

الموضع الرابع: قوله تعالى: في سورة طه: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾[1].

الموضع الخامس: قوله في سورة الفرقان: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾[2].

الموضع السادس: قوله تعالى: في سورة السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾[3].

الموضع السابع: قوله تعالى: في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[4].

وقال جل وعلا في وصف الحادث بالاستواء على بعض المخلوقات: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾[5]، ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾[6]، ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾[7]، ونحو ذلك من الآيات.

وقد علمت مما تقدم أنه لا إشكال في ذلك، وأن للخالق جل وعلا

---

(١) الآيات (٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦) من سورة طه.

(٢) الآيتان (٥٨ ـ ٥٩) من سورة الفرقان.

(٣) الآية (٤) من سورة السجدة.

(٤) من الآية (٤) من سورة الحديد.

(٥) من الآية (١٣) من سورة الزخرف.

(٦) من الآية (٢٨) من سورة المؤمنون.

(٧) من الآية (٤٤) من سورة هود.

استواء لائقاً بكماله وجلاله، وللمخلوق أيضاً استواء مناسب لحاله، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق على نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] كما تقدم إيضاحه.

وينبغي للناظر في هذه المسألة التأمل في أمور:

الأمر الأول: أن جميع الصفات من باب واحد، لأن الموصوف بها واحد، ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفاتهم، فمن أثبت مثلاً أنه:

سميع بصير، وسمعه، وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم، لزمه مثل ذلك في جميع الصفات. كالاستواء، واليد، ونحو ذلك من صفاته جل وعلا، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال.

الأمر الثاني: أن الذات والصفات من باب واحد أيضاً، فكما أنه جل وعلا، له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق، فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق.

الأمر الثالث: في تحقيق المقام في الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات. كالاستواء واليد مثلاً.

اعلم أولاً: أنه غلط خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معنى الاستواء واليد مثلاً: في الآيات القرآنية. هو مشابهة صفات الحوادث. وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعاً[2]، لأن اعتقاد ظاهره كفر. لأن من شبه الخالق بالمخلوق فهو كافر، ولا يخفى على أدنى عاقل أن حقيقة معنى هذا القول أن الله وصف

---

(١) من الآية (١١) من سورة الشورى.

(٢) كما أشار إلى ذلك المقري في إضاءة الدجنة وقد رد عليه علماؤنا دعوى الإجماع، في ذلك انظر تنبيه الخلف الحاضر على أن تفويض السلف لا ينافي الإجراء على الظاهر لشيخنا العلامة محمد بن البوصير الملقب بداه (ص١٥) ط/دار ابن حزم.

نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جلّ وعلا». اهـ.

قلت: بمعنى آخر أن مفهوم هؤلاء القوم: أن الله تعالى: أخبرنا بصفات لو تركناها على ظاهرها لكفرنا ـ والعياذ بالله ـ فهل يكلفنا الباري جلّ جلاله باعتقادٍ يجرّ العباد إلى الكفر، أو يُعْمِي عليهم مفهومها ثم يكلّفهم بما ليس في وسعهم، هذا محال.

ثم قال الشيخ الأمين: والنَّبي ﷺ الذي قيل له ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1] لم يبين حرفاً واحداً من ذلك مع إجماع من يعتدّ به من العلماء، على أنّه ﷺ لا يجوز في حقّه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد ولا سيما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين.

حتى جاء هؤلاء الجهلة من المتأخرين، فزعموا أنّ الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنَّبي ﷺ كتمَ أنّ ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللّفظ عنه، وكلّ هذا من تلقاء أنفسهم من غير اعتماد على كتاب أو سنة، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[2].

ولا يخفى أنّ هذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء على الله جلّ وعلا، ورسوله ﷺ، والحقّ الذي لا يشكّ فيه أدنى عاقل أنّ كلّ وصف وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ.

فظاهره المتبادر منه، السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو: التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث. فبمجرد إضافة الصفة إليه، جل وعلا، يتبادر إلى الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة الموصوف بها الخالق، وبين شيء من صفات المخلوقين، وهل ينكر عاقل، أن السابق إلى الفهم المتبادر لكلّ عاقل: هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته، وجميع صفاته، لا والله لا ينكر ذلك إلاّ مكابر.

---

(١) من الآية (٤٤) من سورة النحل.

(٢) من الآية (١٦) من سورة النور.

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات، لا يليق بالله. لأنه كفر وتشبيه، إنما جرّ إليه ذلك تنجيس قلبِه، بقدر التّشبيه بين الخالق والمخلوق، فأدّاه شؤم التّشبيه إلى نفي صفات الله جلّ وعلا، وعدم الإيمان بها. مع أنّه جلّ وعلا، هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبّهاً أولاً، ومعطّلا ثانياً. فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء، ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظّماً لله كما ينبغي، طاهراً من أقذار التشبيه. لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه: أو وصف الله جل وعلا، بالغ من الكمال، والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعدّاً للإيمان بصفات الكمال، والجلال الثابتة لله في القرآن والسنّة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق على نحو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فلو قال منقطع: بيّنوا لنا كيفية الاتصاف بصفة الاستواء واليد، ونحو ذلك لنعقلها. قلنا: أعرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة بتلك الصفات؟

فلا بد أن يقول: لا. فتقول: معرفة كيفية الإتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فسبحان من لا يستطيع غيره أن يحصي الثناء عليه هو، كما أثنى على نفسه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[1]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[3]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[4].

فتحصل من جميع هذا البحث أن الصفات من باب واحد، وأن الحق فيها متركب من أمرين:

---

(١) من الآية (١١٠) من سورة طه.

(٢) من الآية (١١) من سورة الشورى.

(٣) سورة الإخلاص.

(٤) من الآية (٧٤) من سورة النحل.

الأول: تنزيه الله جلّ وعلا عن مشابهة الخلق.

والثاني: الإيمان بكلّ ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ إثباتاً، أو نفياً. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، والسلف الصالح، رضي الله عنهم ما كانوا يشكّون في شيء من ذلك، ولا كان يُشكل عليهم. ألا ترى إلى قول الفرزدق وهو شاعر فقط، وأما من جهة العلم، فهو عامي:

وكيف أخاف النّاسَ والله قابض على النّاس والسَّبْعَيْنِ في راحة اليد

ومراده بالسبعين: سبع سماوات، وسبع أرضين.

فمن علم مثل هذا من كون السماوات والأرضين في يده جل وعلا أصغر من حبة خردل، فإنه عالم بعظمة الله وجلاله لا يسبق إلى ذهنه مشابهة صفاته لصفات الخلق، ومن كان كذلك زال عنه كثير من الإشكالات التي أشكلت على كثير من المتأخرين، وهذا الذي ذكرنا من تنزيه الله جل وعلا عما لا يليق به، والإيمان بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ. هو معنى قول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة.

ويروى نحو قول مالك هذا عن شيخه ربيعة بن أبي عبدالرحمن، وأم سلمة رضي الله عنها ـ والعلم عند الله تعالى ـ اهـ[1].

وقد جمع هذه المعاني المنثورة شيخنا العلامة محمد سالم ولد عبدالودود (عدود) الشنقيطي حفظه الله تعالى صاحب نظم مختصر سيدي خليل فاحفظها فإنها نافعة فقال:

الظَّاهرُ الّذي عليه نُبقي مُوهِمَ تَشْبِيهٍ لِرَبِّ الخلْق
هو الذي أهلُ اللِّسان فهموا إذ نزل الوحيُ به عليهمُ[2]

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/٣٢).

(٢) أي العرب الذين نزل بلغتهم الوحي.

فلا أبو بكر لخير الرّسلِ ... يقول أشكلَ عليَّ اشْرَحه لِي
ولا أبو جهل يقول: اختلفا ... أثبت ما من التماثل نفى[1]
وهو الذي في قول بابا المرتضى ... سيفِ الهُدى العضْب الحسام المُنْتَضَى[2]
ما أوْهمَ التّشبيهَ في آياتِ ... وفي أحاديثَ عن الثِّقاتِ
فهْيَ صفاتٌ وُصِف الرَّحمانُ ... بها وواجبٌ بها الإيمانُ
ثمّ على ظاهرها نبقيها ... ونحذر التأويل والتشبيها[3]
والظاهرُ اللَّذْ صرفُهُ عنه يجبْ ... هو الذي يفهمه من قد حجب[4]
فهو يسير في الظلام الدامس ... بين مَوَامِي الفتنة الطَّوَامِس
وهو الذي يقول فيه المقرِي ... المغربيُّ المالكيُّ الأشعريُّ[5]

---

(١) أي فلا الصديق تلميذ النبي ﷺ يقول للنبي ﷺ اشرح لي معاني هذه الصفات فلم أفهمها، ولا أبو جهل اللعين الذي كان يلتمس العثرات قال ها هو محمد ﷺ يثبت لله جل وعلا مماثلته للخلق وقد كان ينفيها، وينزه ربه عنها.

(٢) أي وهو الذي نظمه الشيخ العلامة المجدد بأرض المرابطين الشيخ بابا ولد الشيخ سيديا رحمه الله تعالى، وقد وصفه بأنه سيف الهدى أي القاطع للشبه المثبت لقول الحق، والعضب، والحسام، والمنتضى كلها نعوت للشيخ المبارك المشبه بالسيف.

(٣) أي يجب علينا الإيمان بمعانيها الظاهرة مع إبقائها على ظواهرها دون تأويل: وهو صرف اللفظ عن ظاهره، أو تشبيه: وهو جعل المشبه به مماثلاً للمشبه في كل شيء.

(٤) أي أن المحجوب عن الفهم هو الذي يصرف الظواهر إلى المشابهة والمماثلة، فهو بذلك يسير في الظلام شديدِ الحلكة بين فلوات الفتنة الواسعة سريعة الهلكة وقليلة النجاة، بعيدة الرجعة والقفول إلى النجاة، وهل هناك فتنة أكبر من أن يشبه الخالق بالمخلوق؟ أو يعطل الخالق عن صفاته التي تليق بجلاله بسبب قصر الفهم وخوف التشبيه ألم يكف مُنَوَّرَ القلبِ ذَكِيَّ الْفُؤَادِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وفي هذا تصحيح لما تضمنته إضاءة الدجنة للإمام الشيخ الفقيه القاضي أبي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني المتوفى سنة ٧٥٩هـ.

(٥) المقري التلمساني (١٥٧٨ ـ ١٦٣١) مؤرخ، وصاحب كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحد أبرز المراجع المكتوبة حول الأندلس. ولد أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري القرشي الملقب بشهاب الدين سنة ٩٨٦هـ، الموافقة لسنة ١٥٧٨م بمدينة تلمسان وأصل أسرته من قرية مقرة (بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة) التي تقع في ولاية المسيلة؛ نشأ بمدينة تلمسان (تلمسان) أحد أعلام القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، توفي المقري التلمساني سنة ١٠٤١هـ، الموافقة لسنة ١٦٣١م.

(والنَّصَّ إن أوْهَمَ غيرَ اللَّائِقِ ... بالله كالتَّشْبيهِ بالخلائق
فاصرفه عن ظاهره إجماعا ... واقْطَعْ عن الممتنع الأطماعا)
فواجبُ اللَّذْ منه تشبيها فُهِمْ ... جَرَاءَ ضَعْفِ فَهْمِه أن يتَّهِمْ
في ذاك فهمَهُ فلا دِلاَلَه ... فيه لما من شَبَهٍ جَلاَلَهْ[1]
أصلا: ولو سلّم تسليم الجدل ... أن كان ظاهرا على التشبيه دلّ
تعيّن الصّرف بلا خلاف ... فليس في النّظمين من تناف
إذ وحدة الموضوع للتّناقض ... شرطٌ، وباختلافه هنا قُضي[2]
يبقى لنا تصويب قول المقري: ... (فاصرفه عن ظاهره) فهو حري
بقوله بدَلَه (فاصرفه عن ... مُوهِمِهِ) إذ ذّا به الإشكال عنّ[3]

الصفة النفسية بيانها والقول الحقّ فيها:

قول الناظم: (يجب لله الوجود والقدم) قال الشارح: قسم الناظم الصفات كغيره إلى ثلاثة أقسام؛ قسم واجب في حقّه تعالى: بمعنى أنّ وصفه تعالى به واجب عقلاً لا يتصور في العقل عدمه، وقسم مستحيل عليه تعالى: بمعنى أن وصفه تعالى به محال عقلاً لا يتصور في العقل وجوده،

---

(١) جلاله: أي بان له أي كان ينبغي لمن اتضح له أن إمرار الصفات على ظواهرها مناف للتنزيه عليه أن يتهم فهمه لنصوص الشرع، ولأئمة الهدى الذين أقروها ثم أمروها على ظاهرها.

(٢) قوله ولو سلم تسليم الجدل: إلخ... أي لو تنازلنا للشيخ المقري وقلنا بأن التناقض وهو عند المناطقة: ثبوت الشيء وسلبه، كما لو قلنا: زيد كاتب، وزيد ليس بكاتب، هنا جاء التناقض كيف يكون زيد كاتباً وفي نفس الوقت ليس بكاتب، فلا بد من إثبات أحدهما ونفي الآخر لأن التناقض جرى على واحد لا متعدد، فلذلك قال شيخنا حفظه الله تعالى: إذ وحدة الموضوع للتناقض، أي شرط التناقض دورانه على موضوع واحد، لكن هنا في مسألة الصفات والخوف من الشبه تعدد الموضوع: صفات لله، وصفات للمخلوق، خالق ليس كمثله شيء، ولا يمكن معرفة كنه ذاته فلا يمكن معرفة حقيقة صفاته بمجرد تشابه الألفاظ. فافهم.

(٣) بقي شيء واحد وهو تصويب قول المقري: فاصرفه عن ظاهره. (فنضع فاصرفه عن موهمه أي ما يدعو للإيهام فيتضح الإشكال) وانظر متفضلاً شروح السلم المنورق للأخضري عند فصل التناقض.

وقسم جائز في حقّه تعالى: بمعنى أن وصفه تعالى به جائز عقلاً، أي: بحيث أن العقل يُجَوِّز أن يوصف به تعالى وأنْ لا، ولا ينبني محال على كل منهما فالقسم الأول ثلاث عشرة صفة وكذا الثاني لأن كل صفةٍ واجبةٍ يستحيل ضدها[1].

الوجود: وضده العدم، فوجوده سبحانه غير مسبوق بعدم، فهو صفة قائمة بالذات لا تنفك عنها، واختار جمهور الأشاعرة أنه صفة نفسية بمعنى أن الوصف به يدل على الذات نفسها لا على صفة وجودية زائدة.

والصحيح أنّ وجود الله ليس زائداً على الذات منفكّاً عنه بحيث يُرَى الوجود ويُرَى الموجود، وإنما التفريق هنا ذهني غير قائم في الخارج[2]، ودليل الوجود هو ما يدرك بأدنى نظر، ولا ينكره إلا جهول أو من خرج عن المعقول»[3]، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[4] وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾[5]، وقال مبيّناً عجز الخلق، وافتقارهم إلى صانع: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ

---

(١) انظر الدر الثمين والمورد المعين (٣٣) بتصرف يسير.

(٢) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة حاشية.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (٩٤/١).

(٤) الآيات من سورة الواقعة.

(٥) الآية (١) من سورة الإنسان.

ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1].

وروى البخاري وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن (أول) هذا الأمر، فقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وفي رواية: ولم يكن شيء معه، وفي رواية غيره: وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض، وفي لفظ: ثم خلق السماوات والأرض. فقوله كتب في الذكر - يعني اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾[2]، يسمى ما يكتب في الذكر ذكراً، كما يسمى ما يكتب في الكتاب كتاباً.

وقفة تأمل مع الذرة: «بعض الأشاعرة - السابقين - حينما أرسوا نظرية الجوهر الفرد والأعراض المحدثة، المتعلقة بالجواهر الحادثة التي تحتاج إلى محدث، هو الله، أخذتهم الحماسة لهذه النظرية بصفتها الأساس الذي يقوم عليه الإيمان بوجود الله، ومن ثم فرضوا الإيمان بها، وحصروا الدليل بها، بحيث إن عدم الإيمان بها يعني اختلال الإيمان العقلي بوجود الله (لأن انتفاء الدليل يعني انتفاء المدلول، كما يقول الباقلاني)، ثم انهارت نظرية الجوهر الفرد، وتجزأ الجزء الذي لا يتجزأ إلى طاقة، حينما فُجِّرت الذّرّة، وكان هذا انهياراً لعلم الكلام القائم على هذه النظرية، ولو كان علم الكلام هو الحامل للواء الإسلام حينما فجرت الذرة، لكان ذلك سلاحاً بيد أعداء الإسلام، لتأكيد بطلانه نتيجة هذا الفساد لأساسه»[3].

الصفات السلبية: وهي التي لا تدل بدلالة المطابقة على معنى

---

(١) من الآية (٣٥ - ٣٦) من سورة الطور.

* من الكتب التي ينصح بقراءتها والذي يعتمد على حقائق العلم الناتجة عن المنهج التجريبي، كتاب الشيخ عبد المجيد الزنداني (توحيد الخالق).

(٢) من الآية (١٠٥) من سورة الأنبياء.

(٣) مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر د/عبدالرحمن الزنيدي ط/دار إشبيليا.

وجوديّ، وإنما تدل على سلب ما لا يليق بالله تعالى: وهي خمس صفات، عند الأشاعرة.

الأولى: القدم: وضدّه الحدوث وهو عبارة عن سلب العدم السّابق على الوجود، وهي صفة اشتقها من اشتق من اسم القديم وهو اسم غير ثابت بالنّصوص الصّحيحة لله تبارك في علاه قال ابن أبي العز: وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى: القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى[1]، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدّم على غيره، فيقال: هذا قديم، للعتيق، وهذا حديث، للجديد.

ولم يستعملوا هذا الاسم إلاّ في المتقدّم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[2]. والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول: قديم، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾[3] أي متقدم في الزمان. وقال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾[4]. فالأقدم مبالغة في القديم، ومنه: القول القديم والجديد للشافعي رحمه الله تعالى. وقال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[5]، أي يتقدمهم.

ويستعمل منه الفعل لازماً ومتعدياً، كما يقال: أخذت ما قدم وما

---

(١) تنبيه: وما قاله ميارة من أنه وارد في سنن ابن ماجة فإنه وارد لكن ضعيف رقم (٣٨٦١) قال في الزوائد: لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا من غيره، غير ابن ماجة والترمذيّ، مع تقديم وتأخير، وطريق الترمذيّ أصحّ شيء في الباب. قال: وإسناد طريق ابن ماجة ضعيف، لضعف عَبْد الملك بن محمد.

(٢) من الآية (٣٩) من سورة يس.

(٣) من الآية (١١) من سورة الأحقاف.

(٤) الآيتان (٧٥ ـ ٧٦) من سورة الشعراء.

(٥) من الآية (٩٨) من سورة هود.

حدث، ويقال: هذا قدم هذا وهو يقدمه. ومنه سميت القدم قدماً، لأنها تقدم بقية بدن الإنسان، وأمّا إدخال القديم في أسماء الله تعالى، فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام. وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف، منهم ابن حزم.

ولا ريب أنه إذا كان مستعملاً في نفس التقدم، فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من غيره. لكن أسماء الله تعالى: هي الأسماء الحسنى التي تدل (على) خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى. وجاء الشرع باسمه الأول، وهو أحسن من القديم، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم. والله تعالى: له الأسماء الحسنى لا الحسنة اهـ[1].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: «**أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ**» رِوَايَةُ مُسْلِم.

الثانية: البقاء: وضدها الفناء، والبقاء هو عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[2]، وقال سبحانه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[3].

الثالثة: الغنى المطلق: وهو قيامه تعالى بنفسه أي بذاته فلا يفتقر لشيء من الأشياء، وضد الغنى الافتقار وهو من صفات الخلق لا الخالق، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[4]،

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى(٦٧) تحقيق أحمد شاكر.
(٢) الآيتان (٢٦ ـ ٢٧) من سورة الرحمن.
(٣) من الآية (٨٨) من سورة القصص.
(٤) من الآية (١٥) من سورة فاطر.

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[1]، قال شارح الطحاوية: والقيوم أبلغ من القيام لأن الواو أقوى من الألف، ويفيد قيامه بنفسه، باتفاق المفسرين وأهل اللغة، وهو معلوم بالضرورة. وهل تفيد إقامته لغيره وقيامه عليه؟ فيه قولان، أصحهما: أنه يفيد ذلك. وهو يفيد دوام قيامه (وكل قيامه)، لما فيه من المبالغة، فهو سبحانه لا يزول (و) لا يأفل، فإن الأفل قد زال قطعاً، أي: لا يغيب ولا ينقص ولا يفنى ولا يعدم، بل هو الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال، موصوفاً بصفات الكمال واقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على دوامها وبقائها، وانتفاء النقص والعدم عنها أزلاً وأبداً. ولهذا كان قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾. أعظم آية في القرآن، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ[2]. فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها.

فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى: أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كلّ كمال يضاد نفيه كمال الحياة. وأمّا القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلاّ بإقامته. فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتمّ انتظام[3].

قال الشارح: و(عمّ) آخر البيت الأول أصله عاماً حال مؤكدة من الغنى فحذفت الألف الأولى كما حذفت في بر والأصل بار حذفت الثانية ووقف عليه بالسكون على لغة ربيعة ويوقف عليه بتخفيف الميم للوزن[4].

الرابعة: مخالفته تعالى للحوادث: أي لا يماثله تعالى شيء منها مطلقاً

---

(١) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

(٢) كما في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٦ ـ ٧٨).

(٤) الدر الثمين والمورد المعين (٣٤).

لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فصرّح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال.

الخامسة: الوحدانية: أي لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

السادسة: القدرة: وضدها العجز؛ والقدرة صفة يَتَأَتَّى بها إيجادُ الممكن وإعدامه. «فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى. وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كلّ شيء قدير، وهو غني عن العالمين»[2]. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[3].

وكقوله ﷺ: «**أعوذ بعزّة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر**» رواه مالك في الموطأ وغيره.

السابعة: الإرادة: وضدها الكراهة، قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[5]، وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[6]، وَقَوْلُه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ

---

(١) من الآية (٢٢) من سورة الأنبياء.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز.
(٣) من الآية (٤٤) من سورة فاطر.
(٤) الآية (١٦) من سورة البروج.
(٥) من الآية (٢٥٣) من سورة البقرة.
(٦) من الآية (١) من سورة المائدة.

لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، قال الشارح: والكراهة ضد الإرادة وليس المراد بها الكراهة التي هي من أقسام الحكم الشرعي التي هي طلب الكف عن الفعل طلباً جازماً أو غير جازمٍ[2]

الثامنة: العلم وضده الجهل: والعلم هو صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3]، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[4]، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾[5]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[6]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[7]، وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[8].

التاسعة: الحياة وضدها الممات قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[9]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[10]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[11].

---

(١) من الآية (١٢٥) من سورة الأنعام.
(٢) الدر الثمين (٤٣) المكتبة العصرية.
(٣) من الآية (٢) من سورة التحريم.
(٤) من الآية (٤) من سورة الحديد.
(٥) من الآية (٩٢) من سورة المؤمنون.
(٦) من الآية (٧٤) من سورة النحل.
(٧) الآية (٥٩) من سورة الأنعام.
(٨) من الآية (١٢) من سورة الطلاق.
(٩) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.
(١٠) من الآية (٥٨) الفرقان.
(١١) من الآية (٦٥) من سورة غافر.

العاشرة والحادية عشرة: السمع والبصر: وضدهما الصّمم والعمى ويدخل العور كما سيأتي في حديث الدّجال: وقد دلّ على كونه سميعاً بصيراً القرآن والسنة والإجماع قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[1]، وَقَوْلُه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[3]، ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٢٠﴾[4]، ومن الأحاديث: **«أَرْبِعُوا على أنفسكم فإنّكم لا تدعُون أصم غائباً وإنما سميعاً...»**[5].

وقول عائشة رضي الله عنها: «سبحان الذي وسع سمعه الأصوات لقد كانت المُجَادِلة تشتكي إلى النبي ﷺ في جانب البيت وإنه ليخفى عليّ بعض كلامها فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[6]... الحديث[7]»، وعن ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: **«إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»** متفق عليه.

---

(١) من الآية (١) من سورة المجادلة.

(٢) من الآية (١١) من سورة الشورى.

(٣) من الآية (٤٦) من سورة طه.

(٤) الآيات (٢١٨ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٠) من سورة الشعراء.

(٥) رواه أبو داود من حديث أبي موسى رضي الله عنه وصححه الألباني: انظر حديث رقم: ٧٨٦٤ في صحيح الجامع.

(٦) من الآية (١) من سورة المجادلة.

(٧) رواه أحمد (٤٦/٦) والبخاري تعليقاً في كتاب التوحيد، باب وكان الله سميعاً بصيراً (الفتح ٣٧٢/١٣) ووصله ابن حجر في تغليق التعليق (٣٣٨/٥ ـ ٣٣٩) صححه، ورواه ابن ماجة في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ورقمه (١٨٨)، والنسائي، والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة، وفي إرواء الغليل (١٧٥/٧).

الثانية عشرة: الكلام: وضدّه البَكم قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[1]، ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾[2]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[3]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾[4]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾[5]، ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾[6]، ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾[7]، وسمى سبحانه وتعالى القرآن كلامه فقال: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[8]، ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[9]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَاۖ كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۚ﴾[10]، ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[11].

قوله: (صُمَات) من الصَّمت وهو السكوت، وهذا ليس صفة نقص كما ذهب إليه الناظم، بل هي صفة كمال جاء ذكرها في معرض الامتنان على العباد، ولا يمتن الله عليهم بصفة تعدّ نقصاً، وقال شيخنا العلامة محمد الحسن ولد الددو حفظه الله تعالى: هذه الصفة الوحيدة التي خالف فيها ابن عاشر نصاً جاء عن النبي ﷺ، ويشير شيخنا إلى حديث قال الحافظ: أَخْرَجَهُ الْبَزَّار وَقَالَ: سَنَده صَالِح وَصَحَّحَهُ الْحَاكِم مِنْ حَدِيث أَبِي الدَّرْدَاء رَفَعَهُ «**مَا أَحَلَّ اللَّه فِي كِتَابه فَهُوَ حَلَال، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَام، وَمَا**

---

(١) من الآية (١٦٤) من سورة النساء.
(٢) من الآية (٢٧٩) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١٣٤) من سورة الأعراف.
(٤) من الآية (٨٧) من سورة النساء.
(٥) من الآية (١٢٢) من سورة النساء.
(٦) من الآية (١١٦) من سورة المائدة.
(٧) من الآية (١١٥) من سورة الأنعام.
(٨) من الآية (٦) من سورة التوبة.
(٩) من الآية (٧٥) من سورة البقرة.
(١٠) من الآية (١٥) من سورة الفتح.
(١١) من الآية (٢٧) من سورة الكهف.

سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْو، فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّه عَافِيَته، فَإِنَّ اللَّه لَمْ يَكُنْ يَنْسَى شَيْئًا» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، وَأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيث أَبِي ثَعْلَبَة رَفَعَهُ «إِنَّ اللَّه فَرَضَ فَرَائِض فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاء رَحْمَة لَكُمْ غَيْر نِسْيَان فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا» وَلَهُ شَاهِد مِنْ حَدِيث سَلْمَان أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ، وَآخَر مِنْ حَدِيث اِبْن عَبَّاس أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ. اهـ[1].

وقال في شرحه «مجمل عقيدة السلف» أن الصفات المتقابلة من صفات الله سبحانه وتعالى: يذكرها في حيز واحد؛ ليكون ذلك أسهل لفهمها واستيعابها، فعندما ذكر صفة الكلام ذكر الصفة التي تقابلها وهي صفة السكوت، وهي أيضاً صفة كمال؛ لأن السكوت يقتضي المعرفة بما يسكت عنه؛ إلى أن قال: ولذلك يقول عبد الله بن الزبعرى رضي الله عنه:

فإن أحلف ببيت الله ... لا أحلف على إثم
ما من إخوة بين ... قصور الشام والردم
كأمثال بني ريطة ... من عرب ومن عجم
هشام وأبو عبد ... مناف مدره الخصم
وذو الرمحين أشباك ... من القوة والحزم
يكن القول في المجلس ... أو ينطق عن حكم

فالسكوت إذا كان عن علم فهو صفة كمال، وهذه الصفة لم ترد في القرآن، ولكنها وردت في الحديثين السابقين.

قوله: (يجوز في حقّه فعل الممكنات .... البيت) هذا هو القسم الثالث الجائز في حقّه تعالى: وهو فعل كلّ ممكن أو تركه في العدم وذلك كالثواب والعقاب وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) الفتح، كِتَاب الاِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لاَ يَعْنِيهِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ (١٣/٢٨٠).

قال النّاظم رحمه الله تعالى:

وُجُــودُهُ لَــهُ دَلِــيــلٌ قَــاطِــعْ حَـاجَـةُ كُـل مُـحـدِثٍ لِـلـصَّـانِـعْ
لَـوْ حَـدَثَـتْ لِـنَـفْـسِـهَـا الأَكْـوَان لاَجْـتَـمَـعَ الـتَّـسـاوي وَالـرُّجْـحَـانُ
وَذَا مَـحَـالٌ وَحُـدُوثُ الـعَـالَـمِ مِـنْ حَـدَثِ الأَعْـرَاضِ مَـعْ تَـلاَزُمِ

لما فرغ من تعداد الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حقه تعالى: أخذ يذكر براهينها ودلائلها منطقياً، وقد تقدم الكلام على الخلاف في الطريق المنوطة بالمكلّف لمعرفة الخالق هي النّظر أم الفطرة، ولذلك ساق دليله العقلي هنا: بأنّ دليل وجود الله تعالى: هي المحدثات، وهو افتقار كلّ مُحْدَث بفتح الدال اسم مفعول إلى صانع أي مُحْدِث بكسرها وافتقار كلّ حادث إلى محدث.

والكلام الحقّ هو ما ذهب إليه أهل التّحقيق وقد نقل الشّارح كلام الرّازي: فقال: ومنهم من قال إنّه أمر ضروري لا يفتقر إلى دليل حتى قال الإمام الفخر في المعالم: إنّ العلم بذلك مركوز في فطرة طباع الصبيان، فإنّك إذا لطمت وجه الصّبيّ من حيث لا يراك وقلت إنه حصلت هذه اللطمة من غير فاعل البتة لا يصدقك؛ بل في فطرة البهائم: فإن الحمار إذا أحس بصوت الخشبة فزع لأنه تقرر في فطرته أنّ حصول صوت الخشبة بدون الخشبة محال، وعلى كونه ضرورياً لو اكتفى الناظم بالبيت الأول لكفى[1].

ولو حدث لنفسه لاجتمع التساوي والرجحان واجتماعهما محال لأنهما متنافيان.

لَـوْ لَـمْ يَـكُ الْـقِـدَمُ وَصـفَـه لـزِمْ حُـدُوثُـهُ، دَوْرٌ تَـسَـلْـسـلٌ حُـتِـمْ
لَـوْ أَمْـكـنَ الْـفَـنَـاءُ لاَنْـتَـفـى الْـقِـدَمْ لَـوْ مَـاثَـلَ الْـخَـلْـقَ حُـدُوثُـهُ انْـحَـتَـمْ

(١) الدر الثمين (٤٦ ـ ٤٧)، وقد تقدم كلام الشهرستاني.

لو لَمْ يَكُنْ وَصْفُ الْغِنَى له افْتَقَرْ لَوْ لَمْ يَكُنْ بِوَاحِدٍ لَمَا قَدَرْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيّاً مُرِيداً عَالِمَا وَقَادِرَاً لَمَا رَأَيْتَ عَالَمَا
وَالتَّالِ فِي السِّتِّ الْقَضَايَا بَاطِل قَطْعاً مُقَدَّمٌ إِذاً مُمَاثِلُ

قال الشارح: ذكر الناظم في هذه الأبيات دلائل تسع صفات قائلاً في كل برهان منها: لو لم يكن كذا للزم كذا، أو لو كان كذا لكان كذا، وهذه مصطلحات لأهل المنطق حيث يجعلون للقضية مقدّماً وتالي لتنتج القضية.

وتسميته الجزء الأول منها وهو قولنا لو كان كذا مقدّماً.

وتسمية الجزء الثاني وهو قولنا لكان كذا تالياً باللاّزم، كما يؤخذ ذلك كلّه من قوله والتالي في الستّ القضايا البيت . . . . اهـ.

وإنما ذكر الناظم تلك المصطلحات لأن المتكلمين لما أدخلوا العقل في تقرير بعض العقائد كان ذلك نتاجاً بسبب ما أدخل على الأمة من فلسفة اليونان، ومنطق أرسطو وغيره، فصار هذا فنّاً يُدَرَّسُ ويحشى في المؤلفات ومن تتبع كثيراً من كتب العلماء بعد القرن الثالث الهجري وجد الكثير من ذلك، وكذلك في العقيدة التي توارثت الأجيال كتبها لو سلمت من المنطق وتعلق الناس بعقيدة القرآن والسنة الصافية لكان الأمر يختلف[1].

ولذلك قال الشارح: ولو أسقط هذه العبارة المستعملة عند أهل فن لا يخالطه قارىء هذه المنظومة غالباً لكان أنسب بالمقام ولكنه لما كان يتفجر علماً نفعنا الله به، صار وإن تنازل ما استطاع لابد أن تسرقه الطباع فهو كما قيل. وكل إناء بالذي فيه يرشح.

---

(١) أذكر أنني كنت أدرس مراقي السعود في أصول الفقه وشرحه للناظم الموسوم «نشر البنود»، فإذا قرأت الشرح شعرت بالصّداع لقلّة ما استوعبه من صعوبة الشرح ـ مع الإفادة أن نشر البنود به سقط كثير يسر الله تحقيقه ـ فلما رجعت إلى دراسة المنطق لاسيما السلم، فتحت تلك الطلاسم التي كانت تعور رأسي.

الصفة الأولى: القدم وقد تقدّم أنّه مصطلح حادث وليس صفة اتصف بها الرّحمن في صحيح النّقل، وضدّه الحدوث، لأنه إذا كانت له أولية لزم الحدوث فلزم الدور والتّسلسل وذاك محال في حقّ الباري جلّ جلاله.

الثانية: البقاء وضده الفناء، فلو أمكن أن يلحقه الفناء لانتفى عنه القدم وانتفاء القدم عنه تعالى: مستحيل لما مر قريباً فإمكان الفناء محال أيضاً بل هو تعالى: الباقي الذي لا يفنى فالتالي انتفاء القدم عنه تعالى: والمقدم إمكان الفناء وكلاهما باطل. ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[1].

الثالثة: مخالفته للحوادث وإثبات هذه الصفة غير الصفات المذكورة في القرآن والسنة، وهي مبنية على أن إثبات بعض الصفات يستلزم الجسمية وهذه الطريقة غير مستقيمة، لأن المثبت لهذه الصفة فراراً من التشبيه، وهو واقع فيما فر منه، فإذا نفى عن الله تعالى: صفة اليد أو الوجه أو مما هو ثابت في القرآن والسنة، فقد أثبت السمع والبصر وهذا تناقض مبني كما مر سابقاً على توهم المشابهة التي تصورها العقول القاصرة، ولو سلم لقول الحق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لبرئ من الهواجس والوساوس.

الرابعة: استغناؤه تعالى عن كلّ ما سواه فذكر أنه لو لم يجب وصفه تعالى: بالغنى لكان مفتقراً لكن افتقاره تعالى: محال فانتفاء وجوب الغنى عنه تعالى: محال أيضاً.

الخامسة: الوحدانية فأخبر أنّه تعالى: لو لم يكن واحداً بل متعدّداً بأن كان معه في الوجود إله أو أكثر ما قدر على إيجاد أي ممكن أو إعدامه بل يكون عاجزاً والعجز عليه تعالى: محال فكونه غير واحد محال أيضاً بل

---

(١) الآية (٢٧) من سورة الرحمن.

هو تعالى: الواحد الأحد فالتالي كونه غير قادر تعالى: عن ذلك والمقدم كونه تعالى: غير واحد بل متعدداً وكلاهما لا يصح.

السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة: الحياة والإرادة والعلم والقدرة فذكر أنّه لو لم يكن تعالى موصوفاً بجميعها ما رأيت عالماً بفتح اللام وهو ما سوى الله تعالى والعالم موجود مرئي فهو تعالى موصوف بما ذكر فالتّالي عدم رؤية العالم والمقدّم عدم وصفه تعالى بالصّفات الأربع وكلاهما لا يصحّ والدّليل على اتّصافه تعالى بما ذكر أنّه قد تقدّم أن تأثير القدرة الأزلية موقوف على إرادته تعالى ذلك الأثر، وإرادته تعالى لذلك الأثر موقوفة على العلم به والاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم موقوف على الاتصاف بالحياة إذ هي شروط فيها ووجود المشروط بدون شرطه مستحيل فإذاً وجود حادث أي حادث كان موقوفاً على اتصاف محدثه بهذه الصفات الأربع فلو انتفى شيء منها لما وجد شيء من الحوادث[1].

وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلَامُ بِالنَّقْلِ مَعْ كَمَالِهِ تُرَامُ

قد تقدمت الأدلة على هذه الصفات فلا داعي لتكرارها.

لَوِ اسْتَحَالَ مُمْكِنٌ، أَوْ وَجَبَا قَلْبَ الْحَقَائِقِ لُزُوماً أَوْجَبَا

قد تقدم في البيت قوله: يجوز في حقّه فعل الممكنات ... أي أنه يجوز في حقّه تعالى فعل الممكنات وتركها، ومفاد البيت أنه لو وجب عقلاً عليه تعالى وجود ممكن أو استحال عقلاً لزم قلب الحقائق وذلك لا يعقل إذ حقيقة الممكن مغايرة لحقيقة الواجب والمستحيل كما مر بيانه فقوله: ممكن على حذف مضاف أي فعل ممكن أو وجود ممكن وقلب مفعول لفعل وجباً»[2].

---

(١) الدر الثمين لميارة (ص٤٨ فما بعدها).

(٢) الدر الثمين (٥٦).

النُّبُوّات

يَجِبُ لِلرُّسْلِ الْكِرامِ الصِّدْقُ أَمانَةٌ تَبْلِيغُهُمْ يَحِقُّ
مُحالٌ الْكَذِبُ وَالْمَنْهِيُّ كَعَدَمِ التَّبْلِيغِ يا ذَكِيُّ
يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ كُلُّ عَرَضْ لَيْسَ مُؤَدِّياً لِنَقْصٍ كَالْمَرَضْ

شرع النّاظم يتكلّم عن ما يجب ويجوز ويستحيل في حقّ الرّسل الكرام عليهم وعلى نبيّنا أفضل الصلاة وأزكى السّلام، والرّسل جمع رسول.

والإرسال في اللّغة التوجيه[1]، فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك، قال تعالى حاكياً قول ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

والرّسول: هو إنسان ذكر حرّ أوحى الله إليه بشرع جديد وأمره بتبليغه.

والنّبيّ: اسم مشتق من النبإ وهو الخبر، أو من النبوة وهي ما ارتفع من الأرض، والمراد الرفعة.

وفي الاصطلاح: هو إنسان ذكر حرّ أوحى الله إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

الفرق بين الرسول والنبيّ: قال ابن أبي العزّ: قد ذكروا فروقاً بين النّبيّ والرّسول، وأحسنها أنّ من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول، فالرّسول أخصّ من النبي، فكلّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرّسالة أعمّ من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس.

---

(١) الرسل والرسالات للأشقر (ص١٣). ط/ دار النفائس.

(٢) من الآية (٣٥) من سورة النمل.

فالرسالة أعمّ من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها[1].

وتُعُقِّب الفرق بين النبي والرسول فقال الأشقر[2]: وهذا الذي ذكروه بعيد لأمور منها: أنّ الله نصّ أنّه بعث الأنبياء والرسل معاً قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ...﴾[3]. فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

ومن النّعم العظيمة التي امتنّ الله بها على البشر أنه لم يتركهم هملاً بل بعث إليهم رسلاً منهم مبشرين ومنذرين قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[5].

والحكمة من بعث الرسل واضح في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[6].

ورسل الله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام كُثُر.

عدد الرّسل والأنبياء: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «**ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّاً غفيراً**» وفي رواية: كم وِفَاء الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرّسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً**»[7].

والرّسل في النظم بسكون السين تخفيفاً عن ضم.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١١٧) تحقيق شاكر.
(٢) الرسل والرسالات للأشقر (١٤).
(٣) من الآية (٥٢) من سورة الحج.
(٤) من الآية (١٦٤) من سورة آل عمران.
(٥) من الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء.
(٦) من الآية (٣٦) من سورة النحل.
(٧) رواه أحمد وصحح إسناده الألباني كما في مشكاة المصابيح بتحقيقه (١٢٢/٣).

ذكر الناظم أن مما يجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام ثلاثة أشياء:

(أولها) الصدق: «هو مطابقة القول الضمير والمخبر معاً»[1]، في كلّ ما يبلّغون عن المولى تبارك وتعالى، فلا يكون خبرهم في ذلك إلاّ مطابقاً لما في نفس الأمر، ولا يقع منهم الكذب في شيء من ذلك لا عمداً ولا سهواً إجماعاً عند المحققين[2].

وفي الشفا للقاضي عياض حكاية الإجماع على امتناع مخالفة خبر النبي للواقع فيما طريقه البلاغ لا عمداً ولا سهواً ولا خطأً.

وما يصدر منهم مما له صورة الكذب فهو من قبيل المعاريض كقول الخليل عليه الصلاة والسلام: «**كذبت على ربي ثلاث كذبات**»[3]، وهي: قوله: «**إني سقيم**»، وقوله: «**بل فعله كبيرهم هذا**»، وقوله للملك: «**هذه أختي**». وهو صادق في الثلاثة.

وقد زكى الله أنبياءه عليهم الصلاة والسلام فقال في شأن محمد ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[4]، ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾[5]، وقد جاء في حديث أبي سفيان مع هرقل أنه سأله ... فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا، ما جربّنا عليه كذباً، ... فقال هرقل: وسألتكم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلتم: لا، فقلت: قد علمت أنه لم يكن لِيَدَعَ الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله تعالى والحديث بطوله في البخاري[6].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٤٧٨).
(٢) الدر الثمين (٥٧).
(٣) البخاري وغيره.
(٤) من الآية (٣ ـ ٤) من سورة النجم.
(٥) من الآية (٣٣) من سورة الزمر.
(٦) انظر الفتح (٤٢/١) ط/الريان.

وقد أوصانا الله تبارك وتعالى باتباع الأنبياء والرسل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1].

(الثاني) الأمانة: وهي حفظ جميع الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهي عنه نهي تحريم أوكراهة ويسمى صاحبها أميناً للأمن في جهته من المخالفة لماحدّ له وأوصى به وقد قال ﷺ: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»** فإذا تحمّل الأمور صاحبها، وأدّاهَا كما تحمّلها فهو أمين، وقد اتّصفوا بها قبل نزول الوحي عليهم فكيف بعده.

(الثالث) تبليغ كلّ ما أمرهم الله سبحانه بتبليغه: فقد اتفقت الأمة على أنّ الرّسل معصومون في تحمّل الرّسالة[2]، فقد بلّغوا كلّ ما أمروا بتبليغه ولم يتركوا شيئاً منه لا نسياناً ولا عمداً، فلا ينسى رسول الله ﷺ شيئاً أوحي إليه من عند ربه إلاّ ما أراد الله نسخه قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[3]، وأمّا عمداً فلما تقدّم من وجوب الأمانة، وقد بلّغوا ما أوحاه الله إليهم حتى ولو عتابا نزل في حقّهم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[5]، قالت عائشة رضي الله عنها: لو كتم شيئاً لكتم هذه الآية.

وأنه يستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام أضداد هذه الصفات وهي الكذب الذي هو عدم مطابقة الخبر لما في نفس الأمر والخيانة وهي ضد الأمانة والكتمان وهو ضد التبليغ.

وقول الناظم: (والمنهي) هو على حذف مضاف وجار ومجرور أي وفعل المنهي عنه أي غير الكتمان لتنصيصه على استحالة عدم التبليغ فالكاف في كعدم التّبليغ للتّشبيه في إفادة الحكم وهو الاستحالة ويحتمل أن يريد

---

(١) من الآية (١١٩) من سورة التوبة.

(٢) الرسل والرسالات للأشقر (٩٧)، لوامع الأنوار البهية (٢/٣٠٤).

(٣) من الآية (٦، ٧) من سورة الأعلى.

(٤) من الآية (٦٧) من سورة المائدة.

(٥) من الآية (٣٧) من سورة الأحزاب.

بالمنهيّ عنه جميع المعاصي كتماناً أو غيره فالكاف للتمثيل والأول أظهر والله تعالى أعلم.

ما يجوز في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

وأما ما يجوز في حقّهم عليهم الصلاة والسلام فالأعراض البشرية التي لا تنافي علوّ رتبتهم كالمرض قال تعالى: عن أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1]، والفقر عن موسى عليه السلام ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[2] وغير ذلك من الأعراض الدنيوية كالأكل والشراب ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[3]، والغضب ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾[4]، وغير ذلك كالرّضا والسّرور والحزن وكل ذلك مبسوط في ثنايا الذكر الحكيم، وكذا النسيان الذي لا يتعلّق بأمور التّبليغ وفي غير أمور التّشريع كما صحّ عن النّبيّ ﷺ أنه قال: «**نسي آدم فنسيت ذريته، وجحد آدم فجحدت ذريته**»[5]، وكما وقع للنّبيّ ﷺ كما في حديث ذي اليدين المعروف، وقال: «**ولكني إنما أنا بشر، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني**»[6]، قال الحافظ ابن حجر ولا يعارضه حديث: «**إني لا أنسَى، ولكن أُنسَّى لأَسُنَّ**» فإنّه لا أصل له، فإنّه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد[7].

ينامون كما ينام الناس، إلا أنّه تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم كما قال أنس رضي الله عنه في حديث الإسراء: «**والنّبيّ نائمة عيناه، ولا ينام قلبه،**

---

(١) من الآية (٨٣) من سورة الأنبياء.
(٢) من الآية (٢٤) من سورة القصص.
(٣) من الآية (٧) من سورة الفرقان.
(٤) من الآية (١٥٠) من سورة الأعراف.
(٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط مسلم.
(٦) رواه الجماعة إلا الترمذي.
(٧) انظر نيل الأوطار (٣/ ١١٧). وعنه الرسل والرسالات للأشقر بتصرف.

وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»[1]، وقال عن نفسه ﷺ: «**إنّ عيني تنامان ولا ينام قلبي**»[2]، وهم بشر كسائر البشر إلاّ أنّهم أكمل النّاس خلقاً وخلقاً[3]، اختارهم الله واصطفاهم لرسالته ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[4]، أشدّ الناس بلاء، وأكثرهم في دينه ابتلاء «**أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**»[5]، معصومون من كبائر الذنوب إجماعاً، وفي الصغائر خلاف، لا يقرّهم ربّهم على الخطإ إن فعلوه، ليس فيهم من خصائص الألوهية ما يجعلهم يُعبدون، بل حذروا أتباعهم من الغلو فيهم، ودعوا الله ألا يجعل قبورهم تعبد من دونه «**اللهم لا تجعل قبري وَثَناً يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» رواه مالك في الموطأ؛ خير الناس نسباً، وأطهر النّاس محتداً «فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها»[6]؛ لهم من العقول الرّاجحة، والمواهب العالية النّاجحة ما لا يدركه غيرهم؛ جعل لهم في الدنيا أنصاراً، ولأتباعهم عزّاً وانتصاراً؛ يخيّرهم ربهم عند إرادة قبض أرواحهم[7]، خصّوا بالدّفن في مواضعهم التي تُقبض فيها أرواحهم[8]، يحفظ الله أجسادهم بعد وفاتهم، ويُعْلِي درجتهم في جناته، أحياء في قبورهم يصلون[9].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح انظر الفتح (٦/٥٧٩).

(٢) رواه ابن سعد وابن حبان وقال الألباني: ضعيف سنن أبي داود.

(٣) كما في سنن أبي داود من حديث أنس رضي الله عنه حسنه الألباني.

(٤) من الآية (٧٥) من سورة الحج.

(٥) رواه الحاكم عن فاطمة بنت اليمان. وصححه الألباني: انظر حديث رقم: ١٥٦٢ في صحيح الجامع كما في حديث هرقل لأبي سفيان رواه البخاري وغيره.

(٦) كما في حديث وفاته عليه الصلاة والسلام «**بل الرفيق الأعلى**»، وحديثي آدم، وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

(٧) رواه الترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٦٤٩ في صحيح الجامع.

(٨) رواه الجماعة عن أنس رضي الله عنه وقال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٧٩٠ في صحيح الجامع.

(٩) الدر الثمين (٦٤)، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي صاحب القاموس (١/٦٥)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

قال النّاظم رحمه الله تعالى:

لَوْ لَمْ يَكُونُوا صَادِقِينَ لَلَزِمْ ... أنْ يَكْذِبَ الإِلَهُ فِي تَصْدِيقِهِمْ
إذْ مُعْجِزَاتُهُمْ كَقَوْلِهِ وَبَرْ ... صَدَقَ هَذَا الْعَبْدُ فِي كُلِّ خَبَرْ
لَوِ انْتَفَى التَّبْلِيغُ أَو خَانُوا حُتِمْ ... أَنْ يُقْلَبَ الْمَنْهِيُّ طَاعَةً لَهُمْ
جَوَازُ الأَعرَاضِ عَلِيْهِمْ حُجَّتُهْ ... وُقُوعُها بِهِمْ تَسلِّ حِكْمَتُهْ

تكلّم الناظم في هذه الأبيات على برهان صدق الرّسل عليهم الصلاة والسلام فقال دليل صدقهم أنّ الله تعالى: أيّدهم بالمعجزات الباهرة، ولو كانوا كاذبين للزم أن يكون الله ـ تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ـ قد أقرّهم على الكذب لتنزل المعجزة منزلة قوله تعالى: صدق هذا العبد في كلّ ما أخبر به عنيّ إذ تصديق الكاذب كذب، والكذب عليه تعالى محال.

قال الشارح: والمعجزة اسم فاعل مأخوذ من الإعجاز مصدر أعجز وهي لفظ أطلق على الآية الدالة على صدق النّبيّ ﷺ وهي أمر خارق للعادة، مقارن لدعوى الرّسالة، متحدّى به قبل وقوعه، غير مكذّب بعجز من يبغي معارضته على الإتيان بمثله. اهـ[1].

والنبوة يدّعيها غير الصادقين، لكنّ الصادقين تظهر دلائل أفعالهم وأقوالهم في مطابقتها للحق، وملازمتها للصدق، أما الكاذبون فيظهر عليهم الفجور وتتلبسهم الشياطين، فتفتضح دعواهم، ويخيب مسعاهم، والناس يميزون الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل بالاختبار في المعاملات، وصدق ما يدعو إليه أو كذبه.

قوله: (**لو انتفى التبليغ أو خانوا** ... البيت) أي لو انتفى عن الرسل عليهم الصلاة والسلام وصف التبليغ وذلك بأن كتموا شيئاً مما أمرهم الله بتبليغه، لصار الكتمان طاعةً في حقّهم، وبالتالي نحن مأمورون باتباعهم في ذلك لأنّ الله تعالى: أمرنا بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم فنكتم نحن

---

(١) الدر الثمين (ص٦٤) ط/العصرية ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٥م.

أيضاً بعض ما أوجب الله علينا تبليغه من العلم النافع لمن اضطرّ إليه، وهذا معنى انقلاب المنهيّ عنه الذي هو الكتمان طاعة، وكيف ينقلب المحرم طاعة وصاحبه ملعون. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[1]، وهذا لا يمكن تصوره ممن قال الله تعالى فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[2].

وقد شهد الله لنبينا ﷺ في تبليغه الرسالة وعدم كتمانه وبيانه للدين حتّى في أدقّ الأشياء وأخصها به كما وقع ذلك في شأن عتابه فدلّ على صدق تبليغه، وكريم تحمّله للأمانة التي كلّف بها، وشهد الله بإكمال دينه وإتمام نعمته، على لسان نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[3].

قوله: (**أو خانوا... إلخ**): قال الشارح: أشار به إلى برهان الوصف الثالث وهو وجوب الأمانة لهم عليهم الصلاة والسلام، فذكر أنهم لو انتفى عنهم وصف الأمانة فوصفوا بضدّها وهو الخيانة بفعل محرّم أو مكروه لانقلب ذلك طاعةً فنؤمن نحن بفعل ذلك لوجوب الاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم ولا يأمر الله تعالى بمحرم ولا مكروه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾[4].

الحكمة في جواز وقوع الأعراض على الرسل:

وقوله: (**جواز الأعراض .. إلخ**): أي أنّ دليل جواز وقوع الأعراض البشرية عليهم، هي كونها شوهدت آثارها الظاهرة عليهم، فقد ثبت بالنّصوص الشرعية: ابتلاؤهم بالمرض، وإحساسهم بالجوع، وإذاية الخلق

---

(١) من الآية (١٥٩) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٦٧) من سورة المائدة.

(٣) من الآية (٣) من سورة المائدة.

(٤) من الآية (٢٨) من سورة الأعراف ـ انظر الدر الثمين (ص٦٦).

لهم إلى غير ذلك مما يجعل حكمة الله تتجلّى فيهم لأنهّم محلّ الاقتداء والاهتداء، فإذا كانوا هم خيرة الله تعالى في خلقه وقع بهم هذا فإنه يقتضي من أتباعهم التّسلّي بهذا والتّصبّر على الدنيا وما تحمله للمؤمنين من كدر فهي دار ابتلاء وشقاء، والآخرة دار جزاء، وقد تقدّمت بعض الشواهد على ذلك.

قال الناظم:

وَقَـــوْل لاَ إِلَـــهَ إلاّ الـــلـــه مُـــحَـــمَّـــدٌ أَرْسَـــلَـــهُ الإِلَـــهُ
يَـجْـمَـعُ كُـلَّ هَـذِهِ الْـمَـعـانِـي كـانَـتْ لِـذَا عَـلاَمَـةَ الإِيـمـان
وَهِـيَ أَفْـضَـلُ وُجُـوهِ الـذِّكْـرِ فَـاشْـغَـلْ بِـهـا الْعُـمْـرَ تَـفُـزْ بِـالـذُّخْـر

بيّن رحمه الله تعالى أنّ أفضل كلمة وأجمع لفظ حوى ما تقدّم من المعاني هي كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وهي العلامة الفارقة بين الإيمان والكفر، فمن قالها بلسانه، واعتقدها بجنانه، وعمل بمقتضاها بأركانه، فهو المؤمن الحق، وأن من شغل بها عمره فاز بالذّخر العظيم، في جنات النعيم عند رب كريم.

فضل لا إله إلا الله:

لقد دلّت الآيات والأحاديث على فضل تلك الكلمة الطّيبة، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1]، ومن الأحاديث قول رسول الله ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنّبيّون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له**» رواه مالك في الموطأ زاد الترمذي في روايته: «**له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير**» وروى هو والنسائي أنّه قال ﷺ: «**أفضل الذّكر لا إله إلا الله، وأفضل الدّعاء الحمد لله**».

---

(١) من الآية (٢٤ ـ ٢٥) من سورة إبراهيم.

وروى النّسائي[1] أنّه قال ﷺ: «**قال موسى عليه الصلاة والسلام يا رب علّمني ما أذكرك به وأدعوك به، فقال: يا موسى قل: لا إله إلا الله، قال موسى عليه السلام: يا ربّ كلّ عبادك يقولون هذا، قال: قل لا إله إلاّ الله، قال موسى: لا إله إلاّ أنت، إنّما أريد شيئاً تخصّني به، قال: يا موسى، لو أنّ السّموات السبعَ وعامرَهُنّ غيري، والأرضين السّبع في كفّة، ولا إله إلاّ الله في كفّة لمالت بهنّ لا إله إلاّ الله**».

وهي الكلمة المباركة التي تعصم الدم والمال والعرض لقائلها فعنه ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا اللّه، فمن قال: لا إله إلا اللّه عصم منّي ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على اللّه عز وجل**»... الحديث[2].

وروى الإمام أحمد، من حديث أبي عبدالرحمن الحبلي، قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيختص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كلّ سجل مدّ البصر، ثمّ يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟، أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا، يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرّجل، فيقول: لا يا ربّ، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، فيقول أحضروه، فيقول: يا ربّ، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنّك لا تظلم، قال: فتوضع السّجلات في كفّة، (والبطاقة في كفّة)، قال: فطاشت السّجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم**». هكذا رواه الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه وابن حبان والحاكم. وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح؛ زاد الترمذي: ولا يثقل مع اسم الله شيء[3].

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/٢٠٩) ح(١٠٦٧٠)، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٤/٤٨٤)، كلمة الإخلاص لابن رجب (٥٨) تحقيق الألباني وضعفه.

(٢) متفق عليه والفتح (٣/٣٠٨) رقم (١٣٩٩).

(٣) الترمذي (٢٥٦٣)، وابن ماجة (٤٢٩٠).

وَأنها أفضل ما يشغل العبد به نفسه كما في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَفْضَل الذِّكْر لاَ إِلَه إِلاَّ اللَّه**» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ اِبْن حِبَّان وَالْحَاكِم، وقوله ﷺ: «**وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله...**» رواه مالك في الموطأ (٢/١٥٠).

وأن من مات عليها دخل الجنة ففي حديث معاذ رضي الله عنه أنّ النّبي ﷺ قال: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنّة**» رواه أبو داود، وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**» رواه مسلم، وقد ألفت فيها رسائل في فضلها وإعرابها ومعناها وغير ذلك مما يغني عن ذلك.

قوله: (تفز بالذخر...) جواب اشغل، والذّخر بالمعجمة المضمومة، مصدر ذخر كمنع قال في القاموس: ذخره كمنعه ذخراً بالضم وادّخره اختاره أو اتخذه، والذخيرة ما ادخر كالذخر والجمع أذخار.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَصْلٌ وَطَاعَةُ الْجَوارِحِ الْجَمِيعْ ... قَوْلاً وَفِعْلاً هُو الاِسْلامُ الرَّفِيعْ
قَوَاعِدُ الإِسْلاَمِ خَمْسٌ وَاجِبَاتْ ... وَهْيَ الشَّهادَتَانِ شَرْطُ البَاقِيَاتْ
ثُمَّ الصَّلاةُ والزَّكَاةُ فِي الْقِطَاعْ ... والصَّوْمُ والحَجُّ عَلَى مَنِ اسْتَطاعْ
الاِيمانُ جَزْمٌ بِالإِلهِ والْكُتُبْ ... والرُّسْلِ والأَمْلاك مَعْ بَعْثٍ قَرُبْ
وقَدَرٌ كَذَا صِرَاطٌ مِيزانْ ... حَوْضُ النَّبِيِّ جَنَّةٌ ونِيرانْ
وأَمَّا الاِحسانُ فَقالَ مَنْ دَرَاهْ ... أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنكَ تَرَاهْ
إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ إِنَّهُ يَرَاكْ ... والدِّينُ ذِي الثَّلاثُ خُذْ أَقْوَى عُرَاكْ

دعائم الدين الثلاث:

تعرّض الناظم رحمه الله تعالى: في هذه الأبيات لبيان الإسلام وقواعده، والإيمان وأركانه، والإحسان ومقاصده، وقد جاء ذكرها مجموعة في حديث جبريل عليه السلام، فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع

علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**» قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأمة رَبَّتَهَا، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشَّاء يتطاولون في البنيان!**» ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**» رواه مسلم[1].

ورواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق سليمان التيمي عن يحيى بن يعمر وقد خرجه مسلم من هذا الطريق إلا أنه لم يذكر لفظه فيه زيادات منها في الإسلام قال: «**وتحجّ وتعتمر وتغتسل من الجنابة وَأَنْ تُتِمَّ الوضوء**» قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم قال: «**نعم**»، وقال في الإيمان: «**وتؤمن بالجنة والنار والميزان**» وقال فيه: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن، قال: «**نعم**»، وقال في آخره: «**هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم، خذوا عنه والذي نفسي بيده ما اشتبه على منذ أتاني قبل مرتي هذه وما عرفته حتى ولى**».

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: وهو حديث عظيم الشأن جداً يشتمل على شرح الدين كله، ولهذا قال النبي ﷺ في آخره: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة

---

(١) ومعنى: تلد الأمة ربتها: أي سيدتها. ومعناه: أن تكثر السراري حتى تلد الأمة السرية بنتا لسيدها وبنت السيد في معنى السيد.
وقيل غير ذلك. والعالة الفقراء. وقوله ملياً: أي زمناً طويلاً، وكان ذلك ثلاثاً.

الإحسان فجعل ذلك كله دينا»[1].

والإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له[2].

فأخبر الناظم أن طاعة جميع الجوارح أي السبعة من النطق باللسان الموافق لاعتقاد الجنان، والعمل بالأركان، لكل فعل مأمور به، وترك المنهي عنه، قولاً كان أو فعلاً هو الإسلام أي في عرف الشرع، ووصفه بالرفعة لكماله بسبب انقياد الجوارح كلها.

وقوله: (**الجميع**...) نعت للجوارح ويحتمل كونه تأكيداً لها، وأل فيه خلف عن الضمير على المذهب الكوفي أي جميعها.

وقوله: (**قولاً وفعلاً**) منصوب على إسقاط الخافض أي في القول والفعل.

وقوله: (**شرط الباقيات**...) صفة للشهادتين وهي أول خصال الإسلام، وكونها شرطاً في الخصال الباقية أمر قطعي لا بد منه، أما النطق بها فهو شرط في صحة الخصال الأربعة الباقية كما ذكر إلا لمن عجز عن النطق بذلك كالبكم، يريد وشرط صحة أيضاً في غيرها من بقية خصال الإسلام. وقد جاءت النصوص دالة على أنها أول ما يطالب به من أراد أن يسلم وجهه لرب العالمين.

لقوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه لليمن: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادتي أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائمَ أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**» رواه مسلم.

ولحديث وفاة أبي طالب لما حضرته الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب عند شرح حديث جبريل. وهو ثان حديث في الأربعين النووية.

(٢) نفس المصدر السابق.

عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمّ قل لا إله إلاّ الله كلمة أشهد لك بها عند الله**» فقال أبو جهل وعبدالله بن أمية يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدان عليه تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله» متفق عليه.

(الخصلة الثانية) الصلاة (الثالثة) الزكاة، (الرابعة) صوم رمضان (الخامسة) حج البيت من استطاع إليه سبيلا. وذكر أن الصلاة والزكاة أنهما لا يسقطان عن أحد مادام في هذه الحياة إذا كان مكلفاً بالغاً عاقلاً لصلاته، وأما الزكاة فوجوبها بالوضع ولا دخل للشروط الأخرى غير الإسلام فمن بلغ عنده نصاب أي نوع من أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة وجب عليه إن كان أهلا للتصرف أن يخرج زكاة ماله، وإلا تعلق الأمر بوليه الراشد، وأما الصوم والحج فبالاستطاعة وقد جاء الشرح الفقهي لهذه الأركان في العَرْفِ النَّاشر بحسب الإمكان مع الاعتراف بالتقصير والنقصان، والله الواحد المستعان.

أركان الإيمان:

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾... الآيات[1]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[2]، الآية، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[3].

وقال أبو طالب المكي: أركان الإيمان سبعة، يعني هذه الخمسة، والإيمان بالقدر، والإيمان بالجنة والنار[4].

---

(١) من الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٧٧) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (١٣٦) من سورة النساء.

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢٧٨).

١ ـ أخبر **أن الإيمان هو الجزم أي القطع بوجود الإله سبحانه وتعالى** وباتصافه بصفات الجلال والكمال، والإيمان بأسمائه الحسنى وأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

٢ ـ **الإيمان بالملائكة عليهم السلام**: الملائكة: «جَمْع مَلَك بِفَتْح اللَّام، فَقِيلَ مُخَفَّف مِنْ مَالِك وَقِيلَ مُشْتَقّ مِنْ الْأَلُوكَة وَهِيَ الرِّسَالَة وَهَذَا قَوْل سِيبَوَيْهِ وَالْجُمْهُور، وَأَصْله لاكَ، وَقِيلَ أَصْله الْمَلْك بِفَتْحِ ثُمَّ سُكُون وَهُوَ الْأَخْذ بِقُوَّة وَحِينَئِذٍ لاَ مَدْخَل لِلْمِيمِ فِيهِ»[(١)]، قال القاضي عياض: «أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء، واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منهم، وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم، واختلفوا في غير المرسلين منهم، فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(٢)]، وبقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[(٣)]، وبقوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[(٤)]، ونحوه من السمعيات، وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين، واحتجوا بقصة هاروت وماروت، وقصة إبليس، والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم وينزلهم عن جليل مقدارهم، قال: والجواب عن قصة هاروت وماروت أنها لم يرو فيها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ، وعن قصة إبليس أنّ الأكثر ينفون أنه من الملائكة ويقولون إنه أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس. انتهى[(٥)].

وهم خلق من خلق الله تعالى، خلقهم من النّور كما في حديث عائشة

---

(١) الفتح (٣٤٨/٦).

(٢) من الآية (٦) من سورة التحريم.

(٣) الآيات (١٦٤ ـ ١٦٦) الصافات.

(٤) من الآية (١٩) الأنبياء.

(٥) الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي.

رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجانّ من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصِفَ لكم**» رواه مسلم، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، ميّسرون للطاعات، معصومون من المعاصي، مسخّرون بإذن الله في شؤون الخلق، وتدبير الكون، وحفظ العباد، وكتابة أعمالهم، وأمناء على الوحي في حفظه، وفيهم يقول تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾[1]، ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[2]، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾[3]، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[4]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[5]، ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[6]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[7]، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[8]، ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾[9]، وغير ذلك من الآيات التي دلت على عظيم خلق الله تعالى، منهم من أخبرنا الله ورسوله ﷺ عنهم ومنهم من سكت عن ذكرهم، لا يحصي عددهم إلا الله جل جلاله، نؤمن بهم إجمالاً في مواضع الإجمال، وتفصيلاً في مواضع التفصيل، فمن الذين ورد

---

(١) من الآية (١٩) من سورة الزخرف.
(٢) من الآية (١٩ ـ ٢٠) من سورة الأنبياء.
(٣) الآيتان (١٦٥ ـ ١٦٦) من سورة الصافات.
(٤) الآيتان (٢٧ ـ ٢٨) من سورة الأنبياء.
(٥) من الآية (٥٠) من سورة النحل.
(٦) من الآية (١١) الرّعد.
(٧) من الآية (١٠ ـ ١٢) من سورة الانفطار.
(٨) الآيتان (١٧ ـ ١٨) من سورة ق.
(٩) الآيات (١٣ ـ ١٦) من سورة عبس.

ذكرهم في القرآن الكريم: جبريل، وميكائيل، ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[1].

حكم من استهزأ بأحد من الملائكة: قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

قال القرافي: اعلم أنه يجب على كل مكلف تعظيم الأنبياء بأسرهم، وكذلك الملائكة ومن نال من أعراضهم شيئاً فقد كفر، سواء كان بالتعريض أو بالتصريح، فمن قال في رجل يراه شديد البطش: هذا أقسى قلبا من مالك خازن النار، وقال في رجل رآه مشوه الخلق: هذا أوحش من منكر ونكير؛ فهو كافر إذا قال ذلك في معرض النقص بالوحاشة والقساوة، قلت: وما ذكر في هذه المسألة والتي قبلها من الأدلة القاطعة على تفضيل رسل الملائكة على الصحابة وأولياء البشر»[2].

فجبريل: موكّل بتبليغ الوحي من الله جلّ وعلا للرّسل، أو بتبليغ الوحي من الله جل وعلا للملائكة، ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3].

وميكائيل: مُوكّل بالمطر والحياة على الأرض، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه عند الطبراني أنه ﷺ قال لجبريل: **(على أيّ شيء ميكائيل؟ قال: على النّبات والقَطْر)** قال الحافظ في الفتح: فِي إِسْنَاده مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي لَيْلَى وَقَدْ ضُعِّفَ لِسُوءِ حِفْظه وَلَمْ يُتْرَك اهـ، ولأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام: **«ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط؟»**، فقال عليه السلام: **«...ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»**[4].

---

(١) من الآية (٩٨) من سورة البقرة.

(٢) الحبائك في أخبار الملائك السيوطي.

(٣) من الآية (٧٥) من سورة الحج.

(٤) وحسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٦٤).

وفي الصّحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قام يصلّي من الليل قال: «**اللّهمّ ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السّموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**».

وملك الموت: موكل بقبض الأرواح، واسمه عند أهل الكتاب عَزرائيل، وفي بعض الآثار أو بعض المقاطيع سمي عبدالرحمن قال جل وعلا: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1]، وتحته ملائكة هو رئيسهم وكبيرهم، يتوفون النّاس بأمر الله، فيقبضون الأرواح كما قال جلّ وعلا ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2].

وإسرافيل: وهو ملك موكّل بالنّفخ في الصور، فينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربّه عزّ وجلّ:

الأولى: نفخة الفزع.

والثانية: نفخة الصعق.

والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين.

روى أحمد والترمذي من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**كيف أَنعَمُ، وصاحبُ القَرْن قد التقم القرن، وحَنَى جبهته، وانتظر أن يؤذن له**»، قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكّلنا**»، وهؤلاء الثلاثة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل هم أشرف الملائكة وهم سادة الملائكة، «ورؤساؤهم فهم الموكّلون بالحياة، فجبرائيل موكّل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض

---

(١) من الآية (١١) من سورة السجدة.

(٢) من الآية (٦١) من سورة الأنعام.

والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم»[1].

ومالك خازن النار وهو المذكور في استغاثة أهل النار به ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[2].

وخزنة الجنّة ومقدّمهم رضوان عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[4].

ومنهم خزنة جهنم ـ عياذاً بالله منها ـ وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾[6].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾[7].

ورقيب وعتيد وهما الكتبة ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[8]،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص٢٨٠).
(٢) من الآية (٧٧) من سورة الزخرف.
(٣) من الآية (٧٣) من سورة الزمر.
(٤) من الآيتان (٢٣ ـ ٢٤) من سورة الرعد.
(٥) الآية (٧١) من سورة الزمر.
(٦) من الآية (٤٩) من سورة غافر.
(٧) الآيتان (١٧ ـ ١٨) من سورة العلق.
(٨) الآية (١٨) من سورة ق.

وقال تعالى: فيهم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1].

ومنكر ونكير وهما صاحبا سؤال القبر، وقرر هذا الإمام الحافظ أبو بكر الإسماعيلي في كتابه اعتقاد أئمة أهل الحديث[2]، حيث قال: (ويؤمنون بمسألة منكر ونكير على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ مع قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[3]، وما ورد تفسيره عن النبي ﷺ قلت: قال النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «**المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾**» وأخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعًا**»[4]، زَادَ مُسْلِم «**إِذَا انْصَرَفُوا**» وَفِي رِوَايَة لَهُ «**يَأْتِيه مَلَكَانِ**» زَادَ ابْن حِبَّانَ وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ طَرِيق سَعِيد الْمَقْبُرِيّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة «**أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَال لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَر وَلِلْآخَرِ النَّكِير**» وَفِي رِوَايَة ابْن حِبَّانَ: «**يُقَال لَهُمَا مُنْكَر وَنَكِير**»[5].

ومنهم الموكّل بحفظ العبد في حلّه وارتحاله، وفي نومه، ويقظته، وفي كل حالاته وهم المعقبات، قال الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ

---

(١) الآية (٨٠) من سورة الزخرف.

(٢) اعتقاد أئمة الحديث (٧٠ ـ ٧١).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٤) صحيح البخاري برقم (١٣٧٤)، ومسلم برقم (٢٨٧٠)، واللفظ للبخاري.

(٥) الفتح (٣/٢٨٠) ما جاء في عذاب القبر.

يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الأولى: المعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى: خلوا عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ﴾، قال ابن كثير: أي بدل الرحمن، يمتن سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده، وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام.اهـ[4].

ومنهم حملة العرش والكروبيون وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[5]؛ وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۚ﴾[6].

وعدد الملائكة لا يحصيه إلا الله جل جلاله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾[7]، ومن علم أن معه هؤلاء الملائكة الأخيار استحيا من الله أن يفعل المساوئ الصغار والكبار.

---

(١) الآيتان (١٠ ـ ١١) من سورة الرعد.
(٢) من الآية (٤٢) من سورة الأنبياء.
(٣) من الآية (١٨) من سورة الأنعام.
(٤) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١٢١٩/٢).
(٥) من الآية (٧) من سورة غافر.
(٦) الآية (١٧) من سورة الحاقة.
(٧) من الآية (٣١) من سورة المدثر.

٣ ـ الإيمان بالكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام:

فمنها التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ومنها غيرها مما لم نعلمه على سبيل التفصيل فكلّها من عند الله، وكلّ ما فيها حقّ لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾[١]، ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾[٢]، ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[٣] وقد حفظ الله القرآن دون غيره من الزيادة والنّقص والتحريف والتبديل قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[٤]، فبقي كما أنزله الله إلى يوم القيامة فهو كلّه حقّ من عند الله، ولم يحفظ غيره من الكتب، فدخلت عليها الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل، ففيها حق منزل، وباطل مبدل، ، للآية السابقة ولقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٥]، القرآن هو الهداية العامة للبشر نؤمن بأن القرآن العظيم أنزله الله تعالى هداية عامة لجميع البشر لما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية، بتنوير العقول، وتزكية النفوس، وتقويم الأعمال، وإصلاح الأحوال وتنظيم الاجتماع البشري على أكمل نظام، وأنّ كلّ ما خالفه فهو ضالّ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٦]، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٧]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾»[٨].

---

(١) من الآية (١٥) من سورة الشورى.
(٢) من الآية (٤) من سورة آل عمران.
(٣) من الآية (١٦٣) من سورة النساء.
(٤) الآية (٩) من سورة الحجر.
(٥) من الآية (٤٨) من سورة المائدة.
(٦) من الآية (١) من سورة إبراهيم.
(٧) الآية (١٥٧) من سورة الأعراف.
(٨) الآية (٨٢) من سورة الإسراء.

٤ ـ **ويجب الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام** قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1] وقال سبحانه ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[2]، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[3]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[4]، ولقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾[5].

وعددهم قد تقدم ذكره، وقال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[6]، ومن كفر بواحد منهم فهو كافر بالجميع قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[7]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾[8]، والرسل هم حجة الله وشهوده، أنبأهم الله بوحيه، وأرسلهم لتبليغه لخلقه، ليعرّفوهم به، وبشرعه، وينبّهوهم الى آياته ويذكّروهم بإنعاماته ويبشروهم بالسعادة والنجاة إذا اتبعوهم، ويخوفوهم من الشقاوة والهلاك إذا خالفوهم، فقامت بهم ـ لمّا بلغوا الرسالة وأدّوا الأمانة ـ حجة الله على خلقه، وكانوا وهم العدول الأمناء الصادقون شهداء عليهم يوم لقائه لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ

---

(١) الآية (٣٣) من سورة آل عمران.
(٢) من الآية (١١) من سورة إبراهيم.
(٣) من الآية (١٢٤) من سورة الأنعام.
(٤) من الآية (٩٥) من سورة الإسراء.
(٥) الآيات (٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨) من سورة الجن.
(٦) من الآية (١٦٤) من سورة النساء.
(٧) من الآية (٢٨٥) من سورة البقرة.
(٨) الآيات (١٥٠، ١٥١، ١٥٢) النساء.

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[2]، وقد ذكر الله منهم في القرآن خمسة وعشرون رسولاً، ذكر في سورة الأنعام منهم ثمانية عشر هم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط.

وذكر في مواضع أخرى من كتابه العزيز السبعة الباقين وهم: آدم، وهود، وصالح، وشعيب، وذو الكفل، وإدريس، وسيد الأولين والآخرين سيدنا ونبينا محمد ﷺ. وقد جمع ذلك في بيتين:

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر، ويبقى سبعة وهم
إدريس، هود، شعيب صالح وكذا ... ذوالكفل، آدم، بالمختار قد ختموا

والعرب منهم أربعة وهم: شعيب، وهود، وصالح، ومحمد ﷺ.

ويرمز لهم: **شهصم**.

وأولو العزم خمسة وهم: محمد، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[4].

---

(١) الآيات (١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥) من سورة النساء.
(٢) من الآية (٤١) من سورة النساء.
(٣) من الآية (٣٥) من سورة الأحقاف.
(٤) من الآية (٧) من سورة الأحزاب.

وللبزار عن قتادة رضي الله عنه موقوفاً عليه قال: «خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ».

٥ ـ **الإيمان بالبعث**: قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾(١) ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾، إلى أن قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾(٢) ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾(٣)، ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۝٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨﴾(٤).

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾(٥).

وروى مسلم من طريق معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ: «**إنّ في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركّب يوم**

---

(١) من الآية (٧) من سورة التغابن.
(٢) الآيتان (٣٨ ـ ٣٩) من سورة النحل.
(٣) من الآية (٥٩) من سورة غافر.
(٤) الآيتان (٩٧ ـ ٩٨) من سورة الإسراء.
(٥) من الآية (٥) من سورة الحج.

القيامة» قالوا: أيّ عظم هو يا رسول الله؟ قال: **«عَجْبُ الذَّنَب»**[1]. وفيه من طريق أبي الزناد عن الـعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«كلّ ابن آدم يأكله التراب إلاّ عَجْب الذَّنَب منه خلق ومنه يركب»**.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بين النّفختين أربعون»** قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً، قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً، قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة، قال: أبيت؛ **«ثم يُنْزِلُ الله من السّماء ماء فينبتون كما ينبت البقل»**.

قال: **«وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»**. ورواه البخاري عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش بمعناه دون قوله: **«ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء»**.

وفي حديث عبد الله بن عمرو: **«ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلاّ أصغى لِيتاً ورفعَ لِيتاً**[2]**»**، قال: **«وأوّل من يسمعه رجل يلوط حوض إبله»** قال: **«فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله»**، أو قال: **«ينزل الله مطرا كأنه الطَّلّ أو الظّلّ** ـ نعمان الشّاك ـ **فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلمُّوا إلى ربّكم وقفوهم إنهم مسؤولون، قال ثم يقال: اخرجوا بعث النّار، فيقول: من كم؟ فيقال من كلّ ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين، قال: فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق»**.

وفي الصّحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إني**

---

(١) قال الحافظ: وَالْعَجْب بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة وَسُكُون الْجِيم بَعْدَهَا مُوَحَّدَة وَيُقَال لَهُ: «عَجْم» بِالْمِيمِ أَيْضاً عِوَضِ الْبَاء. وَهُوَ عَظْم لَطِيف فِي أَصْل الصُّلْب، وَهُوَ رَأْس الْعُصْعُص، وَهُوَ مَكَان رَأْس الذَّنَب مِنْ ذَوَات الْأَرْبَع اهـ. الفتح (٨/٤١٥).

(٢) اللّيتُ: هو صفحة العنق.

أوّل من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري كذلك كان أم بعد النفخة».

وفي حديث الصّور «ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعا، ثمّ يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطرائيت[1]، أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله عزّ وجلّ: ليحيى حملة العرش، فيحيون، ويأمر الله عز وجل إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول: ليحيى جبريل وميكائيل، فيحييان، ثمّ يدعو الله بالأرواح ليؤتى بها، تتوهج أرواح المسلمين نوراً، وأرواح الكافرين ظلمة فيقبضها جميعاً، ثمّ يلقيها في الصّور، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النّحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول: وعزّتي وجلالي ليرجعنّ كلّ روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم، ثمّ تمشي في الأجساد كما يمشي السّمّ في اللّديغ، ثمّ تنشق الأرض عنهم، وأنا أوّل من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعا إلى ربّكم تنسلون...» الحديث[2].

٦ ـ **والقدر**: القدر في اللّغة: يقال قدر الشيء يقدره قدراً، وقدراً من

---

(١) الطرائيت: وَالطُّرْثُوثُ بِضَمِّ الثَّاءِ نَبَاتٌ كَالْقُطْنِ مُسْتَطِيلٌ.

(٢) رواه ابن إسحاق في مسنده. وقال ابن كثير بعد أن ذكره بطوله ثم قال: هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقه وفي بعض الفاظه نكارة تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة وقد اختلف فيه: فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء قال رحمه الله تعالى قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء علي حدة وأما سياقه فغريب جداً ويقال أنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول أنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث فالله أعلم انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

باب (ضرب)، إذا أحاط بمقداره، وفي الاصطلاح: قال مالك الصغير وشيخ المالكية ابن أبي زيد القيرواني في رسالته: والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربّنا، ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، علم كلّ شيء قبل كونه، فجرى على قدره»[1].

وقسم بعض أهل العلم القدر إلى درجتين: فالدرجة الأولى: الإيمان بأنّ الله تعالى عليم بما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه. وأن الله عز وجل علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلاً، ثم أوجدها بقدرته ومشيئته على وفق ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح قبل إحداثها».

ومن أدلة الكتاب على القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[2]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[3].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال عليه الصلاة والسلام: «**لن يبلغ المرء حقيقة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه**»[4].

---

(١) المقدمة العقدية من رسالة الفقهية لابن أبي زيد القيرواني (ص٧٧).

(٢) من الآية (٤٩) من سورة القمر.

(٣) من الآية (٢٨٥) من سورة البقرة.

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في كتاب السنة له.

وقد نهى النّبيّ ﷺ عن المراء والجدال في القدر فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فُقِئَ في وجهه حبُّ الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وُكِّلْتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فانتهوا**». وفي رواية: «**يا قوم بهذا ضلّت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به**». وفي رواية: «**فإنّ الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا، وإن المراء في القرآن كفر**». وهو حديث مشهور، مخرج في المسانيد والسنن.

كما سمى منكري القدر مجوس هذه الأمة، لأن المجوس اتخذوا خالقين من دون الله تعالى، والقدرية جعلوا الخلق أيضا لخالقين.

أقوال الأئمة في القدر، أخرج أبو نعيم عن ابن وهب[1]، قال: (سمعت مالكاً يقول لرجل: سألتني أمس عن القدر؟ قال: نعم، قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾[2]، فلا بد أن يكون ما قال الله تعالى)[3].

وأخرج ابن أبي عاصم عن سعيد بن عبدالجبار قال: (سمعت مالك بن أنس يقول: رأيي فيهم أن يستتابوا فإن تابوا وإلاّ قتلوا ـ يعني القدرية ـ)[4].

---

(١) هو عبدالله بن وهب القرشي مولاهم المصري قال عنه ابن حجر (الفقيه ثقة حافظ عابد مات سنة ١٩٧ هـ) تقريب التهذيب (١/ ٤٦٠).

(٢) سورة السجدة: ١٣.

(٣) الحلية ٦/ ٣٢٦.

(٤) السنة لابن أبي عاصم ١/ ٨٧ ـ ٨٨، وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٦.

أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان، قال: سُئل الشافعي عن القدر فقال:

ما شِئْتَ كان وإن لَمْ أَشَأْ ... وما شِئْتُ إنْ لم تَشأْ لم يكن
خلقتَ العباد على ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمُسِنْ
على ذا مَنَنْتَ وهذا خَذَلْت ... وهذا أعنت وذا لم تُعِنْ
فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن[1]

وجاء في كتاب السنة للإمام أحمد قوله: (والقدر خيره وشره وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوّه ومُرّه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله قضاء قضاه على عباده وقدر قدره، ولا يعدو واحد منهم مشيئة الله عزّ وجل ولا يجاوز قضاءه)[2].

قال الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله تعالى: عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾[3]، قال ما قدر لهم من خير وشر؛ وجملة القول في القدر أنه سر الله لا يدرك بجدال ولا نظر، ولا تشفي منه خصومة ولا احتجاج، وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يقوم شيء دون إرادته ولا يكون شيء إلا بمشيئته، له الخلق والأمر كله، لا شريك له، نظام ذلك قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[5]، وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يظلم مثقال ذرة، ولا يكلّف نفساً إلاّ وسعها، وهو الرّحمن الرحيم، فمن ردّ على الله تعالى خبره في الوجهين ـ أو في أحدهما ـ كان عناداً وكفراً، وقد ظاهرت الآثار في التسليم للقدر والنهي عن الجدل فيه

---

(١) مناقب الشافعي ١/ ٤١٢ ـ ٤١٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٧٠٢.
(٢) السنة ص٦٨.
(٣) من الآية (١٠٩) من سورة هود.
(٤) من الآية (٣٠) من سورة القمر.
(٥) الآية (٤٩) من سورة الإنسان.

والاستسلام له والإقرار بخيره وشره، والعلم بعدل مقدره وحكمته، وفي نقض عزائم الإنسان برهان فيما قلنا وتبيان والله المستعان[1].

وقد قسم شيخنا العلامة محمد الحسن ولد الددو القدر إلى أربعة أقسام:

القدر الخير الحلو، والقدر الخير المر، والقدر الشر الحلو، والقدر الشر المر.

٧ ـ **والصراط**: في اللغة: الطريق الواسع، وسمي الطريق بالصراط لأنه يسرط السابلة، أي السالكين فيه.

واصطلاحاً: هو عبارة عن جسر منصوب على متن جهنم، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾[3].

وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا؛ فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً.

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر في شرحه لأحاديث ربيعة بن أبي عبدالرحمن.

(٢) الآيتان (٧١ ـ ٧٢) من سورة مريم.

(٣) الآيات (١٢ ـ ١٥) من سورة الحديد.

وقال سليمان بن مرة يدخلونها جميعا وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال صُمَّتَا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا»**[1].

وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار قال قد مررتم عليها وهي خامدة.

وروى عبدالرزاق عن قيس بن حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فلا أدري أأنجو منها أم لا؟[2].

ويمرّ عليه النّاس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمرّ كلمح البصر، ومنهم من يمرّ كالبرق، ومنهم من يمرّ كالرّيح، ومنهم من يمرّ كالفرس الجواد، ومنهم من يمرّ كركاب الإبل، ومنهم من يَعْدو عدْواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم.

فإنّ الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسّه النّار**

---

(١) ضعيف كما قال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب [٢١١٠].

(٢) معارج القبول [جزء ٢ ـ صفحة ٨٥١] وقد ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب [٢١١١].

إلاّ تَحِلَّة القَسَم»، قال الزهري كأنه يريد هذه الآية وإن منكم إلاّ واردها كان على ربّك حتماً مقضياً.

قال ابن مسعود قسماً واجباً؛ **وفيهما** عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً من حديثه الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه: «**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، والموثق بعمله، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه...**» الحديث.

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعاً وفيه: «**ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم**» قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «**مدحضة مزلّة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السّعدان يمرّ المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مُسَلَّم وناجٍ مخدوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنم حتى يمرّ آخرهم يسحب سحباً...**» الحديث.

ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرّة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين...**» الحديث.

وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه: «**رجل يخرج من النار حَبْواً...**».

وفيه عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما في حديث استفتاح الجنة عن النبي ﷺ مطولاً وفيه: «**وترسل الأمانة والرّحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمرّ أوّلكم كالبرق**» قال: قلت: بأبي أنت وأمي أيّ شيء

كمرّ البرق؟ قال: «**ألم ترو إلى البرق كيف يمرّ ويرجع في طرفة عين، ثم كَمَرّ الطير وشدّ الرّجال تجري بهم أعمالهم**» قال: «**ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: ربّ سَلِّم سَلِّم حتى تعجز الصراط أعمال العباد حتى يجيء الرّجل فلا يستطيع السّير إلاّ زحافا قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناجٍ ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إنّ قعرجهنم لسبعين خريفاً**»، وفيه أيضاً في بعض طرق حديث أبي سعيد المتقدم، قال أبو سعيد: «بلغني أنّ الجسر أدقّ من الشّعرة، وأحدّ من السّيف، وفيه عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يسأل عن الورود...» الحديث، وفيه رؤية الله تعالى: فيتجلّى لهم يضحك، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كلّ إنسان منافق، أو مؤمن نورا ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون فتنجون أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون. وذكر الحديث.

٨ ـ **والميزان**: قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[2].

قال القرطبي[3]: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها. قال: وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

---

(١) الآية (٤٧) من سورة الأنبياء.

(٢) الآيتان (١٠٢ ـ ١٠٣) من سورة المؤمنون.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (٢٧٦).

والذي دلت عليه السنة: **أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.** كما في حديث البطاقة وقد تقدم في فضل لا إله إلا الله وفيه: «... ، **لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول أحضروه، فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، (والبطاقة في كفة)، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة...**». وفي سياق آخر: «توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة»، وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي أن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أنه ليأتي الرجل العظيم السّمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً**».

وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان يجني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مِمَّ تضحكون؟**» قالوا: يا نبي الله، من دقّة ساقيه، فقال: «**والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد**».

وقد وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال أنفسها، كما في صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**». وفي الصحيح، وهو خاتمة كتاب البخاري، قوله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللّسان، حبيبتان إلى الرّحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

وروى الحافظ أبو بكر البيهقي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتي الميزان، ويوكّل به ملك، فإن ثقل ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً**».

قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في التذكرة[1]: واختلف في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل: الميزان، وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإنّ النّاس يخرجون عطاشاً من قبورهم، كما تقدّم فيقدم قبل الميزان والصراط.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله، في كتاب كشف علم الآخرة: حكى بعض السلف من أهل التصنيف، أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله. قال القرطبي: هو كما قال، ثم قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء. انتهى. فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر». اهـ[2].

٩ ـ **والحوض**: هو حوض النبي ﷺ المورود، وجب الإيمان به لورود الأحاديث المتواترة بذلك، ووقع إجماع أهل السنة على وجوده سقانا الله وإياكم منه، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾[3]، قيل: حوض النّبيّ ﷺ كما في حديث أنس الآتي، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه الكوثر الخير الكثير. ولا مانع من الجمع بينهما فهو من هذا الخير الكثير والله أعلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه، أو طينه مسك أذفر**» رواه البخاري (٦٥٨١).

---

(١) التذكرة باب ما جاء في حوض النبي ﷺ في الموقف وسعته وكثرة أوانيه وذكر أركانه ومن عليها ص(٢٩١) ط/دار السلام.

(٢) التذكرة للقرطبي (ص٢٩١ ـ ٢٩٣).

(٣) الآية (١) من سورة الكوثر.

والكوثر ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، وطوله شهر وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً. فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً**» متفق عليه.

يَرِدُه المؤمنون الصادقون القابضون على دينهم، والمهتدون بسنة نبيهم ﷺ، ويذاد عنه المنافقون والمغيِّرون لشرع ربّهم، المستنكفون عن سنة الهادي البشير، فقد روى البخاري وغيره أن أسماء رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**أنا على حوضي أنتظر من يرد عليَّ، فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أمتي، فيقال: لا تدري، مشوا على القهقرى**». قال ابن أبي مليكة: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن.. ونحن أيضاً نقول: اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «**أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثمّ يحال بيني وبينهم**».

قال أبو حازم: فسمعني النّعمان بن أبي عياش وأنا أحدِّثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال: «إنّهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدَّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي» البخاري كتاب الفتن (٧٠٤٨).

١٠ ـ ويجب **الإيمان بالجنة** وهي دار نعيم أعدّها الله لأوليائه، وأهل كرامته، وأكرمهم فيها بالنظر لوجهه الكريم، وهي أعظم كرامة لأوليائه جعلني الله وإياك منهم، ولا حجبنا عنه إنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، والأدلة على وجود الجنة كثيرة جداً من الكتاب والسنة فهذه بعضها:

قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ

ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٩ ـ ٧٣].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧].

ويقول رسول الهدى ﷺ: «**قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾** [السجدة: ١٧].

ولكن قبل هذه الآية، آيات تبين أعمالهم، يقول جلَّ وعلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧].

ويقول عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدّ كوكب دُرِيٍّ في السماء ضوءه، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون،**

أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألُوَّة، أزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعاً في السماء» متفق عليه، وفي رواية لمسلم: **«آنيتهم فيها الذهب، ورشحهم فيها المسك، ولكلّ واحد منهم زوجتان، يُرى مخّ ساقيهما من وراء اللّحم من الحُسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد، يسبّحون الله بكرة وعشيّا».**

لقد جاء الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ أنّ نبي الله موسى عليه السلام سأل الله عزَّ وجلَّ: **«ما أدنى أهل الجنة منزلة؟»، «يقول الله جلَّ وعلا: هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهلُ الجنة الجنة، فيُقال له: ادخل الجنة، فيقول: أيا رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا، فيقول: رضيتُ ربي، فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله ـ** أربع مرات **ـ ويقول في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: هذا لك، وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسُك، ولذّت عينك، فيقول: رضيتُ ربِّ، قال موسى عليه السلام: ربِّ، فأعلاهم منزلة؟ قال الله جلَّ وعلا: أولئك الذين غرستُ كرامتهم بيدي، وختمتُ عليها، ولم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على قلب بشر»** رواه مسلم.

وجعل الله عزَّ وجلَّ زوجات أهل الجنة عُرُباً أتراباً، والعُرُب: هي المرأة المتوددة إلى زوجها باللّطافة، ولين الكلام، ومع ذلك فهنّ على سنّ واحد، ولا تباغض ولا تحاسد في الجنّة، ففيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذّ الأعيُنُ، وفوق ذلك: أنهم فيها خالدون؛ لا يبغون عنها حولاً، ولا هم منها مُخرجون، ينادي منادٍ: **«إن لكم أن تصِحُّوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشِبُّوا فلا تهرموا أبداً»** رواه مسلم.

ثم فوق ذلك كلّه النّظر إلى وجهه الكريم ورضوانه العظيم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق رسول الله ﷺ حيث يقول: **«إنّكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، فإن استطعتم ألا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع**

الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا» متفق عليه ما هما هاتان الصلاتان، هما: صلاة الصبح، وصلاة العصر.

وقال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نرد إلى أوطاننا ونسلم؟

وقال:

فَحَيِّهَلاَ إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَّةٍ فَقَد ... حَدَا بِكَ حَادِي الشَّوْقِ فَاطْوِ الْمَرَاحِلاَ
وَقُلْ لِمُنَادِي حُبِّهِمْ وَرِضَاهُمْ ... إِذَا مَا دَعَا لَبَّيْكَ أَلْفاً كَوَامِلاَ
وَلاَ تَنْظُرِ الْأَطْلاَلَ مِنْ دُونِهِمْ فَإِنْ ... نَظَرْتَ إِلَى الْأَطْلاَلِ عُدْنَ حَوَائِلاَ
وَلاَ تَنْتَظِرْ بِالسَّيْرِ رِفْقَةَ قَاعِدٍ ... وَدَعْهُ فَإِنَّ الشَّوْقَ يَكْفِيكَ حَامِلاَ
وَخُذْ مِنْهُمْ زَاداً إِلَيْهِمْ وَسِرْ عَلَى ... طَرِيقِ الْهُدَى وَالْحُبِّ تُصْبِحُ وَاصِلاً
وَأَحْيِي بِذِكْرَاهُمْ شِرَاكَ إِذَا دَنَتْ ... رِكَابُكَ فَالذِّكْرَى تُعِيدُكَ عَامِلاَ
وَأَمَّا تَخَافَنَّ الْكَلاَلَ فَقُلْ لَهَا ... أَمَامَكِ وَرْدُ الْوَصْلِ فَابْغِي الْمَنَاهِلاَ
وَخُذْ قَبَساً مَنْ نُورِهِمْ ثُمَّ سِرْ بِهِ ... فَنُورُهُمْ يَهْدِيكَ لَيْسَ الْمَشَاعِلاَ
وَحَيِّ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ فَقِلْ بِهِ ... عَسَاكَ تَرَاهُمْ ثَمَّ إِنْ كُنْتَ قَائِلاَ
وَإِلاَّ فَفِي نَعْمَانَ عِنْدِي مُعَرَّفُ الْ ... أَحِبَّةِ فَاطْلُبْهُمْ إِذَا كُنْتَ سَائِلاَ
وَإِلاَّ فَفِي جَمْعٍ بِلَيْلَتِهِ فَإِنْ ... تَفُتْ فَمِنًى يَا وَيْحَ مَنْ كَانَ غَافِلاَ
وَحَيِّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ... مَنَازِلُكَ الْأُولَى بِهَا كُنْتَ نَازِلاَ
وَلَكِنْ سَبَاكَ الْكَاشِحُونَ لِأَجْلِ ذَا ... وَقَفْتَ عَلَى الْأَطْلاَلِ تَبْكِي الْمَنَازِلاَ
وَحَيِّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ بِجَنَّةِ الْـ ... خُلُودِ فَجُدْ بِالنَّفْسِ إِنْ كُنْتَ بَاذِلاَ
فَدَعْهَا رُسُوماً دَارِسَاتٍ فَمَا بِهَا ... مَقِيلٌ وَجَاوِزْهَا فَلَيْسَتْ مَنَازِلاَ

---

(١) الآية (٧٢) من سورة التوبة.

رُسُوماً عَفَتْ يَنْتَابُهَا الْخَلْقُ كَمْ بِهَا قَتِيلٌ وَكَمْ فِيهَا لِذَا الْخَلْقِ قَاتِلاَ
وَخُذْ يَمْنَةً عَنْهَا عَلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي عَلَيْهِ سَرى وَفْدُ الأَحِبَّةِ آهِلاَ
وَقُلْ سَاعِدِي يَا نَفْسُ بِالصَّبْرِ سَاعَةً فَعِنْدَ اللِّقَا ذَا الْكَدّ يُصْبِحُ زَائِلاَ
فَمَا هِيَ إلاّ سَاعَةٌ ثُمّ تَنْقَضِي وَيُصْبِحُ ذُو الأَحْزَانِ فَرْحَانَ جَاذِلاَ

١١ ـ **والنيران** (النار) يجب الإيمان بأن لله داراً أعدّها جزاء لأهل الكفر والمعاصي، قال تعالى لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾[2].

وفي بعض ألفاظ حديث جبريل من رواية ابن عباس عند أحمد قال فحدثني: «ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان... الحديث» وغير ذلك من الأحاديث.

ويجب الإيمان بأنهما موجودتان أعد كل واحدة لأهلها وأن النبي ﷺ رآهما ليلة الإسراء والمعراج، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[4]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[5]، وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾[6] وغيرها من الآيات.

---

(١) الآيات (٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤) من سورة الحجر.
(٢) الآيات (١٣ ـ ١٤ ـ ١٥) من سورة الطور.
(٣) من الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.
(٤) من الآية (٢١) من سورة الحديد.
(٥) الآية (١٧) من سورة السجدة.
(٦) الآيتان (١٤ ـ ١٥) من سورة النجم.

وقال تعالى: في النار وأنها معدة لأعداء الله تعالى: مرصدة لهم ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[1]، ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾﴾[3].

وروى البخاري في صحيحه باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ثم ذكر فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار**» وحديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**».

وحديث أبي ذر وأبي سعيد رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**أبردوا بالصلاة فإنّ شدّة الحرّ من فيح جهنّم**» وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتكت النّار إلى ربّها فقالت: ربّ أكل بعضي بعضاً، فأذِن لها بنفسين نفَسٍ في الشتاء، ونفسٍ في الصيف، فأشد ما تجدون في الحرّ، وأشدّ ما تجدون من الزّمهرير**».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم**»، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية قال: «**فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهنّ مثل حرها**» ومن قرأ القرآن ونظر في سنة خير ولد عدنان عرف الكثير عن تلك الدار، وما أعد الله فيها من صالح النزل للأبرار، والعذاب الكبير للكفار والفجار، نسأله بأسمائه الحسنى أن يعتق رقابنا ووالدينا ومن نحب من النار ورحم الله عبداً قال آمين.

---

(١) من الآية (١١) من سورة الفرقان.

(٢) من الآية (٣١) من سورة الإنسان.

(٣) الآيتان (٢١ ـ ٢٢) النبأ.

ثالثاً: الإحسان:

قال الحافظ: الإحسان: مصدر، تقول أحسن يحسن إحسانا. ويتعدى بنفسه وبغيره تقول أحسنت كذا إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع، والأول هو المراد لأن المقصود إتقان العبادة. وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلاً محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود. اهـ[1].

ثم إن الإحسان عند من دراه أي علمه هو أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. والإحسان لغة: إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه وفي الشريعة هو ما فسره النبي ﷺ بقوله: **«أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**.

وقد أخبر الناظم أيضاً أنّ الدين مجموع هذه الثلاث وهي الإسلام والإيمان والإحسان وقوله ذي الثلاث ذي اسم إشارة خبر الدين والثلاث بالرفع نعت له أو عطف بيان وقوله خذ أقوى عراك إشارة إلى أن الدين أقوى وأوثق عروة يستمسك بها لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[2]، وقوله ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[3]، وفي ذلك تلويح إلى تعبيره العروة في رؤيا عبدالله بن سلام رضي الله عنه بالإسلام الكامل المرادف للدين، ففي صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن قيس بن عباد قال: (كنت جالساً في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقال: هذا رجل من أهل الجنّة فصلّى ركعتين تَجَوَّز فيهما ثمَّ خرج وتبعته، فقلت إنّك حين دخلت إلى المسجد، قالوا: هذا رجل من أهل الجنّة، قال: والله ما ينبغي

---

(١) فتح الباري (١/١٤٦).

(٢) من الآية (٢٥٦) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢٢) من سورة لقمان.

لأحد أن يقول ما لا يعلم فسأحدثك لم ذاك رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه؛ رأيت كأنّي في روضة ذكر من سعتها وخضرتها وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة، فقيل لي: ارق فقلت: لا أستطيع فأتاني منصف فرفع ثيابي من خلفي فرقيت حتى كنت في أعلاها فأخذت العروة فقال لي: استمسك فاستيقظت وإنها لفي يدي فقصصتها على النّبي فقال: تلك الروضة الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام وتلك العروة الوثقى فأنت على الإسلام حتى تموت وذلك الرجل عبدالله بن سلام». اهـ.

قال الشارح: قال الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي في شرح الأربعين للنووي بعد شرحه لحديث عمر رضي الله عنه ما نصه: وهو حديث متفق على عظم موقعه، وكثرة أحكامه لاشتماله على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقائد الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال حتى أنّ علوم الشريعة كلّها راجعة إليه ومتشعبة منه فهو جامع لطاعات الجوارح والقلب أصولاً وفروعاً حقيق بأن يسمى أم السنة كما سميت الفاتحة أمّ القرآن لتضمنها جلّ معانيه، ومن ثمّ قيل لو لم يكن في هذه الأربعين بل في السنّة جميعها غيره لكان وافياً بأحكام الشريعة لاشتماله على جملتها مطابقة وعلى تفصيلها، فهو جامع لها علماً ومعرفةً وأدباً ونطقاً ومرجعه من القرآن والسنّة كلّ آية أو حديث تضمن ذكر الإسلام أو الإيمان أو الإحسان أو الإخلاص أو المراقبة أو نحو ذلك. اهـ.

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم ظاهر سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام وجوابه يقتضي تغايرهما وأنّ الإيمان تصديق بأمور مخصوصة والإسلام إظهار أعمال مخصوصة.

وتقدّم أنّ المصنّف ـ أي البخاري ـ يرى الإيمان والإسلام عبارة عن معنى واحد وقد نقل أبو عوانة الأسفراييني في صحيحه عن المزني صاحب

الشافعي الجزم بترادفهما سمع ذلك منه، وعن الإمام أحمد بتغايرهما ولكلّ من القولين أدلّة متعارضة، وقال أبو محمد البغوي في الكلام على حديث جبريل هذا جعل النبي ﷺ الإسلام هنا اسماً لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأنّ الأعمال ليست من الإيمان، ولا أنّ التصديق ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة كلّها شيء واحد وجماعها الدّين ولهذا قال: «**أتاكم ليعلمكم دينكم**»، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ولا يكون الدّين في محلّ الرّضا والقبول إلا بانضمام التصديق اهـ. كلام البغوي.

قال ابن حجر والذي يظهر من مجموع الأدلة أن لكل منهما حقيقة شرعية كما أنّ لكل منهما حقيقة لغوية لكن كلّ منهما يستلزم الآخر بمعنى التكملة له فكما أنّ العامل لا يكون مسلماً كاملاً إلا إذا اعتقد، فكذلك المعتقد لا يكون مؤمناً كاملاً إلا إذا عمل وحيث يطلق الإيمان في موضع الإسلام أو بالعكس أو يطلق أحدهما على إرادتهما معاً فهو على سبيل المجاز ويتبين المراد بالسياق فإن ورد في مقام السؤال حملاً على الحقيقة وإن لم يردا معاً أو لم يكونا في مقام سؤال أمكن الحمل على الحقيقة وعلى المجاز بسبب ما يظهر من القرائن[1].

(١) انظر فتح الباري (١/١٤٠) فما بعدها.

الفهارس العامة

فهرس الآيات قسم العقيدة

الآية	السورة	الصفحة
أ		
﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾	البقرة	١٠
﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾	مريم	٦٣
﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾	ق	١١١
﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾	الحديد	١٣٦
﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾	البقرة	١٣٧
﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	آل عمران	١٣٦
﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾	الواقعة	٦٦
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾	البقرة	٦٨
﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾	المرسلات	٦٦
﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾	الزمر	٧١
﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾	ص	٧٠
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾	الزخرف	١١٥
﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾	البقرة	٧٠
﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	القصص	١٠٠
﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾	البقرة	٢٢
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾	يس	٦٧

الآية	السورة	الصفحة
﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾	الأنفال	٦٩
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾	المائدة	٦١
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾	فاطر	٤٠
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِى﴾	هود	١٠
﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾	التوبة	٧٢
﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾	النبأ	١٣٧
﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾	القصص	٧١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	البقرة	١٠٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾	النساء	١١٨
﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	النحل	٧٢
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	الأعراف	٥٧
﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾	غافر	١٢٠
﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾	الحجر	١٣٥
﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾	الإسراء	٦٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾	آل عمران	١١٨
﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	البقرة	٧٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾	النساء	٦٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾	الذاريات	٧١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾	الذاريات	٦٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	المائدة	٨٧
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾	الدخان	١٣٣
﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾	إبراهيم	١١٨
﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾	الأحزاب	٦١
﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾	النور	٦٦
﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾	الكوثر	١٣١
﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	النساء	١١٨

الآية	السورة	الصفحة
﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾	الإنسان	٦٣
﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾	القمر	١٢٣
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾	الحجر	١١٧
﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾	الإسراء	٦٩
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾	يس	٦١
﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾	طه	٨٩
﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾	الأعراف	٦٣
﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾	الشعراء	٨٩
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾	الزخرف	١٣٣
﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ﴾	غافر	١١٦
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾﴾	الرحمن	٢١
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾	طه	٣٨
﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾	الحشر	٧١
﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾	الأنعام	١١٨
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾	الروم	٧١
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾	الرعد	٧٤
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾	البقرة	٦٢
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾	الحج	١٠١
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾	المائدة	١٠٣
﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾	يس	٦٣
ب		
﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾	المائدة	٤٦
ت		
﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾	آل عمران	٧٠
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾	السجدة	١٣٣

الآية	السورة	الصفحة
﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾	الأنفال	٦١
﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾	المائدة	٦٨
﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾	الأنعام	١١٣
ج		
﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	الواقعة	٦٧
﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾	النحل	٥٩
﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ﴾	الرعد	١١٤
ح		
﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾	يس	٨٤
ر		
﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	القصص	١٠٠
﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾	البينة	٧٣
ز		
﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾	التغابن	١٢٠
س		
﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾	النور	٥٨
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾	الأعلى	٩٩
﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾	الرعد	١١٥
ع		
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾	الجن	١١٨
﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢﴾	المؤمنون	٨٨
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾	الرعد	٦٩

الآية	السورة	الصفحة
﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	النمل	٦٩
﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾﴾	النجم	١٣٦
ف		
﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾	التوبة	٦٣
﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾	البقرة	٧٠
﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾	إبراهيم	٦٦
﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾	الأحقاف	١١٩
﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	الأعراف	١١٧
﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾	الصافات	٧٢
﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	المائدة	٧٣
﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾	البروج	٨٧
﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾	الشعراء	٦٩
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	النساء	١١٩
﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾	النحل	٨٨
﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾	النحل	
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾	السجدة	١٣٦
﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾	يوسف	٦٣
﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾	الأعراف	٦٢
﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾	العلق	١١٤
﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	المؤمنون	١٢٩
﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾	الأنعام	٨٧
﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾	البقرة	١٣٨
﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾	عبس	١١١
﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾	القمر	٧٠

الآية	السورة	الصفحة
ق		
﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾	الشعراء	٨٤
﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾	يوسف	٧١
﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾	يوسف	٦٦
﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾	مريم	٦٣
﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾	الذاريات	٦٢
﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾	المجادلة	٨٩
﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾	البقرة	٣٥
﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾	فصلت	٥٧
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	آل عمران	٧٣
﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾	الأعراف	١٠٣
﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾	الجاثية	٧٣
﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾	الإسراء	١١٨
﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾	الأنبياء	١١٦
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾	المائدة	٧٤
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾	الإخلاص	٧٨
﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾	السجدة	١١٣
﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾	البقرة	٧٣
ك		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾	إبراهيم	١١٧
﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	غافر	٧١
﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	القصص	٤٦
ل		
﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾	الأنعام	٥٥

الآية	السورة	الصفحة
﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾	البقرة	١١٨
﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾	النحل	١١١
﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	الصافات	١١٠
﴿لِّتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾	الجن	٨٨
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾	التوبة	٧٢
﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾	آل عمران	٩٧
﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾	النساء	٦٢
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾	الانفطار	١١١
﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	المائدة	٧٢
﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	المائدة	٦٩
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	الأنبياء	٨٧
﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾	الحج	٧٢
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾	الشورى	٣٩
م		
﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾	طه	٧٤
﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾	النحل	٦٦
﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾	إبراهيم	١٠٤
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾	البقرة	١١٢
﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾	البقرة	٩٠
هـ		
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾	الحديد	٦٦
﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	غافر	٨٨
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾	الجمعة	٦٨

الآية	السورة	الصفحة
و		
﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾	النساء	٦٨
﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾	النساء	٦٨
﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾	النساء	١١٧
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾	الفرقان	٦٢
﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾	الفرقان	١٣٧
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾	النحل	١٢٠
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	النحل	٧٧
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	المائدة	١١٧
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾	الأحزاب	١١٩
﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾	التحريم	٦٨
﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾	المائدة	٩٠
﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾	الأحقاف	٨٤
﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾	الشعراء	٧١
﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾	النساء	٦٧
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾	البقرة	٦٦
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾	التوبة	٩٠
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾	الصافات	١١١
﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾	البقرة	٦٩
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾	مريم	١٢٦
﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾	هود	١٢٥
﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾	يوسف	٦٢
﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾	البقرة	٦٩
﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾	النمل	٩٦
﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾	الأنعام	٩٠
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾	الزمر	٩٨

الآية	السورة	الصفحة
﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾	الزمر	٤٦
﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	الإنسان	١٣٧
﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾	يس	٦٦
﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	البقرة	٦٢
﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة		٦١
﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾	فاطر	٦٦
﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾	الأنبياء	٩٩
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾	الأنعام	٩٠
﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾	الصافات	٦٦
﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾	مريم	٧٠
﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾	الزخرف	١١١
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾	الفرقان	١٢٣
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا﴾	النساء	١١٨
﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾	التوبة	١٣٤
﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾	مريم	٧٠
﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾	آل عمران	١٣٢
﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾	مريم	٦٢
﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾	الزمر	١١٤
﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾	الزمر	١١٤
﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾	ص	٧١
﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾	البقرة	٦٧
﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾	الأنعام	٨٨
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾	غافر	١١٤
﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾	يوسف	٧٠
﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾	يوسف	٧٠
﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	إبراهيم	٦٦
﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾	الفرقان	١٠٠

الآية	السورة	الصفحة
﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ﴾	فصلت	٧١
﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ﴾	البقرة	٩٠
﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ﴾	الشورى	١١٦
﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾	الكهف	٧٠
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	النساء	٦٣
﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾	البقرة	٦٩
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾	طه	٤٠
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾	النحل	٥٠
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾	الأنبياء	٨٣
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾	الأعراف	٩٠
﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾	الأعراف	٧٣
﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾	الشورى	٧٣
﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾	النمل	٦٩
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾	السجدة	١٢٤
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾	البقرة	٨٧
﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾	النحل	١٢٠
﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾	الحج	٧١
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾	الأنبياء	٥٠
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾	الحج	٩٧
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾	الأنبياء	٩٧
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾	سبأ	٦٧
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	التكوير	١٢٥
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾	فاطر	٨٧
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾	هود	٦٧
﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾	الزخرف	١١١

الآية	السورة	الصفحة
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	المدثر	١١٦
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾	النجم	٩٨
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾	النجم	٥٨
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾	النساء	٩٠
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾	النساء	٩٠
﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	الأنبياء	١١١
﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾	النساء	٦٦
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	آل عمران	١٤٠
﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾	النساء	٧٤
﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	التحريم	١١٠
﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾	الإسراء	١٢٠
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	الأنبياء	١٢٩
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	الإسراء	١١٧
﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	التحريم	٨٨
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾	الأنعام	١١٦
﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾	هود	٦٨
﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾	الرحمن	٤٦
﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾	الحاقة	١١٦
﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾	هود	٧١
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾	المطففين	٤٢

ي

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾	البقرة	٦٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝١١٩﴾	التوبة	٩٩
﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾	المائدة	٩٩
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾	فاطر	٨٥

الآية	السورة	الصفحة
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾	الجمعة	٧٠
﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	إبراهيم	١١٥
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾	الرعد	١١١
﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾	الروم	٦٢
﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	محمد	٥٨
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾	البقرة	٦١
﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	الفتح	٩٠
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾	الصف	٦١
﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾	الرعد	٦٦
﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾	البقرة	٥٢
﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾	الحديد	٨٨
﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾	هود	٨٤
﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾	الحديد	١٢٦
﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾	الطور	١٣٦

فهرست الأحاديث
قسم العقيدة

الحديث	الصفحة
أ	
«آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرّة ويكبو مرة»	١٢٨
«أبردوا بالصلاة فإنّ شدّة الحرّ من فيح جهنّم»	١٣٧
«أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وُكِّلْتم؟»	١٢٤
«أَرْبِعُو على أنفسكم فإنّكم لا تدعُون أصمّاً غائباً وإنما سميعاً»	٨٩
«أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»	١٠١
«أعوذ بعزّة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر»	٨٧
«أفضل الذّكر لا إله إلا الله»	١٠٤
«أفضل ما قلته أنا والنّبيّون من قبلي لا إله إلا الله وحده»	١٠٤
«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»	٩٩
«أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تصم»	٥٥
«أمر النبي ﷺ في غزوة بني قريظة بضرب عنق»	٥٤
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»	٤٣
«أنا على حوضي أنتظر من يرد عليَّ»	١٣٢
«أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه»	١٣٢
«أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ»	٨٥

الحديث	الصفحة
«أنه ليأتي الرجل العظيم السّمين يوم القيامة»	١٣٠
«أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر»	١٣٣
«أين الله؟ فأشارت إلى السماء، ومن أنا؟ فقالت أنت رسول الله»	٢٠
«إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي»	١٣٧
«إنّ في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركّب يوم القيامة»	١٢٠
«إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه»	١١٥
«إنّ عيني تنامان ولا ينام قلبي»	١٠٠
«إن لكم أن تصِحُّوا فلا تسقموا أبداَ، وإن»	١٣٤
«إن الله سيختص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق»	١٠٥
«إِنَّ الله فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا»	٩١
«إن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة»	٤٧
«إنّكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»	١٣٤
«إنه أعور (الدجال) وإن ربكم ليس بأعور»	٤٧
«إني أوّل من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة»	١٢١
«إني لا أنْسَى، ولكن أُنَسَّى»	١٠٠
«اشتكت النّار إلى ربّها فقالت: ربّ أكل بعضي بعضاً»	١٣٧
«اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»	١٣٧
ب	
«بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف»	١٣١
«بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل»	١٠٦
ت	
«تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»	٥٣
«تلك الروضة السلام وذلك العمود عمود الإسلام»	١٣٩
ث	
«ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيراَ»	٩٧

الحديث	الصفحة
«ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش»	١٢٢
«ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلاّ أصغى لِيتاً»	١٢١
ح	
«حتى يضع الرب عز وجل فيها قدمه»	٤٦
«حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن»	١٣٢
خ	
«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجانّ من مارج من نار»	١١١
ر	
«رفع القلم عن ثلاث»	٥٤
ط	
«الطهور شطر الإيمان»	١٣٠
ع	
«على أيّ شيء ميكائيل؟ قال على النّبات والقطر»	١١٢
ف	
«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»	٥٠
ق	
«قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت»	١٣٣
«قال موسى عليه الصلاة والسلام يا رب علّمني ما أذكرك به وأدعوك»	١٠٥
«قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ»	٨٩

ك

«كذبت على ربي ثلاث كذبات» ٩٨
«كلُّ أمر ذي بال» ١٩
«كلّ ابن آدم يأكله التراب إلاّ عَجْب الذِّنَبِ» ١٢١
«كلمتان خفيفتان على اللّسان، حبيبتان إلى الرّحمن، ثقيلتان» ١٣٠
«كيف أَنْعَمُ، وصاحبُ القَرْن قد التقم القرن» ١١٣

ل

«لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً» ١٢٧
«لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد» ١٢٧
«لقي الله عز وجل وهو يضحك إليه» ٤٧
«لن يبلغ المرء حقيقة الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره» ١٢٣
«الله لا إله إلا هو الحي القيوم، أعظم آية في القرآن» ٨٦
«اللّهمّ ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل» ١١٣
«اللهم لا تجعل قبري وَثَناً يُعْبَدُ» ١٠١

م

«مَا أَحَلَّ الله فِي كِتَابه فَهُوَ حَلاَل، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَام» ٩٠
«ما أدنى أهل الجنة منزلة؟» ١٣٤
«ما بعث الله من نبي إلاّ كان حقّاً عليه أن يدلّ أمّته» ٣٤
«ما بين النفختين أربعون» ١٢١
«ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط» ١١٢
«ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل» ٤٧
«مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرّسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيراً» ٩٧
«مِمَّا تضحكون؟» ١٣٠
«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» ١٠٦

الحديث	الصفحة

ن

«ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنّم» ١٣٧
«نسي آدم فنسيت ذريته، وجحد آدم فجحدت ذريته» ١٠٠

و

«والنّبيّ نائمة عيناه، ولا ينام قلبه» ١٠٠
«وترسل الأمانة والرّحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً» ١٢٨
«ولكني إنما أنا بشر، أنسى كما تنسون» ١٠٠
«ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها» ١٢٨

ي

«يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتيّ الميزان» ١٣٠
«يا عمّ قل لا إله إلاّ الله كلمة أشهد لك بها عند الله» ١٠٧
«يهبط كل ليلة إلى السماء الدنيا» ٤٧

فهرس الموضوعات
(قسم العقيدة)

الموضوع	الصفحة
مقدمة بين يدي الكتاب	٩
مقدمة لكتاب الاعتقاد	١١
شرح مقدمة الناظم	١٧
تعريف الناظم بنفسه ودأب العلماء والسر في ذلك	١٧
حرمة الفتوى من الكتب المجهولة النسب	١٧
معنى الحمدلة	١٩
شرح معنى الصلاة والسلام على سيد الأنام	٢٢
تعريف الصحابي	٢٣
تعريف العقيدة في اللغة والاصطلاح	٢٣
ترجمة للإمام علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله تعالى	٢٤
مراحل في طريق اعتقاده	٢٥
رجوع الأشعري إلى معتقد الإمام أحمد بن حنبل	٢٦
الفقه لغة واصطلاحاً	٢٦
ترجمة للإمام مالك رحمه الله تعالى	٢٧
من روائع الأبيات في مدح الإمام مالك	٢٧
دعوى في والد مالك وزوجه	٢٨
ما سر بلوغ مالك درجة عالية في محبة القلوب له؟	٢٨

الموضوع	الصفحة

معنى الطريقة ٢٩
ترجمة للإمام أبي القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله تعالى ٢٩
مقدمة لكتاب الاعتقاد ٣١
الحكم لغة واصطلاحاً ٣١
أقسام الحكم عقلي، وشرعي، وعادي ٣١
القضية عند المناطقة ٣٢
التصور ٣٢
التصديق ٣٣
الوضع لغة واصطلاحاً ٣٣
تنبيه: الوضع أعم من التكليف ٣٣
حوار بين العلم والعقل ـ أبيات ٣٤
أطوار انحراف الناس عن المعتقد الصحيح ٣٥
كلام نفيس للمقريزي حول سبب انتشار عقيدة الاعتزال، وأثرها في معتقدات أهل السنة والجماعة ٣٥
بيان للدارمي عن كيفية ظهور البدع ودعاة الضلال ٣٨
جهمي يتمنى محو آيات الاستواء، وتغيير كلام رب الأرض والسماء ٣٨
وقفة مع أعلام خاضوا في علم الكلام وندموا ٣٩
اعتقاد الأئمة الأربعة في آيات الصفات ٤١
الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ٤٢
الإمام مالك رحمه الله تعالى ٤٤
الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ٤٦
أقسام الحكم العقلي ٤٨
هل الواجب الأول في حق المكلف النظر أم عبادة الله وحده، ورد الغزالي رحمه الله تعالى على ذلك ٤٩
هل يجوز نسبة المعرفة لله ٥١
التكليف لغة واصطلاحاً ٥٣
شروط التكليف ٥٤

الموضوع	الصفحة

كتاب أم القواعد، وما انطوت عليه من العقائد ٥٥
تعريف القواعد ٥٥
وقفة طويلة مع كلام الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في مبحث الصفات اقتضى المقام إيرادها ٥٧
اضطراب المأولة في مسألة الصفات، ووقوعهم فيما هربوا منه ٥٩
الاشتراك في اللفظ لا يدل على المطابقة في المعاني ٦٠
صفات الباري من باب واحد ٦٠
أبيات لشيخنا العلامة محمد سالم ولد عدود في إجراء الصفات على ظاهرها وتقويم قول المقري ٧٩
الصفة النفسية بيانها وقول الحق فيها ٨١
صفة الوجود ٨٢
وقفة تأمل مع الذرة وبيان بطلان من اعتمد عليها قديماً ٨٣
صفة القِدَم ٨٤
صفة البقاء ٨٥
صفة الغنى المطلق ٨٥
صفة المخالفة للحوادث ٨٦
صفة الوحدانية ٨٧
القدرة وضدها ٨٧
الإرادة وضدها ٨٧
العلم وضده ٨٨
الحياة وضدها ٨٨
السمع والبصر وضدهما ٨٩
صفة السكوت (الصمات) وبيان الحق ٩٠
الدلائل المنطقية على الصفات التي ذكرها الناظم ٩١
دخول علم المنطق في نطاق العلوم الشرعية واللغوية وتعقيد فهمها ٩٢
النبوات ٩٦
معنى الرسول والنبي ٩٦

الموضوع	الصفحة

الفرق بين الرسول والنبي ٩٦
الحكمة من بعث الرسل ٩٧
عدد الرسل والأنبياء ٩٧
ما يجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام ٩٨
الصدق ٩٨
الأمانة ٩٩
التبليغ ٩٩
ما يجوز في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والحكمة في جواز وقوع الأعراض على الرسل ١٠٠
برهان صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام ١٠٢
أفضل كلمة على الإطلاق لا إله إلا الله ١٠٤
دعائم الدين الثلاث ١٠٦
حديث جبريل ١٠٦
أركان الإيمان ١٠٩
الإيمان بالله تعالى ١١٠
الإيمان بالملائكة ١١٠
الملائكة العظام جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل ١١٢
نفخات الصور ١١٣
مالك خازن النار ١١٤
رقيب وعتيد ١١٤
منكر ونكير ١١٥
المعقبات ١١٥
الإيمان بالكتب ١١٧
الإيمان بالرسل ١١٨
الأنبياء المذكورون في القرآن ١١٨
أولو العزم ١١٩
الإيمان بالبعث ١٢٠

الموضوع	الصفحة

الإيمان بالقدر ١٢٢
أقوال الأئمة في القدر ١٢٤
الصراط ١٢٦
الميزان ١٢٩
الحوض ١٣١
الجنة ١٣٢
النار ١٣٦
الإحسان ١٣٨

العَرْفُ النَّاشِرْ

فِي شَرْحِ وَأَدِلَّةِ فِقْهِ مَتْنِ ابْنِ عَاشِرْ

قِسْمُ التَّصَوُّفْ

تَأْلِيفُ

المختار بن العربي مؤمن

الجزائري ثم الشنقيطي

عفا الله تعالى عنه وعن والديه

والمسلمين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

لست في شرح أبيات ابن عاشر رحمه الله تعالى مادحاً للتّصوف ولا ذامّاً لأهله، وإنما أحاول أن أعطي الموضوع حقه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، لا سيما في زمن اختلط فيه الحق بالباطل، وصارت كلّ فرقة تدَّعي أنها هي أهل السنة والجماعة وما عداها الضّلال والكفر وغاب الإنصاف، وعزّ المواسي، وكثر التلاسن، وازداد شرخ الأمة بدل محاولتها الألفة والإخاء، ووقف تجار كلّ طائفة ينافحون عن كراسيهم ومشيختهم باسم الدّفاع عن الحقّ الذي تعتنقه هذه الطائفة أو تلك، ولو عاد الجميع عند التصادم والاختلاف إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[2].

والحقّ أنّ كلّ فرقة من فرق الإسلام الصادقة المتمسكة بالسنة قد ضربت بسهم، وأخذت بنصيب، وإنما يمدح المرء بقدر تمسكه بالحقّ، ويذمّ بقدر اعتناقه للباطل، والاستماتة في سبيله ولقد أنصف الله تبارك وتعالى: في كتابه الكريم قولة الحق وأقرّها حينما قالت ملكة سبأ وهي يومئذ كافرة: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾

(١) من الآية (٨٣) من سورة النساء.

(٢) الآية (٦٥) من سورة النساء.

فقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1]، وقال النبي ﷺ في حقّ الشيطان حينما دلّ أبا هريرة رضي الله عنه على فضل آية الكرسي «**صدقك وهو كذوب**»[2]، فلماذا لا ينصف المسلم أخاه المسلم، ولماذا نرى مخالفينا بعين واحدة.

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السُّخط تبدي المساوي

وإن ما أورده ابن عاشر في تصوفه هنا ينِمُّ عن مدرسته التي كان ينتسب إليها وهي مدرسة علمية تربوية بعيدة عن شطحات الغلاة من الصوفية ومنتحليه بالباطل، وإنما هي تربية منبعها الكتاب والسنة وآخِيَتُها التي تعود إليها في تصورها والعمل بها هي أركان الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، ودوران هذه الأبيات على الأخير منها محاولة من الناظم أن يُنَشَّأ الفتيان على تزكية نفوسهم من الصغر على الحق المنير، والطريق القويم.

ولو اكتفى المربون باسم «التزكية»، وهي مصطلح قرآني لكفى ذلك المسلمين شرّ التّهارش والتّناوش، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[3]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[4]، ولكن كيف يقع ذلك!! وقد غدا العنوان التربوي في بعض المدارس التي درست فيها قولة ينسبونها للإمام مالك ولم أعثر عليها إلى حدّ الساعة: «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن

---

(١) الآية (٣٤) من سورة النمل.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الآية (١٦٤) من سورة آل عمران.

(٤) الآية (٢) من سورة الجمعة.

جمع بينهما فقد تحقق»[1] ومتى كان التصوف مدرسة في زمن مالك رحمه الله تعالى: بل ظهور المصطلح ينمى لبعض الأفراد ولم يكن بعد صار علماً لطائفة معينة «ونحن نعلم أن هناك أفاضل ينتسبون إلى التصوف ولكن هذا لا يمنع من الكلام عن الصوفية بشكل عام، وهؤلاء العلماء أخذوا بجانب الصوفية لظنّهم أنّها الطريق الوحيد لتربية النّفس، وهذا خطأ منهم، ومع ذلك فهم لا يتعمقون في التصوف المنحرف المؤدي إلى البطالة أو الكفر[2]. والله المستعان.

موقف العلماء من التصوف:

أ ـ طائفة من الناس نظرت إلى مساوئ القوم وأغمضت العيون عن محاسنها فقالوا بضلال الصوفية وردوا كلامهم سواءً ما وافق الكتاب والسنة أو خالفهما وهذه الطائفة كما يقول ابن القيم: (**حجبت عن محاسن هذه الطّائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات وأنكروها غاية الإنكار وأساؤوا الظن بهم**)[3].

ب ـ وطائفة أخرى نظرت إلى محاسن القوم وصدق معاملتهم وشفافية نفوسهم وحسن عبادتهم فأقبلت على علوم الصوفية وكتبهم وقصائدهم وقصصهم دون تمحيص مغمضة العيون عن عيوب القوم ومساوئهم وهؤلاء كما يقول ابن القيم: (حجبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم عن رؤية شطحاتهم).

---

(١) ومن عثر عليها مسندة صحيحة فليفدني أفاده الله بالعلم والعمل. أما الكذب المختلق فموجود كقول إسحاق بن سيار النصيبي، حدثني عبد الملك بن زياد النصيبي قال: كنا عند مالك فذكرت له صوفيين في بلادنا فقلت له يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا قال: فقال لي: ويحك أوَمسلمون هم؟ قال: فضحك حتى استلقى. قال: فقال لي بعض جلسائه: ما هذا؟ ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكاً قط» وستأتي ص(١٨٧).

(٢) الصوفية نشأتها وتطورها لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم.

(٣) مدارج السالكين (٢/٣٩، ٤٠).

ج ـ وطائفة ثالثة وهم كما يسميهم ابن القيم أهل العدل والإنصاف الذين يقبلون من القوم ما يجدونه حسناً موافقاً للكتاب والسنة ويردون ما خالف الكتاب والسنة ويردون على شطحات القوم وهذا الموقف هو الذي يجب أن يقفه كلّ مسلم فلا تحملنا حسنات القوم على قبول خطئهم وتحسينه. كما يجب أن لا تحملنا سيئات القوم على رد حق ذهبوا إليه أو قالوا به بل الحكم العدل الذي بيننا هو الكتاب والسنة ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1]، ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾[2].

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل العدل والإنصاف المتمسكين بكتاب ربّهم وسنة نبيه محمد ﷺ[3].

كتاب مبادىء التّصوف وهوادي التّعرف

ختم ابن عاشر رحمه الله تعالى هذا النظم بمبادئ علم التصوف وفاءً بما وعد به صدر النظم في قوله: (وفي طريقة الجنيد السالك).

والمبادئ جمع مبدأ وهو في اصطلاح أكثر الأصوليين ما يتوقف عليه المقصود بوجه ما.

ولفظ هوادي في ترجمة الناظم جمع هاد اسم فاعل من هدى بمعنى بين وأرشد وهو معطوف على مبادئ.

والتعرف مصدر تعرف إذا طلب المعرفة ولعل المراد المعرفة.

ولا شك أن ما ذكره الناظم في هذا الكتاب من مسائل التصوف من

---

(١) النساء: الآية ٥٩.

(٢) المائدة: الآية ٨.

(٣) مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي للدكتور محمود يوسف الشوبكي أستاذ مساعد في قسم العقيدة والمذاهب الفكرية في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة.

التوبة، والتقوى وغض البصر عن المحارم، وما ذكر بعده يتوقف عليه غيره مما هو أرقى منه مما هو المقصود بالذات، قال الإمام الهروي: واعلم أن العامة من علماء هذه الطائفة والمشيرين إلى هذه الطريقة اتفقوا على أن النهايات لا تعلم إلا بتصحيح البدايات، كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساس وتصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة وتعظيم النهي على مشاهدة الخوف وغاية الحرمة والشفقة على العالم ببذل النصيحة وكف المؤونة ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب[1].

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث، ويتفقه لا يقتدى به»[2]، وقال الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه كشف الغمة: كل طريق لم يمش فيه الشارع فهو ظلام، ولا يكون أحد ممن مشى فيه على يقين من السلامة وعدم العطب»، وقال أيضاً: دوروا مع الشرع كيف كان، لامع الكشف فإنه يخطئ، وينبغي إكثار مطالعة كتب الفقه، عكس ماعليه المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة من الطريق فمنعوا مطالعة الفقه! وقالوا: إنه حجاب! جهلاً منهم»[3].

وقال الإمام الغزالي في الإحياء: قال الجنيد رحمه الله تعالى: قال لي السري السقطي يوماً: إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ قلت: المحاسبي، فقال: نعم، خذ من علمه وأدبه، ودع عنك تشقيقه الكلام وردّه على المتكلمين، ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفياً، ولا جعلك صوفياً صاحب حديث».

قال الغزالي رحمه الله تعالى: أشار إلى أن من حصل الحديث ـ أي

---

(١) الدر الثمين والمورد المعين (٥٠٦).

(٢) (إغاثة اللهفان ١/١٢٥) ابن القيم.

(٣) كشف الغمة (١/١٠) ونقله ابن العماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب في ترجمة الشعراني (٨/٣٧٤) وعنهما محقق رسالة المسترشدين ص(٨٣) حاشية.

العلم ـ ثم تصوف أفلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه»[1].

فأين الذين يظنون أنهم أهل تصوف ولم يثبت عنهم أنهم جلسوا في حلق الفقه والحديث، بل حتى بعضهم ممن زعم أنه جلس اتخذ الهوى إماماً له ينافح به عن أهل طريقته ومذهبه، والحق أحق أن يتبع، والله جل جلاله لا يخدعه أحد.

الحديث عن التصوف ونشأته:

جاء في الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان تعريف التصوُّف بأنه «حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية ويتوخّى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة)[2]». والزهد لم يذّمه أحد وقد ذموا التصوف»[3].

«والذين اكتفوا بحسن الخلق والزهد في الدنيا والتأدب بآداب الشرع لقبوا بالنساك والقراء والزهاد والعباد، والذين أقبلوا على دراسة النفوس وآفاتها وما يرد على القلب من خواطر وحرصوا على الصيغة المذهبية لقبوا بالصوفية»[4].

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١/٣٧ ـ ٣٨).

(٢) الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان (١/٢٥٣). الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر.

(٣) ابن الجوزي: تلبيس إبليس/١٦٥.

(٤) زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ٢/٢١.

اشتقاق لفظ التصوف:

تنازع العلماء في نسبة الاشتقاق على أقوال كثيرة أرجحها:

١ـ ما رجَّحه ابن خلدون وشيخ الإسلام ابن تيمية وطائفة كبيرة من العلماء من أنها نسبة إلى الصُّوف حيث كان شعار رهبان أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية وبالتالي فقد أبطلوا كلّ الاستدلالات والاشتقاقات الأخرى على مقتضى قواعد اللّغة العربية مما يبطل محاولة نسبة الصوفية أنفسهم لأهل الصُّفَّة من أصحاب رسول الله ﷺ أو محاولة نسبة الصوفية أنفسهم إلى علي بن أبي طالب والحسن البصري وسفيان الثوري رضي الله عنهم جميعاً وهي نسبة تفتقر إلى الدليل ويعوزها الحجة والبرهان.

٢ـ الاشتقاق الآخر ما رجحه أبو الريحان البيروني ٤٤٠هـ وفون هامر حديثاً وغيرهما من أنها مشتقة من كلمة سوف SOPH اليونانية والتي تعني الحكمة. ويدلِّل أصحاب هذا الرأي على صحته بانتشاره في بغداد وما حولها بعد حركة الترجمة النشطة في القرن الثاني الهجري بينما لم تعرف في نفس الفترة في جنوب وغرب العالم الإسلامي. ويضاف إلى الزمان والمكان التشابه في أصل الفكرة عند الصوفية واليونان حيث أفكار وحدة الوجود[1]،

---

(١) تنسب نظرية وحدة الوجود إلى ابن عربي الذي جعل الله والخلق شيئاً واحداً ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وجعل الإنسان والإله في مرتبة واحدة. حيث تقوم هذه النظرية في مدلولها البسيط على أن كل الموجودات التي في الكون رغم كثرتها وتعددها شيءٌ واحد وهذا الشيء هو الله سبحانه. فالله يظهر ويتجلى في صور متعددة بزعمهم والمراد بها أيضاً أن الله هو الحق وليس هناك إلا موجود واحد هو الموجود المطلق وهو الله فليس غيره في الكون وأما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلهية والعالم ليس له وجود في ذاته لأنه صادر عن الله بالتجلي.

الاتحاد: يعني أن الإنسان يتحد بالله وفي حالة الاتحاد قد يفقد الشيء ذاتيته أو بعض أوصافها أو خصائصها وفيه تكون الذاتان أكثر تداخلاً وأكثر قرباً. وتنسب هذه النظرية للبسطامي. وهو شهود الوجود الواحد المطلق فالكل يتحد بالحق من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه، لا من حيث أن له وجوداً خاصاً انحل به فإنه محال.

والحلول[1]، والإشراق والفيض[2]. كما استدلوا على قوة هذا الرأي بما ورد عن كبار الصوفية مثل السهروردي ـ المقتول ردة ـ بقوله: (وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغورثيين وقعت إلى أخي أخميم (ذي النون المصري) ومنه نزلت إلى سيارستري وشيعته (أي سهل التستري) وأضافوا إلى ذلك ظهور مصطلحات أخرى مترجمة عن اليونانية في ذلك العصر مثل: الفلسفة، الموسيقا، الموسيقار، السفسطة، الهيولى[3].

ـ (وورد في الصحاح أنّ الصوف للشاة ويقال كبش صاف أي كثير الصوف.

ـ وصاف السهم عن الهدف مال وعدل والمضارع منه يصوف ويصيف.

ـ ويرى صاحب المصباح المنير أن كلمة صوفية كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية[4]، وعلى هذا تكون كلمة تصوف مبتدعة محدثة وغير معروفة عند العرب الأوائل ولا في عصر الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ويرد على الذين قالوا باشتقاقه من الصوف بعدة أمور:

---

(١) يعني أن الله تعالى حل في جميع أجزاء الكون في البحار والجبال والصخور والأشجار والإنسان والحيوان. مع بقاء عنصر كل من الطرفين ـ اللذين حل أحدهما في الآخر ـ على حالته الأولى فمن زعم أن الإله حل في البقرة فإن البقرة ما زالت هي هي تحلب وتؤدي وظائفها كما هي. انظر مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي للشوبكي تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٢) وينقسم إلى قسمين: أحدهما: الفيض الأقدس: وهو تجلي الواحد أو التجلي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية في العالم المعقول ثانيهما: الفيض المقدس: وهو تجلى الواحد أو التجلي الموجب لظهور الأعيان في الخارج.

فالأول: وجودها في العلم والعقل؛ والثاني: وجودها في الخارج مع لوازمها وتوابعها». المصدر السابق.

(٣) الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان (٢٥١).

(٤) المصباح مادة الصوف.

ـ «بأن لبس الصوف ليس فيه فضيلة وليس في الانتساب إليه شرف وذلك لأن الرسول ﷺ كان يلبس الصوف والقطن والكتان وقد جاء في البخاري عن أنس رضي الله عنه «كان أحبّ الثياب إلى رسول الله ﷺ أن يلبس الحبرة[١]، وجاء في شرحها لابن حجر في فتح الباري[٢] قال ابن بطال: إنّ الحِبرة بردة من برود اليمن تصنع من قطن، وتكون مزينة، من التّحبير وهو التزيين.

ـ بل قد أورد ابن القيم رحمه الله في كتابه زاد المعاد[٣]، عن عائشة رضي الله عنها أنها جعلت للنبي ﷺ بردة سوداء فلبسها فلما عرق ووجد ريح الصوف قذفها قالت: وكان يعجبه الريح الطيبة[٤]. وهذه الأحاديث تقلب للصّوف ظهر المجن.

ـ وأما قولهم بأنّ عيسى عليه السلام كان لا يلبس إلاّ الصّوف فهو قول مأخوذ من مصادر غير صحيحة ومن كتب أهل الكتاب المحرفة.

ـ إنّ لبس الصّوف هو لبس الرّهبان وأهل الصّوامع ولا رهبانية في الإسلام وكثير من الزّهاد الأوائل كان يذمّ لبس الصّوف لذلك.

ومن ذلك ما ورد في تلبيس إبليس، بأن حماد بن أبي سليمان رأى رجلاً عليه ثوب صوف فقال له: «ضع عنك نصرانيتك هذه»[٥].

وقال أبو العالية لرجل آخر لبس الصوف «إنما هذه ثياب الرهبان».

---

(١) قال في النهاية في غريب الحديث: الحبير مِن البُرُود: ما كان مَوْشِيّاً مُخَطّطاً. يقال بُرْدُ حَبِير وبُرْدُ حِبرَة بوزن عِنَبة: على الوصف والإضافة وهو بُرْد يمَانٍ والجمع حِبَرٌ وحِبَرات.

(٢) الفتح (٢٨٨/١٠).

(٣) زاد المعاد لابن القيم (٣٤) زاد المعاد ابن قيم الجوزية تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ط١/ مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م (١٤٤/١).

(٤) أخرجه أبو داود مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر حديث رقم ٤٧٤ كتاب اللباس باب في السواد (٥٤/٤).

(٥) تلبيس إبليس: ابن الجوزي ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦.

ورأى سفيان الثوري رجلاً لبس الصوف فقال: «لباسك هذا بدعة».

وينكر ابن الجوزي أن يكون للمرقعة الصوفية أصل في السنة وهي التي يزعمون أنّ النبي ﷺ ألبسها لعلي رضي الله عنه.

- ولم يرد أن أبا بكر وعمر والصحابة رضي الله عنهم كانوا مختصين بلبس الصوف دون غيره من الثياب.

- إن لبس الصوف مدعاة إلى التظاهر بالتنسك والتقشف والزهد وهذا من الرياء فقد قال محمد بن محمد الكتاني لأصحاب المرقعات «إخواني إن كان لباسكم موافقاً لسرائركم فقد أحببتم أن يطّلع النّاس عليها وإن كانت مخالفة لسرائركم فقد هلكتم وربّ الكعبة»[1].

- وقال الجنيد إذا رأيت الصوفي يُعنَى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب[2].

- ورحم الله ابن الجوزي الذي عاب على الذين خربوا بواطنهم وتظاهروا بالزهد والتقشف فقال: «كان الزّهد في بواطن القلوب فصار في ظواهر الثياب»، و«كان الزهد خُرْقَةً فصار اليوم خِرْقَة ويحك صَوِّفْ قلبَكَ لا جسمك وأصلح نيَّتَك لا مُرَقِّعَتَكَ»[3].

- ويرى الإمام القشيري في الرّسالة القشيرية[4]، أنّ التصوف اسم عَلَم على طائفة الصوفية بغض النظر عن اشتقاق الكلمة والأصل الذي أخذت عنه. والذي أراه أن التصوف نشأ نشأةً إسلامية مستقاة من النصوص الشرعية في الزهد وترك الدنيا وملذاتها ثم مع مرّ الأيام تأثر بعض الصوفية وأصحاب الطرق بالفكر الغريب المستقى من الفلسفة اليونانية والأديان القديمة.

---

(١) تلبيس إبليس: ابن الجوزي ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤.

(٢) الرسالة القشيرية دار الكتاب العربي ١٢٧.

(٣) نقلاً عن عبد الرحمن دمشقية أبو حامد الغزالي والتصوف دار طيبة ط٢ ص١٣٢. بواسطة مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي الدكتور/ محمود يوسف الشوبكي.

(٤) انظر: الرسالة القشيرية ص١٨٣.

والراجح في هذه الأقوال كما تقدم هو نسبتهم إلى الصوف لأنه حكم بالظاهر وتصح لغة، أو قول الإمام القشيري وهو من أوائل الصوفية فهو أعلم بشؤونهم)[1].

نبذة تاريخية عن الحركة الصوفية:

خلال القرنين الأولين ابتداءً من عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين حتى وفاة الحسن البصري لم تعرف الصوفية سواء كان باسمها أو برسمها وسلوكها بل كانت التسمية الجامعة: المسلمين، المؤمنين، أو التسميات الخاصة مثل: الصحابي، البدري، أصحاب البيعة، التابعي.

لم يعرف ذلك العهد هذا الغلو العملي التعبُّدي أو العلمي الاعتقادي إلا بعض النزعات الفردية نحو التشديد على النفس الذي نهاهم عنه النبي ﷺ في أكثر من مناسبة ومنها قوله للرهط الذين سألوا عن عبادته ﷺ: **«لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[2].

وقوله ﷺ للحولاء بنت تويت التي طوَّقت نفسها بحبل حتى لا تنام عن قيام الليل كما في حديث عائشة رضي الله عنها: **«عليكم من العمل ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّوا وأحبُّ العمل إلى الله أدْوَمُه وإنْ قَلَّ»**[3].

ـ وهكذا كان عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا المنهج يسيرون يجمعون بين العلم والعمل والعبادة والسعي على النفس والعيال وبين العبادة والجهاد والتصدي للبدع والأهواء مثلما تصدّى ابن مسعود

---

(١) مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي الدكتور/ محمود يوسف الشوبكي أستاذ مساعد في قسم العقيدة والمذاهب الفكرية في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة. وفيه دراسة جيدة للتصوف وأنواعه ومفاهيمه.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

رضي الله عنه لبدعة الذكر الجماعي بمسجد الكوفة وقضى عليها[1] وتصدِّيه لأصحاب معضّد بن يزيد العجلي لما اتخذوا دوراً خاصة للعبادة في بعض الجبال وردهم عن ذلك.

ظهور العُبّاد: في القرن الثاني الهجري في عهد التابعين وبقايا الصحابة ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يُعهد من قبل، ومن أسباب ذلك بزوغ بعض الفتن الداخلية وإراقة بعض الدماء الزكيّة فآثروا اعتزال المجتمع تصوُّناً عما فيه من الفتن وطلباً للسلامة في دينهم يضاف إلى ذلك أيضاً فتح الدنيا أبوابها أمام المسلمين وبخاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية وانغماس بعض المسلمين فيها وشيوع الترف والمجون بين طبقة من السفهاء مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة والكوفة حيث كانت بداية الانحراف عن المنهج الأول في جانب السلوك.

ـ ففي الكوفة ظهرت جماعة من أهلها اعتزلوا الناس وأظهروا الندم الشديد بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه وسموا أنفسهم بالتوَّابين أو البكَّائين.

كما ظهرت طبقة من العبَّاد غلب عليهم جانب التشدد في العبادة والبعد عن المشاركة في مجريات الدولة مع علمهم وفضلهم والتزامهم بآداب الشريعة واشتغالهم بالكتاب والسنة تعلماً وتعليماً بالإضافة إلى صدعهم بالحق وتصديهم لأهل الأهواء. كما ظهر فيهم الخوف الشديد من الله تعالى والإغماء والصعق عند سماع القرآن الكريم مما استدعى الإنكار عليهم من بعض الصحابة وكبار التابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم رضي الله عنهم وبسببهم شاع لقب العُبَّاد والزُهَّاد والقُرَّاء في تلك الفترة. ومن أعلامهم: عامر بن عبدالله بن الزبير وصفوان بن سليم وطلق بن حبيب العنزي، وعطاء السلمي الأسود بن يزيد بن قيس وداود الطائي وبعض أصحاب الحسن البصري.

---

(١) رواه محمد بن وضاح القرطبي في كتاب البدع والنهي عنها بإسناده (ص١١) باب ما يكون بدعة.

بداية الانحراف: كدأب أي انحراف يبدأ صغيراً ثم ما يلبث إلا أن يتسع مع مرور الأيام فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن أدهم ومالك بن دينار وبشر الحافي ورابعة العدوية وعبدالواحد بن زيد إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيب للنفس بترك الطعام وتحريم تناول اللحوم والسياحة في البراري والصحاري وترك الزواج.

يقول مالك بن دينار: «لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي إلى مزابل الكلاب». وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص كتاب أو سنة ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نُسب إلى هؤلاء الزهاد من الأقوال المرذولة والشطحات المستنكرة ما لم يثبت عنهم بشكل قاطع كما ذكر ذلك بعض المحقّقين[1].

ـ وفي الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلي هو وقَبِيلُه يروِّضون أنفسهم على هجر النوم وإدامة الصلاة حتى سلك سبيلهم مجموعة من زهاد الكوفة فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم في السابق.

ـ وظهرت من بعضهم مثل رابعة العدوية أقوال مستنكرة في الحبّ والعشق الإلهي للتعبير عن المحبة بين العبد وربه وظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار مخالفةً لقول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[2].

ـ ويلخص أهل العلم هذا التطور في تلك المرحلة بقوله: «في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: **الرأي والكلام والتصوف** فكان جمهور الرأي في الكوفة وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة فإنه بعد موت

---

(١) الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان بتصرف.

(٢) من الآية (٩٠) من سورة الأنبياء.

الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وظهر أحمد بن علي الهجيمي ت٢٠٠هـ تلميذ عبدالواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري وكان له كلام في القدر وبنى دويرة للصوفية ـ وهي أول ما بني في الإسلام ـ أي داراً بالبصرة غير المساجد للالتقاء على الذكر والسماع، صار لهم حال من السّماع والصوت ـ إشارة إلى الغناء ـ وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين».

ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة بسبب قُربها من بلاد فارس والتأثُّر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب وقد تنازع العلماء والمؤرخون في أول مَن تسمَّ به. على أقوال ثلاثة:

١ ـ قول شيخ الإسلام تقي الدين ومن وافقه: أن أول من عُرف بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي ت١٥٠هـ أو ١٦٢هـ بالشام بعد أن انتقل إليها.

٢ ـ يذكر بعض المؤرخين أن عبدك ـ عبدالكريم أو محمد ـ المتوفى سنة ٢١٠هـ هو أول من تسمى بالصوفي ويذكر عنه الحارث المحاسبي أنه كان من طائفة نصف شيعية تسمي نفسها صوفية تأسست بالكوفة. بينما يذكر الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أنَّ الدنيا كلَّها حرام لا يحلّ لأحد منها إلاّ القوت حيث ذهب أئمة الهدى ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل وإلا فهي حرام ومعاملة أهلها حرام.

٣ ـ يذهب ابن النديم في الفهرست إلى أنّ جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق والمتوفى سنة ٢٠٨هـ أوّل من تسمّى بالصّوفي والشيعة تعتبره من أكابرهم والفلاسفة ينسبونه إليهم.

طلائع الصوفية: ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجري ثلاث طبقات من المنتسبين إلى التصوف وهي:

الطبقة الأولى: وتمثل التيار الذي اشتهر بالصدق في الزهد إلى حدّ

الوساوس والبعد عن الدنيا والانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصّدر الأوّل من الرّسول ﷺ وصحابته بل وعن عبّاد القرن السابق له ولكنه كان يغلب على أكثرهم الاستقامة في العقيدة والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف وإن كان ورد عن بعضهم ـ مثل الجنيد ـ بعض العبارات التي عدّها العلماء من الشّطحات ومن أشهر رموز هذا التيار:

ـ **الجنيد**[1]: هو أبو القاسم الخراز المتوفى ٢٩٨هـ يلقبه الصوفية بسيد الطائفة ولذلك يعدّ من أهم الشخصيات التي يعتمد المتصوفة على أقواله وآرائه وبخاصة في التوحيد والمعرفة والمحبة. وقد تأثر بآراء ذي النون النوبي فهذبها وجمعها ونشرها من بعده تلميذه الشبلي ولكنه خالف طريقة ذي النون والحلّاج و البسطامي في الفناء حيث كان يُؤْثر الصحو على السكر وينكر الشطحات ويؤثر البقاء على الفناء فللفَناءِ عنده معنى آخر وقد أنكر على المتصوفة سقوط التكاليف. وقد تأثر الجنيد بأستاذه الحارث المحاسبي الذي يعد أول من خلط الكلام بالتصوف وبخاله السري السقطي ت ٢٥٣هـ.

ـ ومن أهم السمات الأخرى لهذه الطبقة: بداية التمييز عن جمهور المسلمين والعلماء وظهور مصطلحات مثل قول بعضهم: علمُنا، مذهبنا طريقنا قال الجنيد: (علمنا مشتبك مع حديث رسول الله ﷺ) وهو انتساب محرم شرعاً حيث يفضي إلى البدعة والمعصية بل وإلى الشرك أيضاًوقد اشترطوا على من يريد السير معهم في طريقتهم أن يَخرُجَ من ماله وأن يُقلَّ من غذائه وأن يترك الزواج ما دام في سلوكه[2].

«وقد عرف التصوف في بداياته بأنه رياضات نفسية ومجاهدات للطباع، وكسر لشهوات النفوس وتعذيب للجسد كي تصفو الروح، وإذا كان هذا الصفاء الروحي يأتي بدون تكلف عند السلف نتيجة التربية المتكاملة فنحن هنا بصدد تشدد وتكلف لحضور هذا الصفاء، وبصدد تنقير وتفتيش

---

(١) تقدمت ترجمته في قسم العقيدة من هذا الكتاب.

(٢) انظر الموسوعة الميسرة لمن أراد التوسع في طرق وطبقات الصوفية عبر العصور الإسلامية (٢٥١/١) الندوة العالمية للشباب.

عن الإخلاص يصل إلى حد الوساوس، وسنرى من أقوالهم وأحوالهم ما يؤيد هذا.

قال الجنيد ـ ويسمونه سيد الطائفة ـ: «ما أخذنا التصوف عن القيل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات»[1].

ويصف معروف الكرخي نفسه فيقول: «كنت أصبح دهري كله صائماً، فإن دعيت إلى طعام أكلت ولم أقل إني صائم»[2]، ويقول بشر الحافي[3]: «إني لأشتهي شواء ورقاقاً منذ خمسين سنة ما صفا لي درهم»[4]. ويرى الجنيد عند شيخه السري السقطي خزف كوز مكسور فيسأله عن ذلك فيقول: أبردت لي ابنتي ماء في هذا الكوز ثم غلبتني عيني فرأيت جارية فسألتها: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء البارد وضربته بيدها فانكسر[5].

ويروي الجنيد عن بعض الكبراء أنه إذا نام ينادي: أتنام عني! إن نمت لأضربنك بالسياط، وحكى الغزالي عن سهل بن عبدالله أنه كان يقتات ورق النبق مرة، ويشجع الغزالي على السياحة في البراري بشرط التعود على أكل أعشاب البرية والصيد؟!

ومن آداب الصوفية عند أبي نصر السراج: (إيثار الذلّ على العزّ،

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٦٩/١٤.

(٢) صفة الصفوة: ٣٢/٢.

(٣) هو بشر بن الحارث اشتغل بالعبادة واعتزل الناس، اثني عليه في عبادته وورعه ونسكه، وله أخوات ثلاث كن مثله توفي عام ٢٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤١/١٠ له كتب كثيرة في الزهد، رفض تركة أبيه لخوضه في علم الكلام. سئل أبو زرعة الرازي عن كتبه فنهى عنها وقال: (عليك بالأثر وهل بلغكم أن مالكاً والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس). انظر: صفة الصفوة ٣٦٧/٢ سير أعلام النبلاء ١١٠/٢.

(٤) صفوة الصفوة ٣٢٩/٢.

(٥) الكلاباذي: التعرف /١٥٥.

واستحباب الشّدة على الرّخاء)[1]، ورتبوا أموراً لمن يريد الدخول معهم أو للمريد ومنها: اشتراط الخروج من المال كما يذكر القشيري في رسالته، وأن يقلل من غذائه بالتدريج شيئاً بعد شيء وأن يترك التزوج ما دام في سلوكه[2]، و أما أبو طالب المكي فيطلب من المريد ألا يزيد على رغيفين في اليوم والليلة[3]، والجنيد يطلب من المريد ألا يشغل نفسه بالحديث[4]. كل هذه الأمور تخالف التوسط والحنيفية السمحاء وتخالف ما كان علية الصحابة[5].

والحقيقة أن الصوفية يوزنون بحسب قربهم وبعدهم من التمسك بالكتاب والسنة على نهج فهم سلف هذه الأمة، وهم كأفراد ينطبق عليهم كما على غيرهم من المسلمين قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[6].

تعريف التصوف اصطلاحاً:

«يقول أبو محمد الجريري في تعريف التصوف: إنه الدخول في كل خلق سَنِيٍّ، والخروج من خلق دني. وقوله: التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب.

والأدب كما أشار إليه القشيري في الرسالة: جماع خصال الخير، وحاصلها:

---

(١) اللمع /٢٨.

(٢) الشاطبي: الاعتصام ٢١٤/١.

(٣) تلبيس إبليس /١٤١.

(٤) ربما كان مقصوده الانتباه إلى تزكية النفس في بداية الطريق دون التعمق في مصطلحات الحديث وإلا فإن ترك الحديث يؤدي إلى الكفر. وهو الذي قال: عِلْمُنَا هذا مقيد بالكتاب والسنة.

(٥) الصوفية، نشأتها وتطورها لمحمد العبدة، وطارق عبدالحليم.

(٦) سورة فاطر من الآية (٣٢).

التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، ومعرفة بما لله عز وجل من حقوق».

قلت: والأخير داخل في رسم الأول.

وعن أبي نصر السراج: الناس في الأدب على ثلاث طبقات:

أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم الفصاحة والبلاغة، وحفظ العلوم والمنظوم.

وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس، وتأديب الجوارح، وحفظ الحدود، وترك الشهوات.

وأما أهل الخصوصية (يعني الصوفية) فأكثر آدابهم في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود (التي بين العبد والرّبّ) وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القربى. اهـ[1].

ولعلّ أرجح التعاريف تعريف ابن خلدون للتصوف لأنه يدل دلالة واضحة على معاني التصوف المتعددة وعلى أحوال الصوفية واهتماماتهم وهو «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة».

والناظم رحمه الله تعالى من أولئك الصوفية الذين آثروا خدمة الأمة على خدمة جيوبهم، وهذا شأن العلماء الصادقين وقد أشار في أبياته لمجموعة عطرة من أخلاق القرآن والسنة الشريفة التي هي تزكية للنفوس الطاهرة النقية فهي أخلاق القرآن لا تختص بالصوفية وحدهم ولكنها عامة

---

(١) مقدمة للشيخ حسنين محمد مخلوف لكتاب رسالة المسترشدين للمحاسبي تحقيق أبو غدة (ص٨ ـ ٩).

لأهل الإسلام، ولذلك اخترت التعليق عليها عسى أن تكون عوناً لطلبة العلم، في العمل بها، وتعليمها.

شرع الناظم رحمه الله تعالى يبين الطريق الذي ينبغي أن يسلكه من يريد تزكية نفسه، فبدأ بأول مقامات الطريق في السير إلى الله ألا وهو التوبة، فهي أول منازل السائرين، وأوسطها، وآخرها كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: لا ينفك عنها المنيب إلى الله عز وجل.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَتَـوْبَـةٌ مِـنْ كُـلِّ ذَنْـبٍ يُـجتَـرَمْ تَـجِـبُ فَـوْراً مُـطْـلَـقـاً وهْـيَ النَّـدَمْ
بِـشَـرْطِ الاِقْـلاَعِ ونَـفْـيِ الاِصْـرَارْ ولـيَـتـلاَفَ مُـمْـكِـنـاً ذَا اسْـتِـغْـفـارْ

شرح الأبيات:

قوله (وتوبة ... الخ).

التوبة: التاء والواو والباء في أصل اللغة كلمة واحدة تدل على الرجوع. قال في اللسان: التوبة: الرجوع عن الذنب والتوب مثله.

المعنى الاصطلاحي:

يجتمع الاستغفار والتوبة في كثير من الدعاء وطلب المغفرة يعني طلب الستر ففي اجتماع ذلك مع التوبة يكون المعنى متكاملاً لذلك كان رسول الله ـ ﷺ ـ يكثر من الدعاء: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرّة**» رواه البخاري.

والتوبة واجبة على الفور لا التّراخي قال الجزولي[1] وأمّا حكمها فهي فرض عين والأصل فيها الكتاب والسنة والإجماع أمّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، وقال

(١) الدر الثمين والمورد المعين (٥١٤).

(٢) من الآية (٣١) من سورة النور.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1].

ومن تاب سقط وصف الظّلم عنه لأنّ النّاس إما تائب وإمّا ظالم قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

ولما كانت التوبة تجب من كل ذنب يرتكبها العبد تعين أن تكون لها شروطاً ذكرها الناظم وهي كما قال النووي رحمه الله تعالى[3]:

١ ـ ترك الذنب لقبحه: أي بالإقلاع عن المعصية سواء كانت من الكبائر أو من الصغائر والأصل أن يكون ترك الذنب قد جرى بإرادة حرة وإلا لم تعتبر توبة إذا كانت بطريق القهر أو العجز.

٢ ـ الندم على ما فرط: وقد قال ﷺ: «**الندم توبة**»[4]، وهو أن يندم المذنب على فعلته التي تركها ويشعر بالحزن والأسف كلّما ذكرها وهو مهتم بذلك لشعوره بعظم الذّنب وقبحه وإدراكه مبلغ التفريط الذي صدر منه.

٣ ـ العزيمة على ترك المعاودة: وهي النية التي تنشأ في قلب التائب تحقق صدقه بالتوبة وهي بمثابة العهد الذي يقطعه بعدم الرجوع إلى الذنب وتحول الإرادة من المعصية إلى الطاعة.

٤ ـ تدارك ما أمكنه من الأعمال: إذا كانت التوبة من معصية كانت بين العبد وربه فإن كانت متعلقة بتقصير في صيام أو زكاة أو غير ذلك فلا بد من تأدية العمل موضوع التقصير حسب المطلوب شرعاً.

وأما إذا كان الذنب متعلقاً بحق الناس فلا بد من التحلل منهم وطلب

---

(١) من الآية (٨) من سورة التحريم.

(٢) من الآية (١١) من سورة الحجرات.

(٣) انظر رياض الصالحين باب التوبة، (ص٤٦) ط/وزارة الأوقاف القطرية.

(٤) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه والحاكم والبيهقي في الشعب عن أنس رضي الله عنه قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٨٠٢ في صحيح الجامع. وصحيح ابن ماجة (٢/٤٢٠).

الصفح منهم إذا كان ذلك لا يؤدي إلى ضرر أكبر للتائب، وإلا اجتهد في الاستغفار لهم، وذكر محاسنهم، في مواضع ذكره لسيئاتهم أما إذا كان مادياً فلا بدّ من إرجاع الحقّ إلى أصحابه إن كان بعينه وإلاّ ضمن المثل إن أمكن أو القيمة إن تعذر وإلاّ بأن تصدّق عليهم بذلك رُجِي له وصول ثوابه لهم، فقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى من رجل جارية ودخل يزن له الثمن فذهب رب الجارية فتصدق ابن مسعود رضي الله عنه بثمنها: بعد أن بحث عنه فلم يجده، وقال: إن رضي فالأجر له وإن أبى فالأجر لي وله من حسناتي بقدره، وتكون التوبة تامة إذا تحقّق معها الاتجاه نحو الطاعة والعمل الصالح قال تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾[1].

موضوع التوبة:

تشمل التوبة جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السّماء ثمّ استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنّك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثمّ لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**» صحيح رواه الترمذي وحسنه الألباني[2].

ولا بدّ من التساؤل إلى متى تصح التوبة؟ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾[3].

---

(١) من الآية (٧١) من سورة الفرقان.

(٢) انظر صحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٣) الآيات (١٧ ـ ١٨) من سورة النساء.

روى ابن ماجه والترمذي بإسناد حسن قال رسول الله ﷺ: **«إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»**.

أمّا الجهالة فقد روى ابن جرير[1] عن قتادة عن أبي العالية أنه كان يحدث أنّ أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ كانوا يقولون: كلّ ذنب أصابه عبد فهو جهالة. وقال مجاهد وغير واحد: كلّ من عصى الله تعالى خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2].

ذكر القرطبي في التفسير أقوالاً للعلماء في معنى التوبة النصوح:

١ ـ هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع وروي عن ابن مسعود بسند صحيح (كما ذكر ابن حجر) مثل ذلك. وعن عمر وأبيّ ومعاذ رضي الله عنه أيضاً.

٢ ـ قال قتادة النّصوح: الصادقة النّاصحة وقيل الخالصة يقال: نصح أي أخلص له القول.

٣ ـ قال الحسن: النّصوح أن يبغض الذنب الذي أحبّه ويستغفر إذا ذكره.

والتوبة واجبة على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة[3].

يقول تعالى ذكره: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[4]، ويقول رسول الله ﷺ: **«سيّد الاستغفار أن يقول العبد: اللّهمّ أنت ربي لا إله إلاّ أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي**

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٨/٨٩).

(٢) من الآية (٨) من سورة التحريم.

(٣) انظر مصطلحات إسلامية التوبة مجلة البيان العلمية العدد ٢٦ ص٧.

(٤) من الآية (٣١) من سورة النور.

فاغفر لي فإنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ أنت» رواه البخاري وابن ماجه والنسائي.

فروع: قال ميارة رحمه الله تعالى[1]:

التوبة بشروطها فهل تقبل قطعاً أو ظناً فمذهب القاضي أنه لا يقطع بها ومذهب الشيخ أبي الحسن القطع بها، والخلاف إنما هو في توبة المؤمن العاصي وأما توبة الكافر من كفره وهي إسلامه فالإجماع على أنها مقبولة قطعاً لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[2].

وفي القطع بقبول توبته فتح لباب الإيمان وسوقه إليه. وفي عدم القطع بقبول توبة المؤمن وبقائه بين الرجاء والخوف سدّ لباب العصيان ومنع منه.

الثاني: واختلف هل تصح التوبة من بعض الذنوب أم لا؟

فذهبت المعتزلة إلى أن ذلك لا يصحّ ولا خلاف بين أهل السنة في صحتها وهي طاعة من الطاعات ويطلب بالتوبة فيما بقي وعلى هذا إذا أسلم الكافر فيصح إسلامه وإن كان يزني ويسرق، وحكمه حكم المؤمن العاصي فأما التوبة من كل الذنوب فهي التوبة النصوح.

الثالث: إذا تذكر المذنب ذنبه فهل يجب عليه تجديد الندم أو لا؟

قولان للقاضي وإمام الحرمين قائلاً يكفيه أن لا يبتهج ولا يفرح عند تذكره.

الرابع: من تاب ثم عاود فهل تكون عودته نقصاً أم لا؟

قولان للقاضي مع ابن العربي وإمام الحرمين قائلاً توبته الأولى صحيحة وهذه معصية أخرى واختاره المتأخرون.

الخامس: هل توبة الكافر نفس إسلامه أم لا بد من الندم على الكفر؟

---

(١) الدر الثمين والمرشد المعين ص(٥١٠).

(٢) من الآية (٢٢٢) من سورة البقرة.

فأوجبه الإمام وقال غيره إيمانه لأن كفره ممحو بإيمانه وإقلاعه عنه قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1].

السادس: الذنب الذي يتاب منه إن كان حقاً لله فيكفي فيه الندم والإقلاع ويشرع في قضاء الفوائت كالصلاة والصيام وشبه ذلك وإن كان حقاً لآدمي فقد تقدم الكلام عليه اهـ بتصرف يسير.

الاستغفار[2]:

وهو طلب المغفرة، والمغفرة: هي وقاية شر الذنوب مع سترها، إن من الأسباب العظيمة لمحو الخطايا والذنوب، والزلفى إلى حضرة علام الغيوب كثرة الاستغفار، أطراف الليل والنهار ولا سيما مع نسمات الأسحار فقد أثنى الله عن الذين يعطرون أوقاتهم بالذكر والاستغفار فقال ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران من الآية: ١٧].

وهؤلاء أنبياء الله ورسله وخيرة خلقه يستغفرونه فذكر عن الأبوين عليهما السلام أنهما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وذكر لنا عن نوح ـ عليه السلام ـ أنه قال: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وقال أيضاً: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[3]، وذكر عن موسى ـ عليه السلام ـ أنه قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦][4] وذكر عن نبيه داود ـ عليه السلام ـ أنه قال: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] وذكر عن نبيه سليمان ـ عليه السلام ـ أنّه قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ وأمر خاتم رسله نبينا محمداً ﷺ بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[5] وأمرنا بالاستغفار فقال: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ

---

(١) من الآية (٣٨) من سورة الأنفال.

(٢) الدر الثمين والمورد المعين (٥١٣ ـ ٥١٤).

(٣) من الآية (٣٨) من سورة الأنفال.

(٤) انظر الاستغفار. .. وحاجتنا إليه مجلة البيان العدد ١٤٤ ص٨.

(٥) من الآية (١٩) من سورة محمد.

إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، وفي الحديث القدسي يقول سبحانه: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم**»(١) رواه مسلم.

وجاء أمر الله لعباده المؤمنين بأن يستغفروه، فهو جل جلاله يحب أن يسمع استغفار عبده التائب المنيب ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل من الآية: ٢٠].

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ؛ قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**» رواه أحمد(٢).

ويروى عن لقمان أنّه قال لابنه: يا بنيّ عوّد لسانك: «اللهم اغفر لي» فإن لله ساعات لا يردّ فيها سائلاً، وقال الحسن: «أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة».

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: «إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول: «**رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(٣).

وعنه ﷺ قال: «**إنه ليغانّ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧) باب تحريم الظلم.

(٢) رواه أحمد (١١٥٤١)، المجمع (٣٤٩/١٠) والحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي (٧٦٧٢).

(٣) رواه البخاري (٦٣٠٧) باب استغفار النبي ﷺ.

(٤) رواه أحمد (٤٧٢٦)، أبو داود (١٥٠٠) الصلاة، وابن ماجة (٣٨١٥) الأدب وصححه الألباني.

وبيّن الله عز وجل في الحديث القدسي ثلاثة أسباب من أعظم أسباب المغفرة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنَان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»**(١).

وقد كان النبي ﷺ أمنة لأصحابه من العذاب، فلما اختاره الله لجواره بقي الاستغفار أمنة لهم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾(٢) وهذا من أعظم فوائد الاستغفار.

وقال عليّ رضي الله عنه: ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

ومن فوائده: أنه سبب لتفريج الهم وجلب الأرزاق والخروج من المضائق ففي سنن أبي داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كلّ ضيق مخرجاً ومن كلّ همّ فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب»**.

ومن فوائده: أنه سبب لنزول الغيث والإمداد بالأموال والبنين ونبات الأشجار وتوفر المياه قال تعالى عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢] وقال عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

والاستغفار مشروع في كل وقت وهناك أوقات وأحوال مخصوصة يكون للاستغفار فيها مزيد فضل فيستحب الاستغفار بعد الفراغ من أداء العبادات؛ ليكون كفارة لما يقع فيها من خلل أو تقصير كما شرع بعد الفراغ

---

(١) رواه البخاري (١٠١/١١) الدعوات، ومسلم عن ابن عمر (٢٤/١٧) الذكر بلفظ **«فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»**.

(٢) الآية (٣٣) من سورة الأنفال.

من الصلوات الخمس فقد كان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة المفروضة يستغفر الله ثلاثاً؛ لأن العبد عرضة لأن يقع منه نقص في صلاته بسبب غفلة أو سهو.

كما شرع الاستغفار في ختام صلاة الليل قال تعالى عن المتقين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.

وشرع الاستغفار بعد الإفاضة من عرفة والفراغ من الوقوف بها قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة: ١٩٩].

وشرع الاستغفار في ختم المجالس حيث أمر النبي ﷺ عندما يقوم الإنسان من المجلس أن يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك**»[1]، فإن كان مجلس خير كان كالطابع عليه وإن كان غير ذلك كان كفارة له.

وشرع الاستغفار في ختام العمر وفي حالة الكبر فقد قال الله تعالى لنبيه عند اقتراب أجله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [سورة النصر]. فقد جعل الله فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً علامة على قرب نهاية أجل النبي ﷺ وأمره عند ذلك بالاستغفار فينبغي للمسلم ملازمة الاستغفار في كل وقت والإكثار منه في هذه الأوقات والأحوال المذكورة ليحوز هذه الفضائل وينال هذه الخيرات.

وفي سنن ابن ماجه بسند جيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً**».

والاستغفار معناه طلب المغفرة من الله بمحو الذّنوب وستر العيوب

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٦١) باب في كفارة المجلس، والترمذي (٣٤٣٣) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

ولا بدّ أن يصحبه إقلاع عن الذّنوب والمعاصي. وأمّا الذي يقول: أستغفر الله بلسانه وهو مقيم على المعاصي بأفعاله فهو كذّاب لا ينفعه الاستغفار.

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

وقال آخر: استغفارنا ذنب يحتاج إلى استغفار ! يعني: أن من استغفر ولم يترك المعصية فاستغفاره ذنب يحتاج إلى استغفار.

فلننظر في حقيقة استغفارنا لئلا نكون من الكذابين الذين يستغفرون بألسنتهم وهم مقيمون على المعاصي فرحماك ربنا.

عباد الله: هناك ألفاظ للاستغفار وردت عن النبي ﷺ ينبغي للمسلم أن يقولها منها قوله: «**ربّ اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**» رواه أبو داود وقوله: «**أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه**» وقال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللّهمّ أنت ربّي لا إله إلاّ أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ أنت. من قالها من النّهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة. ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**» رواه البخاري.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وحَاصِلُ التَّقْوَى اجْتِنَابٌ وَامْتِثَالْ ... فِي ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ بِذَا تُنَالْ
فَجَاءَتِ الأَقْسَامُ حَقّاً أَرْبَعَهْ ... وَهْيَ لِلسَّالِكِ سُبْلُ المَنْفَعَهْ

شرح البيتين:

التقوى:

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

الزاد هو ما يأخذ المسافر معه من متاع وكلنا في حال سفر إلى الله سبحانه وخير ما نتزود به لذلك اللقاء هي التقوى.

أما التقوى: لغة فهي مأخوذة من الوقاية وما يحمي به الإنسان نفسه.

اصطلاحاً: أن تجعل بينك وبين ما حرّم الله حاجباً وحاجزاً.

وعرفها الناظم رحمه الله تعالى: بأنها اجتناب للمنهيات وامتثال للمأمورات، ظاهراً وباطناً، فهي إذا أربعة أقسام: اجتناب في الظاهر والباطن اثنتان، وامتثال في الظاهر والباطن اثنتان فالجميع أربعة، وأنّ التقوى طرق لمنفعة العبد في الدنيا والآخرة.

وعرّف علي بن أبي طالب رضي الله عنه التقوى فقال: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

وسأل عمر كعباً رضي الله عنهما فقال له: ما التقوى؟ فقال كعب: يا أمير المؤمنين، أما سلكت طريقاً فيه شوك؟ قال: نعم. قال: فماذا فعلت؟ فقال عمر: أُشَمِّرُ عن ساقي وأنظر إلى مواضع قدمي وأقدِّم قدماً وأؤخر أخرى مخافة أن تصيبني شوكة. فقال كعب: تلك هي التقوى. تشميرٌ للطاعة وورعٌ من الزلل ومخافة وخشية من الكبير المتعال سبحانه وعمل بالكتاب، وتزوّد ليوم الميعاد.

وينبغي أن تعلم:

أنه ما من خير إلاّ وعلّقه ربّ العزّة سبحانه بالتقوى:

أ ـ تفريج الكروب: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

ب ـ سعة في الرزق: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢].

ج ـ قبول العمل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

د ـ سداد في الرأي وتوفيق في النظر: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

هـ ـ حسن العاقبة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

واعلم رعاك الله أن التقوى محلّها القلب ومسكنها الفؤاد أصلها ثابت به، وفرعها منتشر على الجوارح قال ﷺ: «**التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير إلى صدره**»[١].

فليست التقوى مظهراً من المظاهر البرّاقة التي يراها النّاس فيكون عليها العبد، ولكن هي تقوى في القلب وعمل صالح، وقول سديد فالح للحديث: «**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٢].

لماذا التقوى؟: لا بد من التقوى:

لأنّ التقوى هي منبع الفضائل كلّها فالرحمة والوفاء والصدق والعدل والورع والبذل والعطاء كلها ثمرات من ثمار شجرة التقوى إذا أينعت في قلب المؤمن.

لأنّ التقوى هي التي تصحبك إلى قبرك فهي المؤنس لك من الوحشة والمنجية لك من عذاب الله العظيم: «دخل عليّ رضي الله عنه المقبرة فقال: يا أهل القبور ما الخبر عندكم؟: إن الخبر عندنا أنّ أموالكم قد قسمت وأن بيوتكم قد سكنت، وإن زوجاتكم قد زوجت ثمّ بكى رضي الله عنه ثم قال: والله لو استطاعوا أن يجيبوا لقالوا: إنّا وجدنا أنّ خير الزاد التقوى».

التقوى هي خير ضمانة تحفظ بها ولدك ومستقبل أبنائك من بعدك:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، انظر البشائر التي أعدها الله للمتقين في كتاب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣٠١/٢ ـ ٣٠٣).

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩].

وتأمّل كيف أن الله سبحانه سخر نبياً هو موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام، ووليّاً هو الخضر عليه السلام لإقامة جدار في قرية بخيلة فاعترض موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]. ثم يخبر الخضر عليه السلام سبب فعله بالغيب الذي أطلعه الله عليه في هذا الأمر فيقول: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]. وقال ابن عباس: حفظاً بصلاح أبيهما وتقدم أنه كان الأب السابع والله أعلم[1].

وأمّا كيف يتقي العبد ربه؟:

أن ينقاد لشرعه سبحانه قال تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١]. قال ابن عباس: (نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه)[2].

أن يستسلم لقضائه وقدره: وذلك بأن يعتقد عند المصيبة أمرين لا غنى للمسلم عنهما الأول: أنه ملك لمالك: فنحن مملوكون لله سبحانه: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثاني: إن هذا المالك ـ وهو الله سبحانه ـ حكيم في أفعاله فلا يصدر عنه سبحانه إلا ما هو مبني على العلم والحكمة والخير قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

---

(١) مختصر ابن كثير (٢/٤٣٢).

(٢) مختصر ابن كثير (٤/٣٥٧).

يقول عمر رضي الله عنه: «والله لا أبالي على خير أصبحت أم على شرّ لأنّي لا أعلم ما هو الخير لي ولا ما هو الشر لي».

أن يتقي الله في قلبه فلا يغلّ ولا يحسد: وقد قيل لرسول الله ﷺ: «أيّ الناس أفضل؟ قال: «**كلّ مخموم القلب صدوق اللّسان**». قالوا: صدوق اللّسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التّقي النّقيّ لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد**»[1].

ولا كبر ولا عجب للحديث: «**لا يدخل الجنّة إنسان في قلبه مثقال حبّة من خردل من كبر**»[2].

درجات التقوى والبواعث عليها:

قال ابن جزي رحمه الله تعالى في تفسيره: درجات التقوى خمس:

أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الإسلام.

أن يتقي المعاصي والمحرمات وهو مقام التوبة.

وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع.

وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد.

وأن يتقي حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة.

قال: والبواعث على التقوى عشرة:

خوف العقاب الدنيوي والأخروي، ورجاء الثواب الدنيوي والأخروي فهذه أربعة، وخوف الحساب، والحياء من نظر الله وهو مقام المراقبة، والشكر على نعمه لطاعته، والعلم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

---

(١) رواه ابن ماجة بإسناد صحيح.

(٢) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح.

ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[1]، وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة وصدق المحبة فيه لقول القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقال آخر:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمأ ... وقلتِ قِفْ عن ورود الماء لم يرد

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يَغُضُّ عَينَهُ عَنِ المحارِمِ ... يَكُفُّ سَمْعَهُ عَنِ الْمَآثِمِ
كَغيبَةٍ نَمِيمةٍ زُورٍ كَذِبْ ... لِسَانُهُ أَحْرى بِتَرْكِ مَا جُلِبَ
يَحْفَظُ بَطْنَهُ مِنَ الحرَامِ ... يَتْرُكُ مَا شُبِّهَ بِاهتِمامِ
يَحْفَظُ فَرْجَهُ وَيَتَّقي الشُّهيذَ ... في البَطْشِ والسَّعْي لِمَمْنوع يريد
وَيُوقِفُ الأمُورَ حَتَّى يَعْلَمَا ... مَا الله فيهِنْ بِهِ قَدْ حَكَمَا
يُطَهِّرُ الْقَلْبَ مِنَ الرِّياءِ ... وَحَسَدٍ عُجْبٍ وكُلِّ داءِ

شرح الأبيات:

غض البصر[2]:

فرض على العين أن تغضّ عن محارم الله تعالى، وترك التطلع إلى ما حجب وستر، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ...﴾[3]، وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) من الآية (٢٨) من سورة فاطر.

(٢) وقد ذكر الشارح فروعاً في شرحه يحسن الوقوف عليها ولولا الإطالة لنقلتها.

(٣) الآيات (٣٠ ـ ٣١) من سورة النور.

رسول الله ﷺ: «**النظر سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه**»[1].

ويقول ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**الشَّيْطَانُ مِن الرَّجُلِ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي بَصَرِهِ وَقَلْبِهِ وَذَكَرِهِ وَهُوَ مِن الْمَرْأَةِ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي بَصَرِهَا وَقَلْبِهَا وَعَجُزِهَا**[2].

يقول ابن الجوزي: [اعلم ـ وفقك الله ـ أنّ البصر صاحب خبر القلب ينقل إليه أخبار المبصرات وينقش فيه صورها فيجول فيها الفكر فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة. ولما كان إطلاق البصر سبباً لوقوع الهوى في القلب أمرك الشارع بغضّ البصر عما يُخاف عواقبه.. ثم أشار إلى مُسبب هذا السبب ونبّه على ما يؤول إليه هذا الشر بقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة النور: ٣٠].

وقد تحدث شيخ الإسلام تقي الدين رحمه الله عن النظر المحرم وما يؤول إليه من الوقوع في الفواحش.. بل وقد ينتهي بصاحبه إلى الشرك بالله تعالى فكان مما قاله: [وأمّا النظر والمباشرة فاللّمم منها مغفور باجتناب الكبائر فإن أصرّ على النظر أو على المباشرة صار كبيرة وقد يكون الإصرار على ذلك أعظم من قليل الفواحش؛ فإنّ دوام النّظر بالشهوة وما يتصل به من العشق والمعاشرة والمباشرة أعظم بكثير من فساد زنا لا إصرار عليه؛ ولهذا قال الفقهاء في الشاهد العدل: أن لا يأتي كبيرة ولا يصرّ على صغيرة. بل قد ينتهي النظر والمباشرة بالرّجل إلى الشّرك كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]. ولهذا لا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله وضعف الإيمان.

---

(١) رواه الحاكم وقال المنذري في سنده واه كما في ضعيف الترغيب والترهيب للألباني ١١٩٤. السلسلة الضعيفة (١٠٦٥) وقال: ضعيف جداً.

(٢) غذاء الألباب، لشرح منظومة الآداب.

والله تعالى إنما ذكره في القرآن عن امرأة العزيز المشركة وعن قوم لوط المشركين][1].

وقال ابن القيم رحمه الله: [وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب فإذا غضّ العبد بصره غضّ القلب شهوته وإرادته وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته... ـ إلى أن قال ـ: والنظرة إذا أثّرت في القلب فإن عجِل الحازم وحسَم المادة من أوّلها؛ سهُل علاج هو إن كرّر النّظر ونقّب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه؛ تمكنت المحبة وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به فيخرج بصاحبه إلى المحن ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن][2].

وإليك هاتان الحكايتان للتّأكّد مما قاله الشيخان وغيرهما من الربانيين، فأما الحكاية الأولى: فقد ساقها أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى بقوله: [بلغني عن رجل كان ببغداد يُقال له: صالح المؤذن أذّن أربعين سنة وكان يُعرف بالصلاح أنّه صعد يوماً إلى المنارة ليؤذن فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد فافتتن بها فجاء فطرق الباب فقالت: من؟ فقال: أنا صالح المؤذن ففتحت له فلما دخل ضمّها إليه فقالت: أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتني على ما أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا؛ إلا أن تترك دينك فقال: أنا بريء من الإسلام ومما جاء به محمد ثم دنا إليها فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك فكُلْ من لحم الخنزير فأكل قالت: فاشرب الخمر فشرب فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها فدخلت بيتاً وأغلقت الباب وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك فصعد فسقط فمات فخرجت فلفّته في ثوب فجاء أبوها فقصّت عليه القصّة فأخرجه في اللّيل فرماه في السكّة فظهر

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٢٩٢ ـ ٢٩٣).

(٢) روضة المحبين، (٩٢ ـ ٩٥) بتصرف.

حديثه فرُمي في مزبلة][1].

أمّا الحكاية الثانية: فذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين ما يلي:

[وفيها توفي عَبْدَةُ بن عبدالرحيم قبّحه الله ذكر ابن الجوزي أنّ هذا الشقي كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون يحاصرون بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت: أن تتنصر وتصعد إليّ فأجابها إلى ذلك فما راع المسلمين إلا وهو عندها فاغتمّ المسلمون بسبب ذلك غمّاً شديداً وشقّ عليهم مشقّة عظيمة فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا: يا فلان ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أني أُنسيت القرآنَ كله إلا قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الحجر: ٢، ٣]. وقد صار لي فيهم مال وولد][2].

ورُفِعَتْ لِلْإِمَامِ أَبِي الْخَطَّابِ بْنِ أَحْمَدَ الْكُلُوذَانِيِّ مِنْ أَكَابِرِ الأئمة والعلماء رُقْعَةٌ فِيهَا:

قُلْ لِأَبِي الْخَطَّابِ نَجْمِ الْهُدَى ... وَقُدْوَةِ الْعَالَمِ فِي عَصْرِهِ
لاَ زِلْتَ فِي فَتْوَاكَ مُسْتَأْمَنًا ... مِنْ خُدَعِ الشَّيْطَانِ أَوْ مَكْرِهِ
مَاذَا تَرَى فِي رَشَإٍ أَغْيَدَ ... حَازَ اللَّمَا وَالدُّرَّ فِي ثَغْرِهِ
لَمْ يَحْكِ بَدْرَ التِّمِّ فِي حُسْنِهِ ... حَتَّى حَكَى الزُّنْبُورَ فِي خَصْرِهِ
فَهَلْ يُجِيزُ الشَّرْعُ تَقْبِيلَهُ ... لِمُسْتَهَامٍ خَافَ مِنْ وِزْرِهِ

---

(١) ذم الهوى (ص١٠٦).

(٢) البداية والنهاية (٦٤/١١).

أَمْ هَلْ عَلَى الْمُشْتَاقِ فِي ضَمِّهِ مِنْ غَيْرِ إِذْنَاءٍ إِلَى صَدْرِهِ
إِثْمٌ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ مُضْمِرًا غَيْرَ الَّذِي قُدِّمَ مِنْ ذِكْرِهِ

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ:

يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْأَدِيبُ الَّذِي قَدْ فَاقَ أَهْلَ الْعَصْرِ فِي شِعْرِهِ
تَسْأَلُ عَنْ تَقْبِيلِ بَدْرِ الدُّجَى وَعَطْفِ زَنْدَيْك عَلَى نَحْرِهِ
هَلْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِتَحْلِيلِهِ لِلْمُسْتَهَامِ خَافَ مِنْ وِزْرِهِ
مَنْ قَارَفَ الْفِتْنَةَ ثُمَّ ادَّعَى الْـ ـعِصْمَةَ قَدْ نَافَقَ فِي أَمْرِهِ
هَلْ فِتْنَةُ الْمَرْءِ سِوَى الضَّمِّ وَالتَّـ ـقْبِيلِ لِلْحِبِّ عَلَى ثَغْرِهِ
وَهَلْ دَوَاعِي ذَلِكَ الْمُشْتَهَى إِلاَّ عِنَاقُ الْبَدْرِ فِي خِدْرِهِ
وَبَذْلُهُ ذَاكَ لِمُشْتَاقِهِ يُزْرِي عَلَى هَارُوتَ فِي سِحْرِهِ
وَلاَ يُجِيزُ الشَّرْعُ أَسْبَابَ مَا يُوَرِّطُ الْمُسْلِمَ فِي حَظْرِهِ
فَانْجُ وَدَعْ عَنْك صُدَاعَ الْهَوَى عَسَاك أَنْ تَسْلَمَ مِنْ شَرِّهِ
هَذَا جَوَابُ الْكُلُوذَانِيِّ قَدْ جَاءَ يَرْجُو اللَّهَ فِي أَجْرِهِ

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّم بَعْدَ إِيرَادِهِ لِمَا ذكر: فَهَذَا جَوَابُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا ذَكَرْنَا يَعْنِي مِنْ عَدَمِ إِبَاحَةِ النَّظَرِ لِلْمَحْبُوبِ وبِحَيْثُ زَعَمَ أَنَّ النَّظَرَ رُبَّمَا يُذْهِبُ مَا الْتَاعَ بِهِ فُؤَادُهُ الْمَحْجُوبُ فَإِنَّ احْتِمَالَ مَفْسَدَةِ أَلَمِ الْحُبِّ مَعَ غَضِّ الْبَصَرِ وَعَدَمِ تَقْبِيلِهِ وَضَمِّهِ أَقَلُّ مِنْ مَفْسَدَةِ النَّظَرِ وَنَحْوِهِ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَفْسَدَةَ أَعْنِي مَفْسَدَةَ النَّظَرِ وَنَحْوِهِ تَجُرُّ إِلَى هَلاَكِ الْقَلْبِ وَفَسَادِ الدِّينِ وَغَايَةُ مَا يُقَدَّرُ مِنْ مَفْسَدَةِ الْإِمْسَاكِ عَنْ ذَلِكَ سَقَمُ الْجَسَدِ أَوْ الْمَوْتُ تَفَادِياً عَنْ التَّعَرُّضِ لِلْحَرَامِ[1].

كف السّمع عن المآثم:

قلت لا سيما الغناء وآلات اللهو والسماع، ولقد تطوّر الخنا بسبب

(١) انظر غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ففيها أخبار أخرى ظريفة ورسائل منيفة.

دعم الدّول له في عصرنا حتىّ صار أشبه بالدّين، بل صار دينا للفاسقين والغافلين، لا تنفك تسمعه في كل دار وناد، ورخص فيه بعض المفتونين، واستحلّوا حرمات ربّ العالمين، فصار الفساق كما سماهم إمام الآفاق مالك بن أنس رحمه الله تعالى بذلك، هم الرؤوس، وانتكس الحال بعد زوال دولة الإسلام فإلى الله المشتكى، وطار ذكرهم بين البلدان، أراح الله منهم ومن حكام دينهم الفسق والفساد البلاد والعباد، وإن ربك لبلمرصاد قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال ابن مسعود: هو الغناء.

وقال يزيد بن الوليد: [يا بني أميّة! إيّاكم والغناء؛ فإنّه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة وإنّه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السّكْر فإن كنتم لا بدّ فاعلين فجنّبوه النّساء؛ فإنّ الغناء داعية الزنا][1].

وقال ابن القيم: [ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا اسْتَصْعَبَتْ على الرّجل اجتهد أن يُسمعها صوت الغناء فحينئذٍ تعطي اللَّيَان؛ . . . أما إذا اجتمع إلى هذه الرقية الدّف والشبابة والرّقص بالتخنث والتكسر فلو حبلت المرأة من صوت لحبلت من هذا الغناء.

فلعمر الله كم من حرّة صارت بالغناء من البغايا وكم من حرّ أصبح به عبداً للصبيان أو الصبايا وكم من غيور تبدّل به اسماً قبيحاً بين البرايا وكم من معافًى تعرّض له فأمسى وقد حلّت به أنواع البلايا][2].

قال الحافظ ابن حجر: قال القرطبي رحمهما الله تعالى في حديث عائشة رضي الله عنها قولها: ـ ليستا بمغنيتين ـ أي ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك وهذا منها تحرّز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن وهذا النوع إذا كان في

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/٣٦٩).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٣٧٠، ٣٧١).

شعر فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المحرمة لا يختلف في تحريمه قال: وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال وأن ذلك يثمر سني الأحوال وهذا على التحقيق من آثار الزندقة وقول أهل المخرقة والله المستعان. اهـ. وينبغي أن يعكس مرادهم ويقرأ سيّئ عوض النون الخفيفة المكسورة بغير همز بمثناة تحتانية ثقيلة مهموزاً[1]، أي: عوض سنيّ الأحوال، يقرأ سيّئ الأحوال.

قال المسيبي: كنّا عند مالك وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين: يا أبا عبدالله عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون.

فقال مالك: الصبيان هم؟ قال: لا.

قال أمجانين؟ قال: لا قوم مشائخ، وغير ذلك عقلاء.

قال مالك: ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا.

قال الرجل: بل يأكلون ثم يقومون فيرقصون دَوَائِب، ويلطم بعضهم رأسه وبعضهم وجهه، فضحك مالك ثم قام فدخل منزله.

فقال أصحاب مالك للرجل: لقد كنت يا هذا مشؤوماً على صاحبنا لقد جالسناه نيّفاً وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا في هذا اليوم[2].

---

(١) فتح الباري (٢/٣٦٨).

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله تعالى: في ترجمة الإمام مالك رحمه الله تعالى: (٢/٥٤). وأنت ترى أيضاً هذه الحكاية مضطربة ففي أول الكتاب زعموا أنهم من اليمن، وفي هذه زعموا أنهم من نصيبين، مما يدل على أن القصة ملفقة والله أعلم.

قال **في الرسالة**: ولا يحلّ لك أن تتعمّد سماع الباطل كلّه[1] قال الشيخ الجزولي: يشتمل الغناء والملاهي الملهية، والغيبة وسماع كلام امرأة لا تحلّ لك، وسماع المحلّقين للقصص وغيرها والباطل كثير؛ ومفهومه أنه إن لم يتعمّد فلا إثم عليه، ولكن ذلك إذا سمعه وألغاه وأعرض عنه كالنّظرة الأولى فأما إذا سمعه فتمادى على سماعه فهو مأثوم، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[2][3].

حفظ اللسان:

صحّ عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[4]، قال النووي ـ رحمه الله ـ في الكلام على هذا الحديث: «الكلام على أربعة أنواع:

١ ـ قول استبان لك رشده وتعيّن قوله فهو الواجب فانطق به.

٢ ـ وقول استبان لك غيّه والمنع منه فأمسك عنه.

٣ ـ وقول غلب على ظنّك أنّ خيره أكثر من شرّه فتكلّم به.

٤ ـ وقول لا تدري أيغلب خيره شره أم شره خيره فأمسك عنه».

ومما يذكر من كلام حكماء الصين أن أحدهم كان يقول عبارة فيها لطافة ظرافة وهي تتعلق بالزرافة قال: كان يرغب أن تكون له رقبة مثل رقبة الزرافة فلما سئل عن ذلك قال حتى يكون هناك وقت بين صعود الكلمة وخروجها فأتأمل فيها؛ فإن كانت في الحكمة والصواب أنفذتها وإلا أمسكتها. ولا شك أنها حكمة من حكيم.

والنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد قال: «**إن الله تجاوز لأمتي عن ما**

---

(١) الرسالة الفقهية لابن أي زيد القيرواني ص٢٦٨ تحقيق أبي الأجفان والهادي.

(٢) من الآية (٥٥) من سورة القصص.

(٣) الدر الثمين والمورد المعين (٥١٩).

(٤) رواه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، والترمذي وغيرهما.

توسوس به صدورها ما لم تعمل أو تتكلم به وما استكرهوا عليه»[1]، وقال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[2]، ولعل تعبير بعض الأدباء والدعاة أنّ اللسان كالسيف وأنّ اللسان كالسنان وأن طعن اللسان أقوى من طعن السنان لا شك أنه تعبير بليغ؛ والنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**»[3] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم**» وفي رواية: «**يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»[4]، والأمر في ذلك يطول وحسبنا تنبيهاً منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ للأبرار والأطهار والأشراف من أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وأمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهن ـ فهذه عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «حسبك من صفية قصرها» فقال عليه الصلاة والسلام: «**قد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»[5] وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في وصيته: «**لا تقل بلسانك إلا معروفاً ولا تبسط يدك إلاّ إلى خير**»[6].

الغيبة:

وهي من آفات اللسان العظيمة قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[7].

---

(١) متفق عليه عدا قوله: «**وما استكرهوا عليه**» فهو من رواية ابن ماجه قال الألباني: وهو شاذ وإنما صح من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد حسن والبيهقي، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم: ٢٨٦٧): صحيح.

(٧) من الآية (١٢) من سورة الحجرات.

وعرفها المصطفى ﷺ عندما سئل عنها فقال: «**ذكرك أخاك بما يكره**». قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول يا رسول الله؟ قال: «**إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»[1].

قال المقدسي رحمه الله تعالى في مختصر منهاج القاصدين[2]، كل ما يفهم منه مقصود الذم فهو داخل في الغيبة سواء كان بكلام أو بغيره كالغمز والإشارة والكتابة بالقلم فإنّ القلم أحد اللّسانين.

وأقبح أنواع الغيبة غيبة المتزهدين المرائين مثل أن يذكر عندهم إنسان فيقولون: الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدّخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام أو يقولون: نعوذ بالله من قلّة الحياء أو نسأل الله العافية فإنهم يجمعون بين ذم المذكور ومدح أنفسهم. وربما قال أحدهم عند ذكر إنسان: ذاك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو يظهر الدعاء ويخفى قصده.

واعلم: أنّ المستمع للغيبة شريك فيها ولا يتخلص من إثم سماعها إلا أن ينكر بلسانه فإن خاف فبقلبه وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك. وقد رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أذلّ عنده مؤمن وهو يقدر أن ينصره أذلّه الله عزّ وجلّ على رؤوس الخلائق**»[3]. وقال ﷺ: «**من حمى مؤمناً من منافق يعيبه بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم**»[4].

ورأى عمر بن عتبة مولاه مع رجل وهو يقع في آخر فقال له: ويلك

---

(١) رواه مسلم ح/٤٦٩٠، وأبو داود.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص(١٧٥).

(٣) رواه أحمد (٤٨٧/٣) وابن السني (٤٣٠) في عمل اليوم والليلة، وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٠/٧) رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.

(٤) رواه أبو داود (٤٨٨٣)، وأحمد (٤٤١/٣) وعزاه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٥١٧/٣) أيضاً إلى ابن أبي الدنيا.

نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه نفسك عن القول به فالمستمع شريك القائل إنما نظر إلى شرّ ما في وعائه فأفرغه في وعائك ولو ردت كلمة سفيه في فيه لسعد بها رادّها كما شقي بها قائلها.

وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وعنده رَجلٌ تخوَّفتُ إنْ قمتُ مِنْ عنده أنْ يَقَعَ فيَّ قَالَ: فَجَلَستُ حَتى قَامَ؛ فَلمَّا قَامَ ذَكرتُهُ لإِيَاس قَالَ: فَجَعَلَ يَنْظر في وَجهي وَلا يقولُ لي شيئاً حَتى فَرغتُ فَقَالَ لي: أغزوتَ الدَّيْلمَ؟ قُلتُ: لا قَالَ: فغزوتَ السِّند؟ قُلتُ: لا قَالَ: فغزوتَ الهند؟ قُلتُ: لا قَالَ: فغزوتَ الرُّوم؟ قُلتُ: لا قَالَ: يَسْلمُ مِنْكَ الدَّيلم والسِّند والهند والرُّوم وَلَيسَ يَسْلمُ مِنْكَ أَخُوكَ هذَا؟!! قَالَ: فلمْ يَعُدْ سُفْيَانُ إلى ذاكَ»[1] وللغيبة أسباب باعثة عليها:

منها: تشفِّي الغيظ بأن يجري من إنسان في حقّ آخر سبب يوجب غيظه فكلّما هاج غضبه تشفى بغيبة صاحبه.

ومنها موافقة الأقران ومجاملة الرّفقاء ومساعدتهم فإنّهم إذا كانوا يتفكّهون في الأعراض رأى هذا أنّه إذا أنكر عليهم أو قطع كلامهم استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة.

ومنها إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك ونحو ذلك غرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أعلم منه.

وكذلك الحسد في ثناء الناس على شخص وحبهم له وإكرامهم فيقدح فيه ليقصد زوال ذلك، ومنها اللعب والهزل فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة حتى إن بعض الناس يكون كسبه من هذا.

وأما علاج الغيبة: فليعلم المغتاب أنّه بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى ومقته وأنّ حسناته تنقل إلى المغتاب إليه وإن لم يكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة.

---

(١) البداية والنهاية ٣٣٦/٩.

وينبغي إذا عرضت له الغيبة أن يتفكر في عيوب نفسه ويشتغل بإصلاحها ويستحي أن يعيب وهو معيب كما قال بعضهم:

فإن عبت قوماً بالذي فيك مثله فكيف يعيب النّاس من هو أعور
وإذا عبت قوماً بالذي ليس فيهم فذلك عند الله والنّاس أكبر

وإن ظن أنه سليم من العيوب فليتشاغل بالشكر على نعم الله عليه ولا يلوث نفسه بأقبح العيوب وهو الغيبة وكما لا يرضى لنفسه بغيبة غيره له فينبغي أن لا يرضاها لغيره من نفسه. فلينظر في السبب الباعث على الغيبة فيجتهد على قطع فإن علاج العلة يكون بقطع سببها[1].

قلت: وقد اعتاد فئام من الناس اليوم يغتابون العلماء والدّعاة والزّهاد والصلحاء باسم الجرح والتّعديل، وهم أولى بذلك، حيث أوقفوا أنفسهم على حفرة من حفر النّار ألاّ وهي أعراض من ينبغي أن يُذاد عنهم لا أن نقع فيهم، ولو سئل أحدهم هل رأيت بعينك أو سمعت بأذنك لقال: قيل، ونسي أن النّبي ﷺ حرم: قيل وقال[2]، وهل آفة الأخبار إلاّ رواتها وقد تتبع بعض الفضلاء فوجد أن هذه الظاهرة مردها إلى التّعصب الذميم لحزب أو جماعة أو شيخ أو منهج معين ولله درّ الذهبي رحمه الله تعالى: عندما قال: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لاسيما إذا كان لحسد أو مذهب، أو هوى والحسد يعمي ويصم، ومنه التنافس للحصول على جاه أو ما لفقد يطغى بعضهم على بعض، ويطعن بعضهم في بعض من أجل القرب من سلطان أو الحصول على جاه أو مال.اهـ.

فليتقّ الله امرؤ في إخوانه قبل أن يقع فيهم ولينظر إلى يوم أمامه ليس فيه إلا الحسنات والسيئات.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص١٧٧)/دار الخير.

(٢) صحيح البخاري (كتاب: الأدب) باب: عقوق الوالدين من الكبائر (٥/٨) ط المنيرية.

قال الشارح: قال بعض العلماء: الغيبة فاكهة القرّاء، ومزبلة الأتقياء، ومراتع النّساء.

وتباح الغيبة في مواضع: عند السلطان لدفع ظلم، والشكاية به فيذكر للسّلطان أمره وما فعل له، أما عند غيره ممن لا قدرة له على الدفع فلا وعند الاستغاثة على تغيير المنكر، وردّ الظّالم عن ظلمه بمن له قدرة على ذلك أيضاً، وعند المفتي كقول هند رضي الله عنها للنبي ﷺ إنّ أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وولدي[1] وعند التحذير من مصاهرة أو شركة أو مجاورة، وعند التعريف به فيذكر عدالته أو جرحته، ويدخل في ذلك دعاء من عرف باسم فيه عيب بذلك الاسم كالأعرج والأعمش، والطويل إذا قصد صفته لا غيبته والعدول إلى اسم آخر أولى، وعند ذكر بدعة المبتدع سواء أكانت بدعته ظاهرة يدعو إليها أو خفية يلقيها لمن يظفر بها وعند ذكر فسق الفاسق المجاهر بفسقه قال عليه الصلاة والسلام «**من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة فيه**»[2]، قال أبو حامد: والصّحيح أنّ ذكر الفاسق بمعصية يخفيها ويكره ذكرها لا يجوز من غير عذر. اهـ باختصار وبعضه بالمعنى.

وقد جمعها الشّيخ كمال الدين بن أبي شرف رحمه الله تعالى فقال:

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومُعَرِّفٍ، ومحذِّر
ومجاهر بالفسق ثمّت سائل ... ومن استعان على إزالة منكر[3]

ودلائلها من الأحاديث الصحيحة المشهورة[4] ثم ساق النووي رحمه الله تعالى أحاديثها.

---

(١) وحديثها في الصحيحين من حديث المغيرة رضي الله عنه.
(٢) رواه البيهقي وضعفه (٢١٠/١٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤٣٨/٨)، وضعفه العراقي.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣١٣/٤) ط/العلمية. وانظر نظما آخر في الدر الثمين والمورد المعين (٥٢٤).
(٤) انظر رياض الصالحين في الباب المذكور (ص٥٢٥).

ولله درّ الشّاطبي رحمه الله تعالى في حرز الأماني حين قال:

وعش سالماً صدراً وعن غيبة فغب تُحظَّر حِظَار القدس أنْقَى مُغَسَّلا

ومن طريف ما يحكى في علاج الغيبة: أن ابن وهب المالكي قال: جعلت على نفسي كلما اغتبت إنساناً صيام يوم فهان عليّ، فجعلت عليها كلمّا اغتبت إنساناً صدقة درهم، فثقل عليّ وتركت الغيبة[1].

النميمة:

قَالَ فِي النِّهَايَةِ: النَّمِيمَةُ نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ قَوْمٍ إلَى قَوْمٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ وَالشَّرِّ وَقَدْ نَمَّ الْحَدِيثَ يَنُمُّهُ نَمّاً فَهُوَ نَمَّامٌ وَالاِسْمُ النَّمِيمَةُ.

وسواء أكان الكشف بالقول، أو الكتابة، أو الرمز أو الإيماء أو نحوها، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو غيره فحقيقة النميمة إفشاء السر، وهتك الستر عما يكره كشفه.

الإفساد بين المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

قال ابن كثير: «﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: لأنهم جبناء مخذولون ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي: ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي: مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم فيؤدّي إلى وقوع شرّ بين المؤمنين وفساد كبير».

والنميمة من كبائر الذنوب التي استحقّ صاحبها عذاب القبر، فقد مرّ رسول الله ﷺ بقبرين جديدين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما**

---

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/٢٤٠) في ترجمة ابن وهب رحمه الله تعالى. ونقلها أبو غدة في تحقيق رسالة المسترشدين حاشية.

أحدهما لا يستنزه من بوله. وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[1].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى[2]: أَنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقْضِي فِيهِ الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ الصَّلَاةُ وَالدِّمَاءُ. وَالطَّهَارَةُ أَقْوَى شُرُوطِ الصَّلَاةِ وَمُقَدِّمَتُهُ فَإِذَا لَمْ يَتَنَزَّهْ مِنْ الْبَوْلِ وَلَمْ يَسْتَبْرِئْ مِنْهُ فَقَدْ فَرَّطَ فِي شَرْطِ الصَّلَاةِ. وَسَبَبُ وُقُوعِ النَّاسِ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ وَإِرَاقَتِهَا بِغَيْرِ حَقِّ الْعَدَاوَةُ وَمُقَدِّمَتُهَا النَّمِيمَةُ فَإِنَّهَا سَبَبُ الْعَدَاوَةِ وَعَذَابُ الْقَبْرِ مُقَدِّمَةُ عَذَابِ النَّارِ فَنَاسَبَ أَنْ يَبْدَأَ بِالْمُقَدِّمَاتِ أَوَّلاً. اهـ.

ويذكر الإمام الذهبي في كتابه النفيس الكبائر، قصة تبين إلى مدى ما يمكن أن يفعله النمام من الإفساد، وحصد العلاقات الطيبة فقال: روي أنّ رجلا رأى غلاما يباع وهو ينادي عليه ليس به عيب إلاّ أنّه نمّام فقط، فاستخفّ بالعيب واشتراه فمكث عنده أياما، ثم قال لزوجة سيده إنّ سيدي يريد أن يتزوّج عليك أو يتسرّى، وقال إنه لا يحبّك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته واتركي الشعرات معك فقالت في نفسها: نعم، واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء إلى زوجها وقال: سيدي إن سيدتي زوجتك قد اتخذت لها صديقا ومحبا غيرك، ومالت إليه وتريد أن تخلص منك وقد عزمت على ذبحك اللّيلة وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به وصدّقه سيّده، فلما كان اللّيل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرّجل يتناوم لها، فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال، فلمّا وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤوم، فلذلك سمى الله النمام فاسقاً في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) انظر غِذَاءَ الأَلْبَابِ لِشَرْحِ مَنْظُومَةِ الآدَاب للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي وذكر عن بعض أهل العلم ولم يسمه.

فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1].

وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخاً له وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه، فقال له: يا أخي أطلت الغيبة، وأتيتني بثلاث جنايات، بغَّضْت إليّ أخي وشغلت قلبي، بسببه واتّهمت نفسك الأمينة.

ما يلزم المرء من أحوال إذا وصلته نميمة:

اعلم أنّ كلّ من حملت إليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال:

الأول أن لا يصدقه لأنه نمام فاسق وهو مردود الخبر. **الثاني** أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله. **الثالث** أن يبغضه في الله عز وجل فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب. **الرابع** أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾. **الخامس** أن لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك قال الله سبحانه وتعالى: ولا تجسسوا. **السادس** أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته.

وقد جاء أنّ رجلاً ذكر لعمر بن عبدالعزيز رجلاً بشيء فقال عمر: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ وإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً.

ورفع إنسان رقعة إلى الصّاحب بن عبّاد رحمه الله يحثّه فيها على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير، فكتب على ظهر الرّقعة: النّميمة قبيحة وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله، والساعي لعنه الله[2].

الزور: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] وحرف الزاي

---

(١) من الآية (٦) من سورة الحجرات.

(٢) الكبائر للإمام الذهبي ص(١٤٣)دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.

والواو والرّاء أصل واحد يدلّ على الميل والعدول ومنه: «ازوَرَّ عن الشيء» إذا مال عنه وانحرف وكلّ ما هو تغيير للحقّ والحقيقة زور، فالكذب زور لأنّه ميل عن طريق الحقّ، والشرك والكفر والباطل أيّاً كان زور، ومجالس اللّهو والعبث والفاحشة زور كذلك، أمّا شهادة الزّور فمنها حضور كلّ مجلس يجري فيه ما لا يجوز شرعاً أو مروءة لأنّ مجرد مشاهدة هذه المجالس أو حضورها اشتراك فيها وإقرار لها ورضا بها يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨] ويقول أيضاً: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: ٣٠] ومنها أيضاً تزوير الحقائق وقلبها عند تأدية الشهادة إن احتيج إليها وهو ما رواه البخاري في صحيحه قال: من حديث عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ»** ثَلاَثاً قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَال: **«الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»** وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئاً فَقَال: **«أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»** قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ». والآية بهذا تحرم الزور قولاً وفعلاً، وسماعاً، ومشاهدة وشهادة وتنزه المؤمن عن مخالطة الشر وأهله وتصون دينه عما يثلمه ويشينه.

وإنّ الأعمال الصالحة المبرورة يقف الزور في وجه قبولها فترد على صاحبها، ولا يزداد صاحبها إلا جهداً بلا أجر كامل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: **«من لم يدع قول الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**[1]، وفي رواية للنسائي: **«من لم يدع قول الزور والجهلَ والعملَ به»**.

الكذب:

قَالَ فِي الْآدَابِ الْكُبْرَى: هُوَ الْإِخْبَارُ عَن الشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَلاَ يُشْتَرَطُ فِيهِ التَّعَمُّدُ، وقيل يشترط.

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «واعلم أنّ مذهب أهل السنّة أنّ الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو تعمّدت ذلك أم جهلته لكن لا يأثم في الجهل وإنما يأثم في العمد[1]. فالكذب: الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عمداً كان أو سهواً.

وقد جاء الترهيب من الكذب على الله ورسوله خاصة، والترهيب منه على عامّة الخلق قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾[5].

وقال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾[6].

وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[7].

---

(١) الأذكار للنووي (٣٢٦) وانظر شرح النووي (١/ ٦٩).
(٢) سورة الأنعام الآية: (١٤٤).
(٣) سورة الأنعام الآية: (١٥٠).
(٤) سورة الصف الآيتان: (٢ ـ ٣).
(٥) سورة الأنعام الآية: (٢١).
(٦) سورة يونس الآية: (٦٩).
(٧) سورة النحل الآية: (١٠٥).

وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[1].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لا تكذبوا عليّ فإنّه من كذب عليّ فليلج النّار»**[2].

وعن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال: قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان قال: أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول: **«من كذّب علي فليتبوأ مقعدَه من النّار»**[3].

وأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ **«اضْمَنُوا لِي سِتّاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اُصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»**. وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو يَعْلَى وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه بلفظ قريب منه.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ عَنْ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضوان الله عليهما قَالَ: حَفِظْت مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **«دَعْ مَا يَرِيبُك إلَى مَا لاَ يَرِيبُك، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ»**.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلَى الْبِرِّ، وَالْبِرَّ يَهْدِي إلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقاً، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ**

---

(١) سورة النحل الآية: (١١٦).

(٢) البخاري (١/ ٣٥) والبخاري مع الفتح (١/ ١٩٩) ومسلم (١/ ٩) وانظر اللؤلؤ والمرجان (١/١).

(٣) البخاري (١/ ٣٥ والبخاري مع الفتح (١/ ٢٠٠).

يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ**» وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه.

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مَالِكٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «**لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ فَيُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى يَسْوَدَّ قَلْبُهُ فَيُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ**».

وَرَوَى أَبُو يَعْلَى وَالطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ مَرْفُوعاً: «**أَلاَ إِنَّ الْكَذِبَ يُسَوِّدُ الْوَجْهَ**».

بل ينبغي لكل صادق أن يمسك عن بعض الأخبار فلعله ينقل الكذب وينشره دون تثبت فيقع فيما لا يحمد عقباه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (بحسب المرء من الكذب أن يحدِّث بكل ما سمع)[1].

وقال ابن وهب: قال لي مالك: «اعلم أنه ليس يسلم رجل حدَّث بكل ما سمع. ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدِّث بكل ما سمع»[2].

ولا يجوز الكذب إلا في ثلاثة أحوال كما نظم ذلك صاحب منظومة **الآداب**:

بِغَيْرِ خِدَاعِ الْكَافِرِينَ بِحَرْبِهِمْ وَلِلْعِرْسِ أَوْ إِصْلَاحِ أَهْلِ التَّنَكُّدِ

وهذا مأخوذ ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ، فقد رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لاَ يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ: الرَّجُلُ يَكْذِبُ فِي الْحَرْبِ وَالْحَرْبُ خُدْعَةٌ، وَالرَّجُلُ

---

(١) مقدمة مسلم (١/ ١١) ومسلم مع شرح النووي (١/ ٦٥).

(٢) مقدمة مسلم (١/ ١١) ومسلم مع شرح النووي (١/ ٦٥).

يَكْذِبُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، وَالرَّجُلُ يَكْذِبُ لِلْمَرْأَةِ لِيُرْضِيَهَا بِذَاكَ» قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ مُفْلِحٍ فِي الْآدَابِ الْكُبْرَى: وَيَحْرُمُ الْكَذِبُ لِغَيْرِ إِصْلَاحٍ وَحَرْبٍ وَزَوْجَةٍ وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وَضَابِطُهُ أَنَّ كُلَّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ لَا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْكَذِبِ فَهُوَ مُبَاحٌ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمَقْصُودُ مُبَاحاً، وَإِنْ كَانَ وَاجِباً فَهُوَ وَاجِبٌ[1].

ومن مثالب الكذب أنه علامة من علامات النفاق، وهو بوابة العبد الكاذب إلى عالم الفجور، وصاحب الكذب يسود قلبه من أثر ذلك الذنب العظيم بل وردت آثار تدل على اسوداد وجهه أيضاً والعياذ بالله وقد تقدم.

وإنّ في المعاريض لمندوحة لمن خشي على نفسه أوغيره فقد ذكر الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله تعالى: في التمهيد عن إبراهيم بن حبيب قال سمعت أبي يقول: كان أبو مجلد بخراسان وكان قتيبة بن مسلم يعرض الجند، فكان إذا أتي برجل قد باع سلاحه ضربه؛قال: فأُتي برجل، فقال له أين سلاحك؟ قال سرق، قال من يعلم ذلك؟ قال أبو مجلد قال: عرفت ذلك يا أبا مجلد، قال: نعم فتركه، قيل لأبي مجلد عرفت ذلك؟، قال: لا قيل: فلم قلته؟ قال: أردت أن أردّ عنه الضّرب.

ثم قال الحافظ: أخبرني سعيد بن نصر وإبراهيم بن شاكر قالا: حدثنا عبدالله بن محمد بن عثمان قال: حدثنا سعد بن معاذ قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم قال: حدثنا نعيم بن حماد قال: قلت لسفيان بن عيينة: أرأيت الرجل يعتذر إليّ من الشيء عسى أن يكون قد فعله، ويحرف فيه القول ليرضيه، أعليه فيه حرج، قال: لا، ألم تسمع قوله ليس بكاذب من قال خيراً، أو أصلح بين النّاس وقد قال الله عز وجل ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[2]، الآية، فإصلاحه فيما بينه وبين الناس أفضل إذا فعل ذلك لله

---

(١) انظر غذاء الألباب شرح منظومة الآداب.

(٢) الآية (١١٤) من سورة النساء.

وكراهة أذى المسلمين وهو أولى به من أن يتعرض لعداوة صاحبه وبغضته فإن البغضة حالقة الدين، قلت أليس من قال ما لم يكن فقد كذب؟ قال لا إنما الكاذب الآثم فأما المأجور فلا؛ أَلَمْ تسمع إلى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[1]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[2]، وقال يوسف لإخوته: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[3]، وما سرقوا، وما أثم يوسف لأنه لم يرد إلا خيراً قال الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾[4]، وقال الملكان لداود عليه السلام: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[5]، ولم يكونا خصمين وإنما أرادا الخير والمعنى الحسن، وفي حديث هجرة النبي ﷺ مع أبي بكر إلى المدينة أنهما لقيا سراقة بن مالك بن جعشم وكان النبي ﷺ قد أراد من أبي بكر أن يكون المقدم على دابته ويكون النبي عليه السلام خلفه، فلما لقيا سراقة قال لأبي بكر: من الرّجل؟، قال: باغ، قال: فمن الذي خلفك قال: هاد، قال: أحسست محمداً قال: هو ورائي.

اجتناب أكل الحرام والخوض في الشبهات:

قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[7].

اعلم أن الله ما أحل إلا طيباً وما حرم إلا خبيثاً.

سئل أعرابي لماذا أسلمت؟ قال: لم أر شيئاً من قول أو فعل يستحسنه العقل وتستطيبه الفطرة إلا وحث عليه الإسلام وأمر به وأحلّه ربّ

---

(١) من الآية (٨٩) من سورة الصافات.
(٢) من الآية (٦٣) من سورة الأنبياء.
(٣) من الآية (٧٠) من سورة يوسف.
(٤) من الآية (٧٦) من سورة يوسف.
(٥) من الآية (٢٢) من سورة ص.
(٦) من الآية (٤٢) من سورة المائدة.
(٧) من الآية (١٧٢) من سورة البقرة.

العزّة سبحانه، ولم أجد شيئاً يستقبحه العقل وتستقذره الفطرة إلاّ ونهى الله عنه وحرّمه على عباده.

الحرام لغة: كما عرفه الإمام الرازي في كتابه مختار الصحاح فقال: الحرام: هو ضدّ الحلال وهو ما لا يحلّ انتهاكه.

وأما اصطلاحاً: فكما عرّفه علماء الأصول فقالوا: هو ما طلب الشارع تركه على سبيل الإلزام والجزم بحيث يتعرض من خالف أمر الترك إلى عقوبة أخروية أي في الآخرة أو إلى عقوبة دنيوية إن كان شرع الله مطبقاً في الأرض.

واعلم أنّ الحلال بيّن لا لبس فيه وأنّ الحرام واضح لا لبس فيه وما اشتبه عليك أمره أهو من الحلال أم من الحرام فعليك أن تتقيه خشية الوقوع في الحرام.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: **«الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه؟ ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام»**[1].

قال الحافظ: ونقل ابن المنيِّر في مناقب شيخه القِبَّارِي عنه أنه كان يقول: المكروه عقبة بين العبد والحرام، فمن استكثر من المكروه تطرق إلى الحرام، والمباح عقبة بينه وبين المكروه، فمن استكثر منه تطرق إلى المكروه»، قال الحافظ: وهو مَنْزَعٌ حسن، ويؤيده رواية بن حبان من طريق ذكر مسلم إسنادها ولم يسق لفظها فيها من الزيادة **«اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال، من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه ومن أرتع فيه كان كالمرتع إلى جنب الحمى يوشك أن يقع فيه»**، والمعنى أن الحلال حيث يخشى أن يؤول فعله مطلقاً إلى مكروه أو محرم ينبغي اجتنابه، كالإكثار مثلاً من الطيبات فإنه يحوج إلى كثرة الاكتساب، الموقع في أخذ ما لا يستحق، أو يفضي إلى بطر النفس، وأقل ما فيه الاشتغال عن مواقف

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

العبودية، وهذا معلوم بالعادة مشاهد بالعيان. . . ويختلف ذلك باختلاف النّاس، فالعالم الفطن، لا يخفى عليه تمييز الحكم، فلا يقع له ذلك إلاّ في الاستكثار من المباح، أو المكروه كما تقرر قبل؛ ودونه تقع له الشبهة في جميع ما ذكر بحسب اختلاف الأحوال، ولا يخفى أن المستكثر من المكروه تصير فيه جرأة على ارتكاب المنهي في الجملة، أو يحمله اعتياده ارتكاب المنهي غير المحرم على ارتكاب المنهي المحرم إذا كان من جنسه، أو يكون ذلك لشبهة فيه، وهو أن من تعاطى ما نهى عنه يصير مظلم القلب لفقدان نور الورع، فيقع في الحرام ولو لم يختر الوقوع فيه[1].

ولا يأكل العبد الحرام ويقبل عليه إلاّ إذا تغيرت موازين فطرته، وضعف إيمانه، وتقلبت أحواله وأدخل على نفسه وأهله الوبال، قال ابن القيم: «ما أخذ العبد ما حرم عليه إلاّ من جهتين: إحداهما سوء ظنّه بربه وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيراً منه حلالاً، والثانية أن يكون عالماً بذلك وأن من ترك لله شيئاً أعاضه خيراً منه ولكن تغلب شهوته صبره وهواه عقله فالأول من ضعف علمه، والثاني من ضعف عقله وبصيرته»[2].

تساهل النّاس بكسب المال:

في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يأتي على النّاس زمان لا يبالي العبد بحلال أخذ المال أم بحرام**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد إلاّ أكل الربا فإن لم يأكلهُ أصابه من بخاره**». ويروى: «**من غباره**»[4].

---

(١) فتح الباري للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (١/ ١٥٥) ط/ الريان.

(٢) كتاب الفوائد ص(٢٦).

(٣) رواه أحمد في المسند، والبيهقي في شعب الإيمان ودلائل النبوة، وابن أبي الدنيا في إصلاح المال (ص٢٧).

(٤) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه. وضعفه الألباني مشكاة المصابيح حديث رقم ٢٨١٨.

وقال ﷺ: «**إنّ روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنّكم استبطاء الرّزق أن تطلبوه بمعصية الله فإنّ ما عند الله لا ينال إلاّ بطاعته**»[1].

قال ابن القيم[2]: جمع النبي ﷺ في قوله: «**فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**» بين مصالح الدنيا والآخرة ونعيمها ولذاتها، إن ما ينال بتقوى الله وراحة القلب والبدن وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناء والكدّ والشقاء في طلب الدنيا إنما ينال بالإجمال في الطلب فمن اتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها ومن أجمل في الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها ـ فالله المستعان.

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في ذا الخلق من يسمع
كم واثق بالعيش أهلكته ... وجامع فرقت ما يجمع

إقبال كثير من الناس على الأكل من الحرام لاسيما في زماننا لانتشار وسائله كالبنوك الربوية، وكثرة الرشا وأخذ أموال الناس بالباطل وقلة العلم الشرعي عند أغلب التجار، بل قلة التفقه في الدين عند الناس عامة جعل المال الحرام يطغى في كثير من معاملات الناس مع الجهل به، وعدم سؤال أهل العلم إلا من رحم الله تعالى: وليس هذا دليلاً على فقدِ الحلال، بل الحلال موجود لمن احتاط لدينه وطلبه، قال الغزالي: يظنّ الجاهل أنّ الحلال مفقود وأنّ السبيل للوصول إليه مسدود، حتى لم يبق من الطيب إلاّ الفرات والحشيش النابت في الموات، وماعداه فقد أخبثته الأيدي العادية، وأفسدته المعاملة الفاسدة ! وليس كذلك بل قال المصطفى ﷺ: «**الحلال بيّنٌ والحرام بَيّنٌ وبين ذلك أمور مشتبهات**... الحديث» ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات، كيفما

---

(١) القضاعي في مسند الشهاب (١٨٥/٢، رقم ١١٥١)، وقال الحافظ في الفتح (٣/١) أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود والحديث صحيح.

(٢) كتاب الفوائد (ص٧٧).

تقلبت الحالات، وإنما الذي فقد: العلم بالحلال، وبكيفية الوصول إليه»[1]. اهـ

فائدة: جمع النبي ﷺ في دعائه بين المأثم والمغرم فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة والمغرم يوجب خسارة الدنيا.

من آثار أكل الحرام حرمان استجابة الدّعاء:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: **«إنّ الله طيّب لا يقبل إلاّ طيّباً وإنّ الله ـ عزّ وجل ـ أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[3]، قال: **ثم ذكر عبداً أشعث أغبر يطيل السفر رافعاً يديه: يا ربّ! يا ربّ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لهذا».**

ومن آثاره عدم قبول النّفقة منه:

ففي مسلم أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»**؛ بل يأثم على صدقته لقول النبي عليه الصلاة والسلام: **«من جمع مالاً حراماً ثم تصدق منه فلا أجر له وإصره عليه»**[4]. إصره عليه: أي إثمه عليه.

ومن آثاره أن يتحوّل جامع المال إلى عبدٍ له:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«تعس عبد الدينار والدّرهم والقطيفة والخميصة إن أُعطي رضي وإن لم يعط لم يرض»** رواه البخاري.

---

(١) من الإحياء للغزالي (٥/ ٢٠)، وفيض القدير للمناوي (٣/ ٤٢٤-٤٢٥) وانظر رسالة المسترشدين حاشية ص٤١.

(٢) من الآية (٥١) من سورة المؤمنون.

(٣) من الآية (١٧٢) من سورة البقرة.

(٤) رواه ابن خزيمة (٢٤٧١)، وضعفه الألباني، وحسّن إسناده شعيب الأرناؤوط وابن حبان.

ومن آثاره فساد الدِّين:

ففي المسند والترمذي والدارمي وغيرها عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في زَرِيبَة غَنَم أفسد به من حرص الرّجل على المال والشّرف لدينه**».

ومن آثاره انتزاع البركة فيه والحرمان من لذته.

قال الأوزاعي:

المال يذهب حله وحرامه ... يوماً ويبقى بعده آثامه
ليس التقي بمتق لإلهه ... حتى يطيب طعامه وكلامه

ونسأل الله الكفاف، وغنى النفس، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه**» رواه مسلم.

لذا يقول أحد السلف: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام.

ومن ذلك أن العبد لا تقبل منه طاعة لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**واعلم أنّ اللقمة الحرام إذا وقعت في جوف أحدكم لا يتقبل عمله أربعين ليلة**»[1].

ويقول النبي ﷺ: «**وإذا خرج الحاجّ حاجّا بنفقة خبيثة** (أي حرام) **ووضع رجله في الغَرْزِ** (أي: رِكاب الدابة) **ونادى: لبّيك اللّهمّ لبّيك ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك زادُك حرام وراحلتُك حرام وحجّك مأزور غير مبرور**»[2]، وترجع بالإثم ولا أجر لك.

ومن أثر الحرام أيضاً أنّ آكل الحرام لا يستجاب له دعاء.

---

(١) رواه الطبراني. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة ضعيف جداً (١٨١٢).
(٢) رواه الطبراني والأصبهاني. وقال الألباني ضعيف جداً كما في ضعيف الترغيب والترهيب (٧١١).

سأل سعد بن أبي وقاص النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن أكون مستجابَ الدعوة فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا سعدُ أَطِب مطعمَك تستجبْ دعوتُك**»[1].

ومن أثر الحرام أيضاً أنّ العبد لا يقوى على طاعة يقول أحد السلف: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أم لم يعلم.

ومن أثر الحرام أيضاً أنَّ مآل هذا الجسد إلى النار، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**كلّ لحم نبت من حرام فالنار أولى به**»[2].

وذكر أنّ جنيد البغدادي رحمه الله جاء يوماً إلى داره فرأى جارية جاره ترضع ولده فانتزع ولده منها وأدخل أصبعه في فيه (أي في فمه) وجعله يتقيأ كلّ الذي شربه فلما سُئِل قال: جاري يأكل الربا يأكل الحرام وجارية جاري تعمل عنده فهي تأكل الحرام وجارية جاري ترضع ولدي فهي ترضع ولدي الحرام ورسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «**كلّ لحم نبت من حرام فالنّار أولى به**».

ذكر عبدالله ابن الإمام أحمد في كتاب الزهد لأبيه: «أصاب بني إسرائيل بلاء فخرجوا مخرجاً فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم: أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة وترفعون إليّ أكفاً قد سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام الآن حين اشتدّ غضبي عليكم لن تزدادوا مني إلا بُعْداً»[3].

حفظ الفروج:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٧].

---

(١) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٢٩١/١٠) قال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٧/٥) رقم (٥٧٦٢).

(٣) نقلاً من الجواب الكافي ص٢٥.

وتدلّ الآية على أنّ من قارف الزّنا وتجاوز الحلال إلى الحرام فقد فاته الفلاح ووقع في اللّوم واتّصف بالعدوان.

ومن ضمن فرجه وحفظه عن الزنا كان من المبشرين بحديث سيد الأخيار أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «**اضْمَنُوا لِي سِتّاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اُصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اُؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**».

وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو يَعْلَى وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً بِلَفْظِ: «**تَقَبَّلُوا لِي سِتّاً أَتَقَبَّلُ لَكُمْ الْجَنَّةَ: إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ، وَإِذَا اُؤْتُمِنَ فَلَا يَخُنْ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ**».

إن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي لكنه جهاد ونية، وصبر وتضحية وضبط لزمام النفس وتعالٍ عن الشّهوات المحرّمة.

والإيمان بإذن الله حارس للمرء عن الوقوع في المحرمات وهو درعٌ يحمي صاحبه عن المهلكات لكن الزنا والعياذ بالله يخرم هذا الحزام من الأمان ويدك هذا الحصن الحصين وينزع هذا السربال الواقي بإذن الله إلا أن يتوب يقول عليه الصلاة والسلام: «**إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء فإذا زنى العبد نزع منه سربال الإيمان فإن تاب رد عليه**»[1].

ولا يجتمع الإيمان مع الزنا والمصطفى ﷺ يقول: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن....**»[2]، الحديث.

وتحذر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تروي هذا الحديث وأمثاله تحذر الأمّة وتقول: «**فإيّاكم وإيّاهم**».

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال الألباني: (ضعيف) انظر حديث رقم: ١٤٢١ في ضعيف الجامع.

(٢) متفق عليه.

كما جاء في رواية أخرى من روايات الحديث بيان الفرق بين الإيمان والزنا وكرم الإيمان وخسة الزنا فقد ورد: «**لا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يزني الزّاني وهو مؤمن الإيمان أكرم على الله من ذلك**». وورد أيضاً عنه ﷺ بهذا الخصوص قوله: «**إذا زنا أحدكم خرج منه الإيمان وكان عليه كالظلّة فإذا انقلع رجع إليه الإيمان**»[1].

وجاء في صحيح البخاري وغيره عن سمرة بن جندب رضي الله عنه ـ في الحديث الطويل ـ في خبر منام النبي ﷺ «أنّ جبريل وميكائيل جاءاه قال: **فانطلقا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع فيه لغط وأصوات قال: فاطلعنا فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا: أتاهم ذلك اللهب ضَوْضُوا** ـ أي صاحوا من شدة الحر ـ **فقلت: من هؤلاء فقال: هؤلاء الزناة والزواني فهذا عذابهم إلى يوم القيامة**».

وروى الإمام أبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه: «**من مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة قيل وما نهر الغوطة؟ قال: نهر يجري من فروج المومسات** ـ يعني البغايا ـ **يؤذي أهل النار ريح فروجهم**».

والأمراض المدمّرة يجلبها الزنا وقد جاء في الحديث «أنّ النبي ﷺ أقبل على المهاجرين يوماً فقال: «**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنّ وأعوذ بالله أن تدركوهنّ فذكر منها: ... ولم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتّى يعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الطّاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم**»[2].

---

(١) الحديث بهذا اللفظ ضعيف، رواه البزار مختصراً. واصله في الصحيح من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

(٢) رواه ابن ماجة (٤٠١٩) وحسنه الألباني (١٠٦) الصحيحة.

لا تقدم على أمر حتى تعلم حكم الله فيه:

قال الشارح: وأما كونه يوقف الأمور أي يقف عنها، ولا يرتكبها حيث يجهل حكمها حتى يعلم أي يغلب على ظنه ما حكم الله به في تلك الأمور بالنظر في الأدلة أو في كتب العلم إن كان أهلا لذلك أو بالسؤال لأهل العلم لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وحينئذ يفعل أو يترك فواجب أيضاً لقوله: «**لا يحلّ لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه**»[2]، وليس هذا من باب ترك الشبهات المتقدم لأن الشبهات ما اختلف فيه العلماء أو ما تجاذبته الحلية والتحريم فلتاركها لذلك شعور بالحكم في الجملة وتركها ورع كما مر، وهذه المسألة فيمن لا شعور له بالحكم أصلاً والتوقف عنها حتى يعلم حكمها واجب فقهاً لا ورعاً والله أعلم.

قال الإمام شهاب الدين القرافي في الفرق الثالث والتسعين حكى الغزالي في إحياء علوم الدين والشافعي في رسالته الإجماع «على أنّ المكلف لا يجوز له أن يقدم على فعل حتى يعلم حكم الله تعالى: فيه، فمن باع وجب عليه أن يتعلم ما عينه الله وشرعه في البيع ومن آجر وجب عليه أن يتعلم ما شرعه الله تعالى في الإجارة ومن قارض وجب عليه أن يعلم حكم الله تعالى في القراض، ومن صلّى وجب عليه أن يتعلّم حكم الله تعالى في تلك الصّلاة، وكذا الطهارة وجميع الأعمال والأقوال، فمن تعلّم وعمل بمقتضى ما علم فقد أطاع الله تعالى طاعتين، ومن لم يعلم ولم يعمل فقد عصى الله معصيتين ومن علم ولم يعمل بمقتضى علمه فقد أطاع الله طاعة وعصاه معصية... قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[3][4].

---

(١) من الآية (٤٣) من سورة النحل.

(٢) لم اعثر عليه.

(٣) من الآية (٣٦) من سورة الإسراء.

(٤) الدر الثمين والمورد المعين (٥٣١-٥٣٢). وانظر نحو هذا الكلام في الذخيرة للقرافي [جزء ٣ - صفحة ٣٤٣].

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى من عمل على غير علم، كان ما يفسد أكثرِ مما يصلح.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يُطَّهِرُ الْقَلْبَ مِنَ الرِّياءِ وَحَسَدٍ عُجْبٍ وكُلِّ داءِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ أَصْلَ ذِي الآفاتِ حُبُّ الرِّياسَةِ وَطَرْحُ الآتِي
رَأْسُ الخَطَايا هُوَ حُبُّ الْعاجِلَهْ لَيْسَ الدَّوَا إلاّ في الاِضْطِرَارِ لَهْ

شرح الأبيات:

يجب تطهير القلب من الأعمال التي تفسده وتلهيه وفي مهاوي العطب ترديه فإنّ القلب هو ملك الجوارح، صلاحها بصلاحه وفسادها بفساده كما أخبر بذلك المربي الأول، وصاحب القلب الطاهر المُزَكَّى حيث قال ﷺ: **«ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب»**[1]، . . . الحديث.

ولما كان السير إلى الله يقطع بالقلوب لا بالأبدان، كان نظر الدّيان إلى تلك الأوعية وما تحويه فاقتضى من العبد تطهيرها، وتخليتها من كل مالاً يرضيه جل جلاله، وإعمارها بالخشية والإنابة والمحبة، والخوف، والرجاء **«إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**[2]، وقد قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «فأفضل الناس من سلك طريق النبي ﷺ وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الأحوال القلبية فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان»[3]، ومن أخطر الأمراض الباطنية التي تحبط الأعمال، وتدبّ في القلوب كدبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء مرض الرّياء.

---

(١) رواه البخاري (٥٢).
(٢) رواه مسلم.
(٣) المحجة في سير الدلجة لابن رجب (٦٥).

والرّياء: هو إشراك العبد الخلق في القصد للعبادات التي لا ينبغي أن تكون إلاّ لوجه الله تعالى. أمّا إذا كان قصد العبد لله خالصاً ثم دخل عليه ما يشوش إخلاصه فقد فصّل العلماء في ذلك.

قال ابن رجب: «واعلم أنّ العمل لغير الله أقسام:

فتارة يكون رياء محضاً بحيث لا يراد به سوى مراعاة المخلوقين لغرض دنيوي كحال المنافقين في صلاتهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢] وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحجّ وغيرهما من الأعمال الظاهرة والتي يتعدى نفعها فإنّ الإخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشكّ مسلم أنه حابط وأنّ صاحبه يستحقّ المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدلّ على بطلانه أيضاً وحبوطه كحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[1]، وروي عن طائفة من السلف منهم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء والحسن وابن المسيب وغيرهم.

فإن خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء مثل أخذه أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهاده ولم يبطل بالكلية.

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إنّ الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجّلوا ثلثي أجرهم فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم**»[2].

وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضر بغير خلاف فإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره

---

(١) رواه مسلم وابن ماجة.

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة. من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما...

ذلك ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري وأرجو أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروي عن الحسن البصري»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟**» قال: قلنا: بلى قال: «**الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل**» رواه أحمد[2].

الحسد:

قال ﷺ عندما سئل: أي الناس أفضل؟: «**كل مخموم القلب صدوق اللسان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «**التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد**» ابن ماجه بإسناد صحيح.

كما حذر من أمراض القلوب قائلاً:

«**دبّ فيكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة أما إني لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**» البزار بإسناد صحيح والبيهقي.

«**إيّاكم والظّنّ فإنّ الظنّ أكذب الحديث ولا تحسّسوا ولا تجسّسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا التقوى هاهنا** وأشار إلى صدره. . .» البخاري ومسلم.

وصدق من قال: الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود.

لله دَرُّ الحَسَد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٨-٤١) باختصار.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٣٠ وابن ماجه (٤٢٠٤) وقال البوصيري: هذا إسناد حسن.

يقول أبو الليث السمرقندي: يصل الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود:

أولها: غمّ لا ينقطع.

وثانيها: مصيبة لا يؤجر عليها.

وثالثها: مذمّة لا يحمد عليها.

ورابعها: سخط الرب.

وخامسها: يغلق عنه باب التوفيق.

وقد بلغ من النفوس المريضة بهذا الداء الذي غلب دواؤه الأطباء أنهم حتى على الموت يحسدون.

يقول يزيد بن معاوية:

هم يحسدوني على موتي فواأسفا حتى على الموت لا أنجو من الحسد.

ويحكى فيما مضى أنّ طاغية صلب عالماً وصلب إلى جنبه أحد أتباعه فقال النّاس هذا العالم صلب، فما بال هذا يصلب إلى جنبه فحسدوه حتى على الطريقة التي لقي عليها ربّه، ولايزال في النّاس حاسد ومحسود فنعوذ بالله من ﴿شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

وقال آخر:

ألا قل لمن كان لي حاسدا ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض لي ما وهب

فأخزاك ربي بما زادني ... وسدّ عليك وجوه الطلب

ومن العجب العجاب أن كثيراً من الناس يحسدون أبناء عمومتهم وأهليهم ممن رزقهم الله فضلاً لاسيما في العلم، فلا يتقبّلون منهم ما يقولون، ولو جاءهم الغريب الذي لا يلحق مكانة صاحبهم لرفعوه على أكفهم وأسقطوا وازدروا قريبهم زعماً منهم أن هذا نعرفه وكما قال الأول:

يـرون الـعـجـيـب كـلام الـغـريـب وكـلام الـقـريـب عـنـدهـم لا يـعـجـب
وجـوابـهـم عـنـد تـعـنـيـفـهـم مـغـنـيـة الـحـي لا تـطـرب

ومن نفيس كلام أبي بكر الرازي في هذا الموضوع ـ والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحقّ بها ـ: «إننا نرى الرجل الغريب حكماً في بلد ما متحكماً في أهله ومع ذلك فلا يكادون يحسون نحوه بكراهية أمّا أن يحكمهم رجل من أهلهم فالأغلب أن تنصب عليه الكراهية مع أنه قد يكون أرأف بهم من الحاكم الغريب وسرّ ذلك هو محبة الإنسان لنفسه مما يجعله توّاقاً إلى أن يكون سبّاقاً لسواه من أبناء قومه فإذا رأى النّاس أنّ من كان بالأمس منهم قد أصبح اليوم سابقاً لهم مقدّماً عليهم اغتمّوا لذلك وصعب واشتدّ عليهم سبقه إياهم أما المالك الغريب فمن أجل أنهم لم يشاهدوا حالته الأولى لا يتصورون قصورهم في كمال سبقه لهم وفضله عليهم فيكون ذلك أقل لغمّهم وأسفهم»[1]، ومن لطيف ما يحكى في عدل الحسد ماقاله بكر بن عبد الله «كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحِذَاء الملك (أي إلى جانبه) فيقول: أحْسِن إلى المحسن بإحسانه فإنّ المسيء سيكفيكَه إساءتُه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إنّ هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أنّ الملك أبخر، فقال له الملك: وكيف يصحّ ذلك عندي، قال: تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشمّ ريح البَخْرِ[2]، فقال له: انصرف حتى انظر فخرج من عند الملك، فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإنّ المسيء سيكفيكه إساءته فقال له الملك: أدن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشمّ الملك منه رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلاّ قد صدق، قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة

(١) الطب الروحاني لأبي بكر الرازي نقلاً عن كتاب: عن الحرية أتحدث / ٧٣ زكي نجيب محمود.

(٢) قال في الصحاح: البَخَرُ: رِيْحٌ كَرِيْهٌ من الفَم بَخِرَ بَخَراً فهو أبْخَرُ والمرأةُ بَخْرَاءُ.

فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً، وابعث به إلي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به، فقال ما هذا الكتاب قال خطّ الملك لي بصلة، فقال هبه لي فقال: هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل، فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك، فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا، وبعث به، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له، قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر قال ما قلت ذلك، قال فَلِمَ وضعت يدك على فيك، قال لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمّه، قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفي المسيء إساءته[1].

العجب:

«**إعجاب المرء بنفسه**» والعجب داء عضال وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستعظام ونظره لغيره بعين الاحتقار وقد يكون سبب العجب المال أو الولد أو الحسب أو النسب أو العلم أو الرأي ونحو ذلك.

وثمرة العجب أن يقول المرء: (أنا خير منه) كما قالها إبليس وأتباعه فقد قال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾[2].

وقال صاحب الجنتين لصاحبه: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤﴾[3]، ونهاية العجب الهلاك فقد قال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾[4].

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي.

(٢) الآيتان (٧٥، ٧٦) من سورة ص.

(٣) من الآية (٣٤) من سورة الكهف.

(٤) الآيتان (٧٧، ٧٨) من سورة ص.

وأما صاحب الجنتين فقد أهلك الله جنتيه ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾[1] ولما أعجب قارون بما له ونسيَ فضل الله عليه وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[2]، فكانت عاقبته ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾[3].

عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**»[4] ولقد كان أصحاب النبي ﷺ أحرص الناس على تطهير أنفسهم من هذا الداء الخبيث الذي أهلك خلقاً كثيراً أعجبوا بأعمالهم أو علومهم لو قارنوها بسلف هذه الأمة لاستحيا الواحد منهم أن يرى لنفسه فضلاً، لقد احتقر القوم أنفسهم في جنب الله تعالى فصار كلّ ما عملوه من تلك الأعمال العظيمة صغيرة عندهم رجاء أن يقبلها الله فقبلها لهم وزكاها، وجعلهم بها أئمة للنّاس فهذا خليفة رسول الله ﷺ، أبو بكر رضي الله عنه يقول: (وددت أني شجرة تعضد)، وهذا عمر وما أدراكم ما عمر يسأل حذيفة رضي الله عنهما: هل سمّاني لك رسول الله ﷺ من المنافقين؟

وحينما طُعِنَ وهو خليفة وجعل يألم قال له ابن عباس مواسياً: «يا أمير المؤمنين! ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبت صَحبتهم فأحسنت صُحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون». فلم يأخذ عمر بكل هذا الثناء ولا أحسّ بالعجب والخيلاء بل أسند ذلك إلى فضل الله ومنته فقال: «أمّا ما ذكرت من صحبة

---

(١) من الآية (٤٢) من سورة الكهف.

(٢) الآية (٧٨) من سورة القصص.

(٣) من الآية (٨١) من سورة القصص.

(٤) رواه مسلم (ح/٢٠٨٨) معنى (يتجلجل): يغوص ومعنى (جمته): ما سقط على المنكبين من شعر الرأس.

الرسول ـ ﷺ ـ ورضاه: فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله تعالى مَنَّ به عليّ وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه: فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله جلّ ذكره منّ به عليّ وأما ما ترى من جزعي: فهو من أجلك وأجل أصحابك والله لو أن لي طِلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عزّ وجل قبل أن أراه»[1]. ـ وعائشة رضي الله عنها لَمّا نزلت براءتها في حادثة الإفك قالت: «والله ما كنت أظن أن يُنزَل في شأني وحيٌ ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم فيّ بأمر ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النّوم رؤيا يبرئني الله بها»[2]. ـ وهذا مطرّف بن عبدالله رحمه الله يقول: «لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً»[3]. ولم يكن هذا حال هؤلاء فحسب لكنها صفة راسخة من صفات المؤمنين الصادقين الذين وصفهم الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠]. وقد سألتْ عائشةُ رضي الله عنها النبيّ ﷺ عن هذه الآية، فقالت: «**هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال: «لا، يا بْنَتَ الصِّدّيق، ولكنّهم الذين يصومون ويصلّون ويتصدّقون، وهم يخافون ألاّ يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**»[4]. والفرق بين العجب بالعمل والفرح بالخير والطاعة: كما أن العجب بالعمل يورث التواكل والتكاسل فإن احتقار العمل إذا لم ينضبط فإنه يورث أثراً مشابهاً وهو: الإحباط والملل والسآمة؛ لذا كان للعبد أن يفرح بالحسنة ويغتبط بالطاعة بل إنّ هذا دليل الإيمان قال ﷺ: «**من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن**»[5].

---

(١) رواه البخاري ح/(٣٦٩٢) (٢٦٦١)، ومسلم ح/ ٢٧٧٠ واللفظ له.

(٢) متفق عليه.

(٣) السير للذهبي (٤/ ١٩٠)، رواه الترمذي ح/ ٣١٧٥ وانظر السلسلة الصحيحة ج ١ ص ٢٥٥.

(٤) رواه الترمذي ح/ ٣١٧٥. وانظر السلسلة الصحيحة ج ١ ص ٢٥٥، رواه أحمد ج ١ ص ١٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ح/ ٦٢٩٤.

(٥) رواه الترمذي وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ (٢٠٩١).

حبّ الرئاسة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**» رواه الترمذي والدارميّ وأحمد.

يقول ابن رجب رحمه الله في شرح هذا الحديث: «فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقلّ من إفساد الذئبين لهذه الغنم بل إمّا أن يكون مساوياً وإمّا أكثر يشير أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلاّ القليل كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلاّ القليل. فهذا المثل العظيم يتضمّن غاية التحذير من شرّ الحرص على المال والشرف في الدنيا».

إلى أن قال: «وأما حرص المرء على الشرف فهو أشد إهلاكاً من الحرص على المال؛ فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال وضرره أعظم والزهد فيه أصعب؛ فإنّ المال يبذل في طلب الرياسة والشرف».

ثم ذكر رحمه الله أقسام الحرص على الشرف فقال: «والحرص على الشرف قسمان:

أحدها: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال وهذا خطر جداً وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزّها. قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]، وقلّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيوَفّقُ بل يوكَلُ إلى نفسه). إلى أن قال: (ومن دقيق آفات حبّ الشّرف: طلب الولايات والحرص عليها وهو باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله العارفون به المحبون له...

القسم الثاني: طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم

---

(١) الآية (٨٣) من سورة القصص.

والعمل والزهد؛ فهذا أفحش من الأول وأقبح وأشد فساداً وخطراً؛ فإن العلم والعمل والزهد إنما يُطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم والقربى منه والزلفى لديه...).

يقول سفيان الثوري: «الرّياسة أحبّ إلى القرّاء من الذّهب الأحمر». وقد قيل: «إنّ آخر ما ينزع من قلوب الصّدّيقين حبّ الرئاسة».

وقد تحدّث أبو الفرج ابن الجوزي عن أولئك العلماء المولَعين بالرِّياسات والشهرة فقال: «واليوم صارت الرياسات من كلّ جانب وما تتمكن الرياسات حتى يتمكن من القلب: الغفلة ورؤية الخلق ونسيان الحقّ؛ فحينئذ تطلب الرياسة على أهل الدنيا. ولقد رأيت من الناس عجباً حتى من يتزيّا بالعلم إن رآني أمشي وحدي أنكر عليّ وإن رآني أزور فقيراً عظّم ذلك وإن رآني أنبسط بتبسم نقصت من عينه فقلت: فوا عجباً هذه كانت طريق الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم فصارت أحوال الخلق نواميس لإقامة الجاه لا جَرَمَ واللّهِ! سقطتم من عين الحق فأسقطكم من عين الخلق... فالتفِتوا إخواني إلى إصلاح النيات وترك التزين للخلق ولتكن عُمدتكم الاستقامة مع الحق؛ فبذلك صعد السلف وسعدوا».

حبّ العاجلة ونسيان الآجلة:

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾[1].

ولقد ذمّ الله تعالى الدنيا في كتابه في غير موضع كقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[2] وأما الأحاديث في ذم الدنيا وفضل الزهد فكثيرة جداً؛ منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جَلَسَ رسول الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى

---

(١) الآيتان (٢٠، ٢١) من سورة القيامة.

(٢) من الآية (٢٠) من سورة الحديد.

الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ: «**إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**» رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**قَالَ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**» رواه البخاري. وقال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**» رواه الترمذي وأحمد.

وفي صحيح مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**».

وعن الحسن البصري قال: «أهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ما تكون إذا أهنتها». وكان يحلف بالله ما أعزّ أحدٌ الدرهمَ إلاّ أذلّه الله.

وينبغي التوسط إزاء المال بين الشرهِ والانهماك عليه وبين تركه والإعراض عنه: كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «**لاَ وَاللَّهِ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلاَّ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**كَيْفَ قُلْتَ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الْخَيْرَ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ أَوَخَيْرٌ هُوَ؟! إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضِرِ أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ الشَّمْسَ ثَلَطَتْ أَوْ بَالَتْ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ، فَعَادَتْ فَأَكَلَتْ، فَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ**» رواه البخاري ومسلم.

وقد شرح ابن القيم هذا الحديث وبيّن المسلك الوسط تجاه المال فقال: قوله: «**إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ**» هذا من أحسن التمثيل المتضمن للتحذير من الدنيا والانهماك عليها والمسرّة فيها وذلك أنّ الماشية يروقها نبت الرّبيع فتأكل منه بأعينها فربما هلكت حبطاً ـ والحبط

انتفاخ بطن الدابة من الامتلاء أو من المرض ـ فكذلك الشَرِه في المال يقتله شرهه وحرصه فإن لم يقتله قارب أن يقتله وهو قوله: [أَوْ يُلِمُّ] وكثير من أرباب الأموال إنما قتلهم أموالهم؛ فإنهم شرهوا في جمعها واحتاج إليها غيرهم فلم يصلوا إليها إلا بقتلهم أو ما يقاربه من إذلالهم وقهرهم.

وقوله: [إِلاَّ آكِلَةَ الْخَضِرِ] هذا تمثيل لمن أخذ من الدّنيا حاجته مثّله بالشاة الآكلة من الخضر بقدر حاجتها أكلت حتى امتلأت خاصرتاها... وفي قوله: [اسْتَقْبَلَتْ الشَّمْسَ ثَلَطَتْ أَوْ بَالَتْ] ثلاث فوائد:

أحدها: أنها لما أخذت حاجتها من المرعى تركته وبركت مستقبلة الشمس لتستمرئ بذلك ما أكلته.

الثانية: أنها أعرضت عما يضرّها من الشره في المرعى وأقبلت على ما ينفعها من استقبال الشمس التي يحصل لها بحرارتها إنضاج ما أكلته وإخراجه.

الثالثة: أنها استفرغت بالبول والثلط ما جمعته من المرعى في بطنها فاستراحت بإخراجه ولو بقي فيها لقتلها فكذلك جامع المال مصلحته أن يفعل به كما فعلت هذه الشاة... وفي هذا الحديث إشارة إلى الاعتدال والتوسط بين الشره في المرعى القاتل بكثرت هو بين الإعراض عنه وتركه بالكلية فتهلك جوعاً. وتضمّن الخبر أيضاً إرشاد المكثر من المال إلى ما يحفظ عليه قوته وصحته في بدنه وقلبه وهو الإخراج منه وإنفاقه ولا يحبسه فيضره حبسه»[1].

وليس هذا دعوة لأهل العلم والدعوة أن يعيشوا عالة على الناس وإنما المقصود ألا يركنوا إلى الدنيا فتفسد قلوبهم، ولا يتركوا طلب الحلال فيستغلهم الطغاة البغاة من أهل السياسة والأهواء وكما قال سفيان الثوري رحمه الله: [لأن أخلّف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إليّ من أن أحتاج إلى الناس... ولولا هذه الدراهم لتمندل بنا هؤلاء الملوك].

---

(١) عدة الصابرين لابن القيم ص (١٩٨ ـ ١٩٩)، ط/دار الكتب العلمية.

ويقول ابن الجوزي ـ حاثاً على الاستغناء عن الناس ـ: [ليس في الدنيا أنفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس فإنه إذا ضم إلى العلم حيز الكمال وإن جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب فاحتاجوا إلى ما لا بد منه وقلّ الصبر فدخلوا مداخل شانتهم وإن تأوّلوا فيها... ولقد رأينا جماعة من المتصوفة والعلماء يَغْشَون الولاة لأجل نيل ما في أيديهم؛ فمنهم من يداهن ويرائي ومنهم من يمدح بما لا يجوز ومنهم من يسكت عن منكرات إلى غير ذلك من المداهنات وسببها الفقر فعلمنا أنّ كمال العزّ وبُعد الرياء إنما يكون في البعد عن العمال الظَّلَمَة ولم نرَ من صحّ له هذا إلا في أحد رجلين:

أمّا من كان له مال كسعيد بن المسيب كان يَتَّجر في الزيت وغيره وسفيان الثوري كانت له بضائع وابن المبارك. وأما من كان شديد الصبر قنوعاً بما رزق وإن لم يكفه كبشر الحافي وأحمد بن حنبل؛ ومتى لم يجد الإنسان، صبر كهذين، ولا كَمَالَ أولئك، فالظّاهر تقلبه في المحن والآفات وربما تلف دينه. فعليك يا طالب العلم بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس؛ فإنه يجمع لك دينك فما رأينا في الأغلب منافقاً في التدين والتزهد والتخشع ولا آفة طرأت على عالم إلا بحبّ الدنيا وغالب ذلك الفقر فإن كان من له ما يكفيه ثم يطلب بتلك المخالطة الزيادة فذلك معدود في أهل الشّرَهِ خارج عن حيّز العلماء][1].

قلت: وقد حكى أحد مشايخنا عن عالم شنقيطي كان يقول لتلاميذه: أصلحوا أموالكم لا تفقروا واطلبوا العلم لا تكفروا.

ولابن القيم رحمه الله كلام نفيس في الترغيب بالزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة نورد منه ما ذكره في «عدّة الصّابرين»: «جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم وهلاكهم حبّ الدنيا فإن الرسل لما نهوهم عن الشرك والمعاصي التي كانوا يكسبون بها الدنيا حملهم حبّها على مخالفتهم وتكذيبهم؛ فكل خطيئة في العالم أصلها حبّ الدنيا... فحبّ الدنيا والرياسة هو الذي عمر النّار بأهلها والزهد في الدنيا والرياسة هو الذي

---

(١) صيد الخاطر (١١٩).

عمّر الجنة بأهلها والسكر بحبّ الدنيا أعظم من السكر بشرب الخمر بكثير وصاحب هذا السكر لا يفيق منه إلاّ في ظلمة اللحد... والدنيا تسحر العقول أعظم سحر.

قال مالك بن دينار: «اتقوا السحّارة اتقوا السحّارة؛ فإنها تسحر قلوب العلماء». وأقلّ ما في حبّها أنه يلهي عن حبّ الله وذكره ومن ألهاه ماله عن ذكر الله تعالى فهو من الخاسرين وإذَا لَهَا القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان وصرفه حيث أراد»[1].

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يَصْحَبُ شَيْخاً عَارِفَ المَسالِكْ ... يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهالِكْ
يُذْكِرُهُ اللهَ إِذَا رَآهُ ... وَيُوصِلُ الْعَبْدَ إِلى مَولاهُ
يُحاسِبُ النَّفْسَ عَلى الأَنْفاسِ ... وَيَزِنُ الْخَاطِرَ بِالْقِسْطاسِ
وَيَحْفظُ الْمَفْرُوضَ رَأْسَ المالِ ... والنَّفْلَ رِبْحَهُ يُوَالِي
وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ بِصَفْوِ لُبِّهِ ... وَالْعَونُ فِي جَمِيعِ ذَا بِرَبِّهِ

شرح الأبيات:

مصاحبة العلماء العاملين:

(يَصْحَبُ شَيْخاً عَارِفَ المَسالِكْ يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهالِكْ).

صحبة الأخيار، ومجالسة الأبرار، مطلب شرعي، ومقصد مرضي، حتى ولو لم يكونوا من أهل العلم فكيف إذا جمعوا بين العلم والعمل وكانوا قدوة للناس وأئمةً للمتقين لكن هل يجب على السالك إلى الله أن يتخذ شيخا يأخذ بيده في هذا الطريق، أم يكتفي بالتعلم والاسترشاد من هدي الأولين، ولنترك الجواب لعالم من علماء الصّوفية في زمنه فلقد كتب الإمام الفقيه الأصولي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي صاحب الموافقات المتوفى سنة (٧٩٠) من غرناطة الأندلس إلى شيخ الصوفية في

(١) عدّة الصابرين (ص/١٨٦).

عصره أبي عبد الله محمد بن عباد النفزي خطيب جامع القرويين في مدينة فاس المتوفى سنة (٧٩٢) رحمهما الله تعالى: كتب إليه يسأله عن مسألة وقعت في غرناطة واختلفت فيها أنظار العلماء، وكثر فيها القيل والقال وهي: هل على السالك إلى الله تعالى أن يتخذ ـ لزاماً ـ شيخ طريقة وتربية يسلك على يديه؟ أم يسوغ له أن يكون سلوكه إلى الله تعالى: من طريق التعلم والتلقي من أهل العلم دون أن يكون له شيخ طريقة؟

فكتب إليه الشيخ ابن عباد رحمه الله تعالى: كتابة العالم المنصف المخلص، فقال له ما خلاصته[1]: الشيخ المرجوع إليه في السلوك ينقسم إلى قسمين شيخ تعليم وتربية وشيخ تعليم بلا تربية:

فشيخ التربية ليس بضروري لكلّ سالك وإنما يحتاج إليه من فيه بَلادةُ ذهن واستعصاء نفس وأما من كان وافر العقل منقاد النّفس، فليس بلازم في حقه، وتقيُّدُهُ به من باب الأولى.

وأما شيخ التعليم فهو لازم لكل سالك.

أما كون شيخ التربية لازما لمن ذكرناه من السالكين فظاهر لأن حجب أنفسهم كثيفة جداً ولا يستقل برفعها وإماطتها إلا الشيخ المربي وهم بمنزلة من به علل مزمنة، وأدواء معضلة من مرض الأبدان فإنهم لامحالة يحتاجون إلى طبيب ماهر يعالج عللهم بالأدوية القاهرة.

وأما عدم لزوم الشيخ المربي لمن كان وافر العقل منقاد النفس، فلأن وفور عقله وانقياد نفسه يغنيانه عنه فيستقيم له من العمل بما يلقيه إليه شيخ التعليم ما لا يستقيم لغيره، وهو واصل بإذن الله تعالى، ولا يخاف عليه ضرر يقع له في طريق السلوك إذا قصده من وجهه، وأتاه من بابه.

واعتماد شيخ التربية هو طريق الأئمة المتأخرين من الصوفية، واعتماد شيخ التعليم هو طريق الأوائل منهم، ويظهر هذا من كتب كثير من

---

(١) كما في كتابه الرسائل الصغيرة ص(١٠٦) وما بعدها وص(١٢٥) وما بعدها بواسطة رسالة المسترشدين تحقيق أبي غدة.

مُصَنِّفهم، كالحارث المحاسبي، وأبي طالب المكي، وغيرهما من قبل لم ينصوا على شيخ التربية في كتبهم على الوجه الذي ذكره أئمة المتأخرين، مع أنهم ذكروا أصول علوم القوم وفروعها، وسوابقها ولواحقها لا سيما الشيخ أبو طالب، فعدم ذكرهم له دليل على عدم شرطيته ولزومه في طريق السلوك.

وهذه هي الطريقة السابلة ـ أي المسلوكة ـ التي انتهجها أكثر السالكين، وهي أشبه بحال السلف المتقدمين، إذ لم ينقل عنهم أنهم اتخذوا شيوخ التربية، وتقيدوا بهم، والتزموا معهم ما يلتزمه التلامذة مع الشيوخ المربين، وإنما كان حالهم اقتباسَ العلوم، واستصلاح الأحوال بطريق الصحبة والمؤاخاة بعضهم لبعض، ويحصل لهم بسبب التلاقي والتزاور مزيد عظيم يجدون أثره في بواطنهم وظواهرهم ولذلك جالوا في البلاد، وقصدوا إلى لقاء الأولياء والعلماء والعباد.

وأما كتب أهل التصوف فهي راجعة إلى شيخ التعليم لأن الاستفادة منها لا تصح إلا باعتقاد الناظر فيها أن مؤلفها من أهل التعليم والمعرفة، وممن يصح الاقتداء به.

ولا يحصل هذا الاعتقاد إلا من قبل شيخ معتمد عليه عنده أو من طريق يثق به فإن كان ما يستفيده منها بينا موافقاً لظاهر الشرع موافقة بينة اكتفى بذلك وإلا فلا بد له من مراجعة شيخ ـ أي من شيوخ التعليم ـ يبينه له فالشيخ لا بد منه»[1].

إذا فليس لازماً شيخ الطريقة، كما يقول القائلون من لا شيخ له فالشيطان شيخه. وعلى شيخ التعليم والتربية معاً أو التعليم يحمل كلام ابن عاشر والله أعلم ولا يكون شيخاً عارفاً إلاّ إذا كان عالماً إذ أن ثمرة العلم هي التزكية.

---

(١) رسالة المسترشدين حاشية (ص٤١-٤٢-٤٣).

رؤية الصالحين تُذَكِّر بالله عزّ وجل:

(يُذْكِـرُهُ اللـهَ إِذَا رَآهُ وَيُوصِلُ الْعَبْدَ إِلى مَولاهُ).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خياركم من ذكَّركم بالله رؤيتُه وزاد في علمكم منطقُه، ورغّبكم في الآخرة عملُه**» رواه الحكيم الترمذي[1]، قال المناوي في شرحه: فيض القدير (٤٦٨/٣) قال ابن عمرو: قيل: يا رسول الله، من نجالس؟ فذكره، ورواه العسكري من حديث ابن عباس» انتهى[2].

قال عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى: أما جواب النبي ﷺ لسؤال الصحابة له: من نجالس؟ بقوله: «**من ذكركم بالله رؤيته**». فقد كان هذا النوع الكريم في السلف منتشراً وكثيراً، كان التابعي عمرو بن ميمون الأودي الكوفي أدرك الجاهلية ولم يلق النبي ﷺ وقدم معاذ بن جبل من اليمن فنزل الكوفة وكان صالحاً قانتاً لله تعالى: قال تلميذه أبو إسحاق السبيعي: كان إذا رؤي ذكر الله توفي سنة ٧٥ رحمه الله تعالى، وكان التابعي الجليل محمد بن سيرين إذا مر في السوق، فما يراه أحد إلا ذكر الله تعالى، وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى: كما قال أشعث بن عبد الله أحد أصحابه كنّا إذا دخلنا على الحسن خرجنا ولا نعُدُّ الدنيا شيئاً.

وقال يونس بن عبيد: كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عَمَلَهُ ولم يسمع كلامه.

وقيل ليونس بن عبيد: أتعرف أحداً يعمل بعمل الحسن البصري؟ فقال: والله لا أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بعمله؟! ثم وصفه فقال: كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه، وإذا جلس فكأنه أُمر بضرب عنقه !وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له.

---

(١) الجامع الصغير للسيوطي.

(٢) قال الشيخ العلامة أبو غدة في تعليقه على الحديث: والعزو إلى هذين المصدرين مشعر بضعف الحديث. تحقيق رسالة.

وقال مصعب بن عبد الله: كان الإمام مالك رحمه الله تعالى إذا ذكر ﷺ تغيّر لونه وانحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك: لو رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون كنت آتي محمد بن المنكدر وكان سيد القراء ـ أي سيد العلماء ـ لا تكاد نسأله عن حديث إلا بكى حتى نرحمه.

ولقد كنت آتي جعفر بن محمد ـ هو جعفر الصادق ـ وكان كثير المزاح والتبسم فإذا ذكر عنده رسول الله ﷺ اخضر واصفر وكنت كلما أجد في قلبي قسوة آتي محمد بن المنكدر فأنظر إليه نظرة فأتعظ بنفسي أياماً. اهـ.

وما أجمل ما قيل فيمن كان من هذا القبيل:

إذا سكن الغدير على صفاء ... وجُنِّب أن يحرّكه النسيم
بدتْ فيه السماء بلا امتراء ... كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك وجوه أرباب التجلي ... يرى في صفوها الله العظيم[1]

قال ابن القيم عن شيخه تقي الدين رحمهما الله تعالى: وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا وينقلب انشراحاً وقوةً ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»[2].

قال غسّان بن الفضل: كان بشر بن منصور من الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله وإذا رأيت وجهه ذكرت الآخرة؛ رجل منبسط ليس بمتماوت ذكيّ فقيه وقال أسيد بن جعفر: بشر بن منصور ما فاتته التكبيرة الأولى قط ولا رأيته قام في مسجدنا سائل قط فلم يُعطَ شيئاً إلاّ أعطاه»[3].

---

(١) رسالة المسترشدين (ص٥٩).

(٢) حاشية (ص٦٠- ٦١) رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي تحقيق أبي غدة عبد الفتاح رحم الله الجميع.

(٣) الوابل الصيب لابن القيم تحقيق بشير عيون ص(٩٧).

محاسبة النفس:

(يُحاسِبُ النَّفْسَ عَلى الأَنْفاسِ وَيَزِنُ الْخَاطِرَ بالْقِسْطاسِ)

قال الماوردي[1] رحمه الله تعالى: في معنى المحاسبة: (أن يتصفّح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل)[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: (هي التمييز بين ما له وما عليه ـ أي العبد ـ فيستصحب ما له ويؤدي ما عليه؛ لأنه مسافرٌ سَفَرَ من لا يعود)[3].

وأما الحارث المحاسبي فقد عرّفها بقوله: (هي التثبّت في جميع الأحوال قبل الفعل والترك من العقد بالضمير أو الفعل بالجارحة؛ حتى يتبيّن له ما يفعل وما يترك فإن تبيّن له ما كره الله عز وجل جانبه بعقد ضمير قلبه وكفّ جوارحه عمّا كرهه الله عز وجل ومَنَع نفسه من الإمساك عن ترك الفرض وسارع إلى أدائه)[4].

«إنّ نفساً لا تُحاسب اليوم، حريٌّ أن يطول حسابها غداً نسأل الله أن يكفينا شر أنفسنا و محاسبة النفس بعد العمل على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي، إخلاصاً في العمل ونصيحة لله فيه ومتابعة للرسول ﷺ وشهود مشهد الإحسان وشهود منة الله عليه وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله فيحاسب نفسه هل وفّى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟ ويحاسبها على كل عمل كان تركه خيراً له من فعله.

---

(١) مات سنة ثمانين ومائة الثقات لابن حبان (٨/ ١٤٠) حلية الأولياء (٦/ ٢٤٠) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥٩).

(٢) أدب الدنيا والدين (٣٤٢) [نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم ٨/ ٣٣١٧].

(٣) مدارج السالكين ١/ ١٨٧.

(٤) التربية الذاتية من الكتاب والسنة لهاشم علي أحمد (٩٧).

ويحاسبها على الأمر المباح لم فعله وهل أراد به الله تعالى والدار الآخرة فيكون رابحاً أو أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به.

ويحاسبها على الفرائض فإن تذكر فيها نقصاً تداركه إما بقضاء أو إصلاح ويحاسبها على المناهي فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية.

ويحاسبها على الغفلة فإن كان قد غفل عما خُلق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى.

ويحاسبها بما تكلم به أو مشت به رجلاه أو بطشت يداه أو سمعته أذناه ماذا أرادت بهذا ولم فعلتُه؟ ولمن فعلته وعلى أي وجه فعلته ويعلم أنه لا بد أن ينشر لكل حركة وكلمة ديوانان: لمن فعلته؟ وكيف فعلتَه؟ فالأوّل: سؤال عن الإخلاص قال أبو الدرداء: «لا يفقه الرجل كلّ الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشدّ لها مقتاً»[1].

وقال مالك بن دينار: «رحم الله عبداً قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا؟ ألستِ صاحبة كذا؟ ثم ذمّها ثمّ خطمها ثم ألزمها كتاب الله عز وجل فكان لها قائداً»[2]، وقال الحسن في تفسير هذه الآية: «لا يُلْقَى المؤمن إلا يعاتب نفسه: ماذا أردتُ بكلمتي؟ ماذا أردتُ بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قُدُماً لا يعاتب نفسه»[3].

وقال أبو حامد الغزالي في (الإحياء) وهو يصف أرباب القلوب المنيبة وذوي البصائر الحيّة فيقول: (فَعَرف أربابُ البصائر من جملة العباد أنّ الله تعالى: لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويُطالبون بمثاقيل الذرّ من الخطرات واللّحظات وتحقّقوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطاء إلا لزوم

---

(١) الزهد للإمام أحمد (١٩٦).

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (٧٩).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢١ والزهد للإمام أحمد (٣٩٦).

المحاسبة وصدقُ المراقبة ومطالبةُ النّفْس في الأنفاس والحركات ومحاسبتُها في الخطرات واللحظات. فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفّ في القيامة حسابُه وحَضَرَ عند السؤال جوابُه وحسُن منقلبُه ومآبُه. ومن لم يحاسب نفسَه دامت حسراتُه وطالت في عرصات القيامة وقفاتُه وقادته إلى الخزي والمقت سيئاتُه)[1].

والثاني: سؤال عن المتابعة قال الله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾[2]، فإذا سئُل الصّادقون عن صدقهم وحوسبوا على صدقهم فما الظنّ بالكاذبين.

وفوائد محاسبة النفس كثيرة منها:

١ ـ الاطلاع على عيوب نفسه: ومن لم يطلع على عيوب نفسه لم يمكنه إزالتها قال يونس بن عبيد: «إني لأجد مائة خصلة من خصال الخير ما أعلم أنّ في نفسي منها واحدة».

٢ ـ وقال محمد بن واسع: لو كان للذنوب ريحٌ ما قدر أحد أن يجلس إليَّ.

وعن أبي الدرداء قال: «لا يفقه الرجل كلّ الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشدّ لها مقتاً».

٣ ـ أن يعرف حقّ الله تعالى عليه فإن ذلك يورثه مقت نفسه والإزراء عليها ويخلصه من العجب ورؤية العمل ويفتح له باب الخضوع والذلّ والانكسار بين يدي ربه واليأس من نفسه وأنّ النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته فإن من حقه أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا يُكفر»[3].

---

(١) الإحياء ٤/١١٨.

(٢) من الآية (٨) من سورة الأحزاب.

(٣) البحر الرائق في الزهد والرقائق لأحمد فريد (١٣٦-وما بعدها) بتصرف ط/ مكتبة الصحابة.

إثم أمراض القلوب وخطرات النفس:

أمراض القلوب وخطرات النفس كثيرة على رأسها النفاق والحسد والحقد والعجب والكبرياء والرياء والنجوى والوساوس وسوء التأويل لأقوال المسلمين وأعمالهم والأماني الضالةوحب الرئاسة والميل للإضرار بالخلق وإيثار الدنيا على الآخرة وهي كلها همّ وغمّ حزن وضائقة نفس في الدنيا ومحاسبة في الآخرة سواء ظهرت آثارها في تصرفات المرء وأقواله وأفعاله أم لم تظهر. قال ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»** البخاري ومسلم.

وقال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[1].

- ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[2].

ولئن استدل بعضهم على نسخ المحاسبة فإن مذهبهم ضعيف لأن في الآية وعد ووعيد وذلك لا يحتمل النسخ الذي يعدّ هنا خلفاً وبداء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. إلا أن من نفى النسخ اشترط للمحاسبة أن تكون خطرات النفس مصحوبة بالاعتقاد والعزم وبغير هذا تدخل في قوله ﷺ: **«إن ربكم رحيم من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عشر إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت واحدة أو يمحوها ولا يهلك على الله إلاّ هالك»** سنن الترمذي وسنن الدارمي والمعجم الكبير[3].

وليحاسب العبد نفسه على مظالم الناس قبل لا دينار ولا درهم فعندما شكا إليه ﷺ صحابي سوء تصرف فتيان لديه فيما روته عائشة رضي الله عنها قائلاً: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي

---

(١) من الآية (٢٢٥) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٨٤) من سورة البقرة.

(٣) الأخلاق والتزكية للشيخ أحمد فريد.

وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ ﷺ: «يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ، وَعَصَوْكَ، وَكَذَّبُوكَ، وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافاً لاَ لَكَ وَلاَ عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلاً لَكَ وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ، اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ» قَالَ فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾[1]. الآيَةَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلاَءِ شَيْئاً خَيْراً مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ ـ الترمذي وأحمد.

كما أنه ﷺ أعطى من نفسه القدوة فأبرأ ذمته من حقوق الخلق في مرض موته فيما رواه البخاري إذ خرج متكئا على الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى جلس على المنبر وكان مما خطب: «أما بعد أيها الناس إنه قد دنا مني خلوف من بين أظهركم ولن تروني في هذا المقام فيكم... فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخش الشحناء من قِبلي فإنها ليست من شأني...»[2].

وزن الخواطر بميزان الشرع:

قال الشيخ الفقيه الصالح أحمد بن رسلان الشافعي رحمه الله تعالى: في آخر «متن الزّبد»:

وزِنْ بوزن الشرع كلّ خاطر ... فإن يكن مأموره فبادر
وإن يكن مما نهيت عنه ... فهو من الشيطان فاحذرنه

وزن الخواطر التي تخطر على قلبك أيها السائر إلى ربك من فعل أو

---

(١) من الآية (٤٧) من سورة الأنبياء.

(٢) رواه البخاري.

ترك بميزان الشرع فهو شأن عظيم يجنب المرء المهالك والمعاطب، فإن لم تفعل توالدت وربّت غيرها من الأعمال والأفعال فيكون فيها حتفك وتلفك، وتضيع بذلك دنياك وآخرتك، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى دافع الخطرة فإن لم تفعل صارت فكرة فدافع الفكرة فإن لم تفعل صارت شهوة فحاربها فإن لم تفعل صارت عزيمة وهِمَّة. فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة! فيصعب عليك الانتقال عنه!!

ومبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات والتصورات تدعو إلى الإرادات والإرادات تقتضي وقوع الفعل وكثرة تكراره تعطي العادة. فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار وفسادها بفسادها. فصلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لوليها وإلهها صاعدة إليه دائرة على مرضاته ومحابه فإنه سبحانه به كل صلاح ومن عنده كل هدي وَمن توفيقه كل رشد ومن توليه لعبده كل حفظ ومن توليه وإعراضه عنه كل ضلال وشقاء...

واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر. فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل فتستحكم فتصير عادة فردها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها.

ومعلوم أنه لم يعط الإنسان أمانة الخواطر ولا القوة على قطعها فإنها تهجم عليه هجوم النفس إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه على قبول أحسنها ورضاه به ومساكنته له وعلى دفع أقبحها وكراهته له ونفرته منه كما قال الصحابة: «يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه ما إن يحترق حتى يصير حممة أحب إليه من أن يتكلم به فقال: **«أوقد وجدتموه؟»** قالوا: نعم قال: **«ذلك صريح الإيمان»**[1]، وفيه قولان:

أحدهما: أن رده وكراهته صريح الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم في باب الإيمان وأبو داود في كتاب الأدب.

والثاني: أن وجوده وإلقاء الشيطان له في النفس صريح الإيمان فإنه إنما ألقاه في النفس طلباً لمعارضة الإيمان وإزالته به.

وقد خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولا بد لها من شيء تطحنه فإن وضع فيها حب طحنته وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحبِّ الذي يوضع في الرَّحى ولا تبقى تلك الرَّحى معطلة قطُّ بل لا بد لها من شيء يوضع فيها فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره وأكثرهم يطحن رملاً وحصى وتبناً ونحو ذلك فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه[1].

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: «إنه يقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين: الكتاب والسنة»[2].

فهل وقف المدعون لتزكية أنفسهم وغيرهم عند هذا الكلام لعرض خواطرهم على ما يوافق الكتاب والسنة، أم أنها الأهواء تتجارى بصاحبها اللهم هداك.

رأس المال المحافظة على الفروض والنوافل ربح مبارك:

(وَيَحْفظُ الْمَفْرُوضَ رَأْسَ المالِ والنَّفْلَ رِبْحَهُ بِهِ يُوَالِي).

إن الله تبارك وتعالى: فرض علينا فروضا ونهانا عن تضييعها، وسنّ لنا رسوله ﷺ سننا من نوافل الخير ورغبنا فيها ليزداد العبد قربا من مولاه، فيجتبيه ويتولاه وقد صح عنه ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: **«إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينَّه ولئن**

---

(١) الفوائد لابن القيم (١٧٤) وعنه محقق رسالة المسترشدين أبو غدة (٤٦-٤٧).

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٤٨ ـ ٥٩ وما بعدها.

استعاذني لأعيذنَّه» والمراد بقوله عز وجل: كنت سمعه وبصره ويده ورجله يعني لا يسمع إلاَّ ما أحل الله ولا ينظر إلى ما حرَّم الله ولا تنال يده محرماً ولا يضرب أو يظلم بها أحداً ولا تمشي رجله وتسعى إلاَّ فيما يرضي الله ورسوله وليس المراد أنَّه يسمع بسمع الله وينظر بنظر الله كما يقول أصحاب عقيدة الحلول والاتحاد تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

فظهر بذلك فضل الفرائض على سائر الأعمال ثم تأتي النوافل جبراً لما انتقص منها، وقد جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله والورع عما حرم الله وصدق الرغبة فيما عند الله».

وإن الفرائض هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«إنَّ أوَّلَ ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال يقول ربنا ـ جل وعزّ ـ لملائكته وهو أعلم انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم».**

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل».

والنوافل في اللغة جمع نافلة وهي الزيادة، وفي الشرع: الاجتهاد في فعل النوافل، الزائدة عن الفرائض.

وإن أفضل ما تقرب به المتقربون لله رب العالمين بعد أداء الفرائض هو فعل النوافل، فالسابقون إلى الخيرات، الفائزون بجميع المكرمات، والحَالُّون أعلى الدّرجات، هم المؤدّون للواجبات، المتقربون بالنوافل، والمندوبات، الممتنعون عن الشبه والمكروهات دعك عن الكبائر والمحرمات.

أما المقتصدون فهم المؤدون للواجبات المنتهون عن المحرمات، فإن كنت راغباً في تلك الدرجات وعازماً على نيلها فاحذر أشد الحذر من التهاون في المندوبات المفضي إلى ترك الواجبات والتساهل في اقتراف

المكروهات والقرب من الشبهات الباعث على فعل المحرمات.

ومن تأمل ديننا، وهدي نبينا ﷺ وجد أن أغلبه نوافل الخير والتطوعات ولو عُدَّتِ الفرائض لأحصيت، ولو حاولتَ عدّ نوافل الطاعات لعجزتَ عن الإحصاء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في بيان أن أولياء الله على درجتين: مقتصدين وكمّل: «أحدهما: المتقربون إليه بأداء الفرائض وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين وأداء الفرائض أفضل الأعمال كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله والورع عما حرَّم الله وصدق النية فيما عند الله عز وجل؛ وقال عمر بن عبدالعزيز في خطبته: أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم وذلك أن الله عز وجل إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه ويوجب لهم رضوانه ورحمته».

وأعظم الفرائض هي:

١. الصلوات الخمس وأداؤها للرجال مع جماعة المسلمين بخشوع وخضوع واطمئنان.

٢. صوم رمضان.

٣. إخراج الزكاة الواجبة.

٤. تحكيم شرع الله في الرعية.

٥. عدل الراعي في رعيته.

٦. الجهاد في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن وجب عليهم.

٧. برّ الوالدين وصلة الرّحم والإحسان إلى الجيران.

٨. تعلّم ما يجب على المرء تعلمه مما يجب عليه نحو ربه ورسوله ومعرفة الحلال والحرام والتمييز بين السنة والبدعة.

أما الدرجة الثانية وهي درجة الأولياء الكمّل فقال عنها ابن رجب: «درجة السابقين المقرّبين وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض الاجتهاد في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب للعبد محبة الله».

وأفضل النوافل:

١ ـ السنن الرواتب قبل وبعد الصلوات المكتوبات فقد صح عنه: «أنّ أول ما يحاسب به العبد بعد موته صلاته فإن صلحت فقد فاز ونجح وإن فسدت فقد خاب وخسرثم ينادي المولى عزّ وجل: هل لعبدي من نوافل ليتمّ به ما انتقض من صلاته؛ وهكذا سائر العبادات أوكما قال وصح عنه ﷺ أنه قال: **«إذا مرض العبد أو سافر كُتب له من الأجر ما كان يعمله وهو صحيح مقيم»**[1].

٢ ـ قيام الليل والنفل المطلق والمقيد كصلاة الضحى ونحوها.

٣ ـ التطوع بصيام الأيام التي نُدِبَ صيامها كيوم عرفة وعاشوراء والخميس والاثنين والثلاثة البيض وستة شوال ونحوها.

٤ ـ الإكثار من تلاوة القرآن وسماعه بتفكر وتدبر بالنظر ومن الحفظ فأشراف هذه الأمة حملة القرآن وأصحاب الليل.

قال خباب بن الأرت رضي الله عنه لرجل: «تقرب إلى الله ما استطعت واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه» وتلاوة القرآن أجرها مضاعف وثوابها زائد فكل حرف بحسنة والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله كما قال ﷺ: **«لا أقول «ألم» حرف ولكن: ألف حرف ولام حرف وميم حرف»**[2]، الحديث.

٥ ـ الإكثار من الذكر باللسان مع حضور القلب فلا يزال لسانك أخي

---

(١) رواه البخاري (٦/ ١٣٦) الجهاد، وأبو داود (٣٠٧٥) الجنائز.

(٢) الترمذي ٥/ ٧٥ ح ٢٩١٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥/ ٣٤٥ ح ٦٣٤٥.

الحبيب رطباً بذكر الله فقد أثنى الله عز وجل على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

وعليك بالأذكار الصحيحة الثابتة واحذر الأوراد والأذكار البدعية التي وضعها بعض المشايخ لأتباعهم ففي الصحيح غنىً وكفاية، ومن لم يسعه ما وسع رسولَ الله ﷺ وصحبه الكرام والسلف العظام فلا وسَّع الله عليه.

٦ ـ الإكثار من صدقة التطوع بالإحسان إلى الأقارب والجيران والفقراء والمحتاجين والمرضى والمعوزين وأفضل الصدقة ما دام نفعه وتعدى خيره.

٧ ـ تعليم المسلمين والذب عن السنة والحذر من البدعة من أجَلِّ القربات وقد فضلها مالك والشافعي وغيرهما على نوافل الصيام والقيام وغيرهما.

٨ ـ الشفاعة الحسنة وقضاء حوائج الناس.

٩ ـ محبة العلماء والأولياء والصالحين والذّبّ عنهم.

١٠ ـ التعاون على البرّ والتقوى في أي مجال من المجالات.

١١ ـ النصح لله ولرسوله ولكتابه ولسنته ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

الأعمال لا تحصى كثرة وفيما ذكرنا غنى عما أغفلنا وكل ميسر لما خُلِق له ومن الناس من يفتح لهم في كل المجالات كحال أبي بكر الصديق ومنهم من يفتح لهم في بعضها دون بعض والمحروم من حُرم أي باب من أبواب الخير مع كثرتها وسهولتها ويسر بعضها.

واعلم أخي الكريم أن الممتنع عن أداء الرواتب والسنن بالكلية المصر على ذلك غير التارك لها في بعض الأحيان فاسق لا تقبل شهادته كما قرر ذلك أهل العلم فاحذر من التهاون في السنن النبوية.

الذكر آدابه وأنواعه:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: في كتابه زاد المعاد: «فَصْلٌ فِي هَدْيِهِ ﷺ فِي الذِّكْرِ».

كَانَ النَّبِيّ ﷺ أَكْمَلَ الْخَلْقِ ذِكْراً لِلّهِ عَزّ وَجَلّ، بَلْ كَانَ كَلاَمُهُ كُلّهُ فِي ذِكْرِ اللّهِ وَمَا وَالاَهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَتَشْرِيعُهُ لِلأُمّةِ ذِكْراً مِنْهُ لِلّهِ وَإِخْبَارُهُ عَنْ أَسْمَاءِ الرّبّ وَصِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ وَأَفْعَالِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ذِكْراً مِنْهُ لَهُ، وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِآلاَئِهِ وَتَمْجِيدُهُ وَحَمْدُهُ وَتَسْبِيحُهُ ذِكْراً مِنْهُ لَهُ، وَسُؤَالُهُ وَدُعَاؤُهُ إِيّاهُ وَرَغْبَتُهُ وَرَهْبَتُهُ ذِكْراً مِنْهُ لَهُ، وَسُكُوتُهُ وَصَمْتُهُ ذِكْراً مِنْهُ لَهُ بِقَلْبِهِ فَكَانَ ذَاكِراً لِلّهِ فِي كُلّ أَحْيَانِهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَكَانَ ذِكْرُهُ لِلّهِ يَجْرِي مَعَ أَنْفَاسِهِ قَائِماً وَقَاعِداً وَعَلَى جَنْبِهِ وَفِي مَشْيِهِ وَرُكُوبِهِ وَمَسِيرِهِ وَنُزُولِهِ وَظَعْنِهِ وَإِقَامَتِهِ[1].

الذكر يدل على مدى تعلق الذاكر بالمذكور، في سائر الأوقات وشتى الحالات، منشطاً ومكرهاً، عسراً ويسراً ضيقاً وفرجاً، خلوة وجلوة، وقد قال الحكماء: من أحبّ شيئاً لهج بذكره، وهذا عنترة الشاعر الجاهلي لما تعلق قلبه بمعشوقته لهج بذكرها في موقف تتطاير فيه الرؤوس، فقال:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

وشتان بين ذكر وذكر، فالذاكرون لله لا ينسيهم تقلب الأحوال ذكر ذي العزة والجلال فهم الواصلون بقلوبهم، اللاهجون بألسنتهم، المستجيبون لأمر ربهم ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[3]، فالذكر ضده الغفلة، والغفلة زاد المفلسين. ولقد أمر المؤمنين بكثرة ذكره فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[4].

وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٧).

(٢) الآية (١٥٢) من سورة البقرة.

(٣) الآية (٢٠٥) من سورة الأعراف.

(٤) الآيتان (٤١-٤٢) من سورة الأحزاب.

وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

والذاكرون الله كثيراً هم الذين يذكرون الله في كل حال كما قال ربنا: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[3].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه». رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمرّ على جبل يقال له جمدان فقال: «سيروا هذا جمدان سبق المُفَرِّدون».

قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» رواه مسلم.

قال ابن عباس: الذّاكرون الله كثيراً والذاكرات يذكرون الله في أدبار الصلوات وغدواً وعشياً أي صباحاً ومساءً وفي المضاجع أي عند النوم وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا أو راح من منزله أي في دخوله وخروجه والمعنى أنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم.

وقال ابن الصلاح: إذا واظب المسلم على الأذكار المأثورة الثابتة صباحاً ومساءً وفي الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات. وفي الحديث الذي رواه الأربعة إلا الترمذي **«إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين جميعاً كُتِبَا في الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»** ذكر ذلك النووي في الأذكار.

---

(١) من الآية (٢١) من سورة الأحزاب.
(٢) من الآية (٣٥) من سورة الأحزاب.
(٣) آل عمران: ١٩١.

وروى ابن ماجه عن عبدالله بن بُسر رضي الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأنبئني منها بشيء أتشبث به قال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل**». وصححه الألباني.

فما أعظم أخي المسلم وما أيسر أن تكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وأن يبقى لسانك وقلبك وظاهرك وباطنك على هذا الذكر فلا تغفل عن الله طرفة عين.

وقد ورد في فضل الذكر آيات وأحاديث كثيرة يطول المقال بذكرها منها ما رواه ابن ماجه والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**».

قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله[1].

وقال مالك بلغني أن عيسى ابن مريم كان يقول: «**لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية**»[2].

حضور الملائكة مجالس الذكر:

والملائكة يتتبعون الذاكرين ويحرصون على مجالس الذكر كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضلاً يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر**

---

(١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وقال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٦٢٩ في صحيح الجامع.

(٢) رواه مالك في الموطأ.

قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال: وماذا يسألونني؟ قالوا: يسألونك جنّتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي ربّ. قال: فكيف لو رأوا جنّتي؟

قالوا: ويستجيرونك. قال: وممّ يستجيرونني؟

قالوا: من نارك يا ربّ.

قال: وهل رأوا ناري؟

قالوا: لا.

قال: فكيف لو رأوا ناري؟

قالوا: ويستغفرونك.

قال: فيقول: قد غفرتُ لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا.

قال: يقولون: رب فيهم فلانٌ عبدٌ خطاء إنما مَرَّ فجلس معهم.

قال: فيقول: وله غفرت هُم القومُ لا يشقى بهم جليسهم». رواه مسلم.

فتأمل أخي المسلم هذه المحاورة بين الله عز وجل وبين الملائكة وفكر في قول الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ وفي قوله في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». رواه البخاري وقوله: «أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه». صحيح ابن ماجه، وسل نفسك هل أنت مع ربك وهل تحب أن يكون الله معك، وأن يذكرك في الملأ الأعلى من الملائكة،

أم تريد أن تعرض عن الله وأن ترضى بملازمة الشياطين ومصاحبتهم أعاذنا الله منهم.

ذكر الله عزّ وجلّ عصمة من الشيطان ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[1].

فيا من يشكو من مس الشيطان، ومن وسوسة الشيطان، أين أنت من ذكر الله ومعية الرحمن؟

وذكر الله عز وجل في الجملة يحمي من الشيطان الرجيم وفي الحديث الذي رواه الترمذي وأحمد عن الحارث الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ فذكر أمرهم بالتوحيد والصلاة والصوم والصدقة**»، ثم ذكر الخامسة وهي ذكر الله عز وجل فقال: «**وآمركم أن تذكروا الله عز وجل فإن مثل ذلك كمثل رجلٍ خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله عز وجل**». قال ابن القيم: فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه عن ذكر الله عز وجل وأن لا يزال لهجاً بذكره سبحانه فإن العبد لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكرولا يدخل عليه عدوه إلا من باب الغفلة فهو يرصد العبد ويتربص به فإذا غفل العبد وثب عليه وافترسه فإذا ذكر العبد ربه انخنس عدوّ الله وتصاغر حتى يكون كالذباب ولهذا سماه المولى تبارك وتعالى: الوسواس الخناس لأنه يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس وكف وانقبض وتصاغر ولا يتسلط إلا على من عجز عن ذكر ربه من أولياء الشيطان الضالين المضلين.

وقد روى أحمد في مسنده عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: كنتُ رديف النبي ﷺ على حمار فعثر الحمار فقلت: تعِسَ الشيطان.

قال النبي ﷺ: «**لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان**

---

(١) الآية (٣٦) من سورة الزخرف.

تعاظم في نفسه وقال: صرعته بقوتي، فإذا قلت: بسم الله تصاغرت إليه نفسه حتى تكون أصغر من الذباب»[1].

وقد رُويَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إن الشيطان إذا لُعن ضحك، وإذا تُعوذ منه هرب.

وقال ابن عباس: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله تعالى: خنس[2].

فالغفلة عن ذكر الله عز وجل موات للقلوب.

وقد قال سيد الذاكرين ﷺ: **«ومثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»**. متفق عليه.

واعلم أخي المسلم أن الغفلة عن ذكر الله تورث قسوة القلب في صدأ القلب ويغلفه الران حتى يصبح الغافل على شفا جرف هار ينهار به في أتون النفاق المفضي إلى الدرك الأسفل من النار ولا ينقذنا من هذه الهاوية إلا الله عز وجل نحتمي به ونعتصم به من الضلالة.

وَذِكْرُ الله عز وجل أمان من النِّفاق لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً كما قال ربنا عز وجل.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[3].

لأجل هذا ختم المولى تبارك وتعالى سورة «المنافقون» بالتحذير من الغفلة عن ذكر الله عز وجل مخالفةً لسبيل المنافقين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) رواه أبو داود والنسائي والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد، وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم.

(٣) من الآية (١٤٢) من سورة النساء.

هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾[1].

واحذر من مخالطة الغافلين الذين طبع على قلوبهم، وابتعدوا عن ذكر الله، فإنه السّمّ الذي ليس له دواء إلا الفرار إلى ذكر الله قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[2].

قال ابن القيم رحمه الله: «إنّ في القلب شعثاً لا يلمّه إلاّ الإقبال على الله، وعليه وحشة لا يزيلها إلاّ الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلاّ الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة لا يسدّها إلاّ محبته ودوام ذكره، والإخلاص له ولو أعطي الدنيا لم تُسدّ تلك الفاقة».اهـ.

قال الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله تعالى: في التمهيد: عن سمي مولى أبي بكر بن عبدالرحمان عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»** هذا من أحسن حديث يروى عن النبي ﷺ في فضائل الذكر. والآثار في هذا الباب كثيرة جداً بمعان متقاربة وبركاتها وفائدة العمل بها[3]، ورحم الله الشعبي حيث قال: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به.

وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني امرأة قد ثقلت فعلمني شيئاً أقوله وأنا جالسة، قال قولي: **«الله أكبر مائة مرة فهو خير لك من مائة بدنة متجلّلة متقبلة، وقولي سبحان الله مائة مرة فهو خير لك من مائة فرس**

---

(١) من الآية (٩) من سورة المنافقون.

(٢) من الآية (٢٨) من سورة الكهف.

(٣) وإن أردت المزيد من معرفة فوائد الذكر فعليك بكتاب الوابل الصيب لابن القيم رحمه الله تعالى فقد استوفى فيه ذلك أيما استيفاء.

مسرجة ملجمة تحملها في سبيل الله، وقولي الحمد لله مائة مرة فهو خير من مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، وقولي لا إله إلا الله مائة مرة لا تذر ذنبا ولا يشبهها عمل» رواه أحمد بإسناد حسن واللفظ له والنسائي ولم يقل ولا يرفع إلى آخره والبيهقي بتمامه.

مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»** ففي هذا الحديث دليل على أن الذكر أفضل الأعمال ألا ترى أن هذا الكلام إذا قيل مائة مرة يعدل عشر رقاب إلى ما ذكر فيه من الحسنات ومحو السيئات وهذا أمر كثير فسبحان المتفضل المنعم لا إله إلا هو العليم الخبير.

ومن هذا الباب على ما قلنا قول أبي الدرداء رضي الله عنه «ألا أدلكم أو أخبركم بخير أعمالكم وأرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير من كثير من الصدقة والصوم وخير من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا: بلى! قال ذكر الله[1]، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله. وقالوا: ذكر الله خير من حطم السيوف في سبيل الله... فحسبك بما في الكتاب والسنة من فضل الذكر. اهـ[2].

الاستعانة بالله في كلّ الأمور:

(وَالْعَونُ فِي جَمِيعِ ذَا بِرَبِّهِ) الاستعانة: هي طلب العون. يقال: استعنت بفلانٍ فأعانني وعاونني وفي الحديث: **«اللّهمّ إنّا نستعينك ونستغفرك»**[3].

---

(١) لأنه من رواية مالك في الموطأ موقوفا.

(٢) التمهيد للحافظ ابن عبدالبر رحمه الله تعالى.

(٣) رواه البيهقي موقوفاً على عمر رضي الله عنه (٣١٤٣) ـ بزيادة فيه ـ والطحاوي في معاني الآثار (١/ ٢٤٩).

إن طلب العون من الله واللّياذَ به سبحانه في كلِّ الأمور، دليل على تعلق العبد بالربّ جلّ جلاله، ولا يصح إيمان عبد وعبادته إلا إذا استعان به تعالى على الثبات والاستمرار ولعل من الحكم العظيمة هي أنّ الله فرض علينا أن نقرأ سورة الفاتحة، ونرددها في صلواتنا لنستشعر الأنس بالله وطلب إعانته قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وعلى العبد أن يقدم على أموره مستعينا بالله ويدع العجز والتواني فقد جاء عن المصطفى ﷺ أنه قال: «**استعن بالله ولا تعجز**»[1].

والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله والاعتماد عليه، فإنّ العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنّه غير واثق به[2].

كما أنّ المصطفى ﷺ أرشد المسلم الذي رضي بالله ربًّا أن يستعين به في كل أحواله فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تُجَاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك بشيء إلاّ قد كتبه الله عليك رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[3].

قال أبو فراس:

إذا كان غير الله للمرء عدّةً ... أتته الرّزايا من وجوه الفوائد

وقال آخر:

إذا كان عون الله للمرء خادماً ... تهيأ له من كل صعب مراده

---

(١) أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مدارج السالكين فصل وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب.

(٣) رواه أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه وصححه الألباني: انظر حديث رقم: ٧٩٥٧ في صحيح الجامع.

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

المجاهدة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[1].

قال في مختصر منهاج القاصدين نقلاً عن ابن الجوزي[2]: وهو أنه إذا حاسب نفسه فينبغي إذا رآها قد قارفت معصية أن يعاقبها كما سبق فإن رآها تتوانى بحكم الكسل بشيء من الفضائل أو وِرْدٍ من الأوراد فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها كما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه فاتته صلاة في جماعة فأحيا الليل كله تلك الليلة وإذا لم تطاوعه نفسه على الأوراد فإنه يجاهدها ويكرهها ما استطاع.

وقال ابن المبارك: إن الصالحين كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً وإن أنفسنا لا تواتينا إلا كرهاً.

نماذج من مجاهدة السلف لأنفسهم

ومما يستعان به عليها أن يسمعها أخبار المجتهدين وما ورد في فضلهم ويصحب من يقدر عليه منهم فيقتدي بأفعاله.

قال بعضهم: كنت إذا اعترتني فترة في العبادة نظرت إلى وجه محمد بن واسع وإلى اجتهاده؟ فعملت على ذلك أسبوعاً.

وقد كان عامر بن عبد قيس يصلّى كل يوم ألف ركعة.

وكان الأسود بن يزيد يصوم حتى يخضر ويصفر، وحجّ مسروق فما نام إلاّ ساجداً، وكان داود الطائي يشرب الفَتِيتَ مكان الخبز ويقرأ بينهما خمسين آية، وكان كُرْزُ بْنُ وَبْرَةَ يختم كلّ يوم ثلاث ختمات، وكان عمر بن عبدالعزيز وفتحُ الموصلي يبكيان الدم، وصلّى أربعون نفساً من القدماء الفجر بوضوء العتمة، وجاور أبو محمد الحريري سنة فلم ينم ولم يتكلّم

---

(١) الآية (٦٩) من سورة العنكبوت.

(٢) ص(٣٧٩) ط/ دار الخير.

ولم يستند إلى حائط ولم يمدّ رجله فقال له أبو بكر الكتاني: بم قدرت على هذا؟ قال: عِلم صدق باطني فأعانني على ظاهري.

ودخلوا على زحلة العابدة فكلموها بالرفق بنفسها فقالت: إنما هي أيام مبادرة فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غداً والله يا إخوتاه! لأصلين لله ما أقلتني جوارحي ولأصومن له في أيام حياتي ولأبكين ما حملت الماء عيناي.

ومن أراد أن ينظر في سير القوم ويتفرج في بساتين مجاهداتهم فلينظر في كتابي المسمى بـ «صفة الصفوة» فإنه يرى من أخبار القوم ما يعد نفسه بالإضافة إليهم من الموتى بل من أخبار المتعبدات من النسوة ما يحتقر نفسه عند سماعه»[1].

مقامات اليقين

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَيَتَحَلَّى بِمَقَامَاتِ الْيَقِينْ ..... خَوْفٌ رَجَا شُكْرٌ وَصَبْرٌ تَوْبَهْ زُهْدٌ تَوَكُّلٌ رِضاً مَحَبَّهْ يَصْدُقُ شَاهِدَهُ فِي الْمُعَامَلَهْ يَرْضَى بِمَا قَدَّرَهُ الإِلَهُ لَهْ يَصِيرُ عِنْدَ ذَاكَ عَارِفاً بِهِ حُرّاً وَغَيْرُهُ خَلاَ مِنْ قَلْبِهِ فَحَبَّهُ الإِلَهُ وَاصْطَفَاهُ لِحَضْرَةِ الْقُدُّوسِ وَاجْتَبَاهُ

شرح الأبيات:

مقامات اليقين: **الخوف، الرَجَاء، والشُكْر، والصَبْر، والتَوْبَة والزّهد والتَوَكّل، والرّضا، والمَحَبَّة.**

مقام اليقين: لليقين بالله مقامات عظيمة تغرس في قلب المؤمن إيماناً لا تزعزعه رياح الشّك والشبهات، ولا توهنه المحن والابتلاءات بل كلّما ازداد صاحبه غُرما في جنبه ازداد غنماً ورفعاً في الدرجات، وتحققت له الإمامة بشهادة ربّ الأرض والسماوات قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

(١) أعلام النساء لابن الأثير.

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1]، فبهما تنال الإمامة في الدين، وعليهما ترسو سفينة التمكين، وتشتد حبال المتقين، ولهذا يقول سفيان رحمه الله: «أخذوا برأس الأمر فجعلهم رؤساء على الناس أئمة لهم».

ولقد بلغ أنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه المقام الأسمى في اليقين، وهكذا من صحبهم أو سار في ركبهم فهذا خليل الرحمن يخبر عنه ربه أنه نبذ كل ما سوى الله تعالى: وامتلأ قلبه إيماناً ويقيناً ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾[2]، فإبراهيم عليه السلام كان مؤمناً بدليل أنه قال في الآيات قبلها: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾[3]، فهذه الآية في الدرجة التي قبل اليقين فهو مؤمن وقد حكم على أبيه وعلى قومه بالضلال؛ لكونهم يعبدون غير الله تبارك وتعالى لكن الله أراد أن يزيده إيماناً بهذا وأن يجعله من الموقنين.

وإن من أحب الأعمال إلى الله ألا يكون في قلب العبد تردد نحو إيمانه بربه ولا ارتياب، ولهذا يقول النبي ﷺ: «**أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل إيمان لا ريب فيه أو لا شك فيه**»[4]، فهذا هو أحبّ عمل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقال بعد ذلك «وجهاد لا غلول فيه والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، واليقين الإيمان الكامل كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما علقه البخاري: «الصبر شطر الإيمان واليقين الإيمان كلّه».

إن اليقين إذا خالط القلب وامتزج نوره بنبضاته، صار المستحيل جائزاً لأن العبد حينذاك صارت معية الله له عونا على كلّ شيء ودرعاً من كل مكروه، ولما وصل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله

---

(١) من الآية (٢٤) من سورة السجدة.

(٢) من الآية (٧٥) من سورة الأنعام.

(٣) من الآية (٧٤) من سورة الأنعام.

(٤) في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند.

عليهم إلى تلك القمّة السّامقة صاروا يَتحدَّوْن أعداءهم بما يظنّ أولئك أنه نهاية لهم، فإذا بالمعجزة تحصل، وإذ بالكرامة تتحقّق، فينقلب كفر الكافرين إيماناً لما رأوه من إعجاز وتحدّ لا يمكن إلا أن يكون صاحبه مؤيداً من قوة خارقة.

فهناك قصص عظيمة وعجيبة تضرب بها المُثُل الصادقة ليقين الصحابة وتعلقهم بالله، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يقتحم المعارك ويقاتل موقناً بما وعد الله وبنصر الله وأنه إن مات فهو شهيد فهذا أمر ليس غريباً على الصحابة رضي الله عنه لكن أن يشرب السمّ ليفحم أعداء الله فذاك شيء آخر وذلك لما قالوا: إن كان نبيك ودينه على الحقّ فاشرب هذا السمّ فلو قال: لا، فأين اليقين فشربه فحفظه الله من ذلك.

وكذلك في قصة وفاة معاذ رضي الله عنه وهي أيضاً قصة صحيحة رواها الإمام أحمد رضي الله عنه بسند ثلاثي صحيح عن جابر رضي الله عنه يقول: «أنا ممن حضر معاذاً رضي الله عنه عند موته قال: ارفعوا عني سجف القبة ـ طرف القبة ليخاطب الناس ـ ارفعوا عني أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ما منعني أن أحدثكم به إلا أن تتكلوا سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من شهد أن لا إله إلا الله موقناً بها من قلبه دخل الجنة»**[1]، وقال في رواية: **«حرم على النار من شهد أن لا إله إلا الله موقناً بها من قلبه»**[2].

وانظر إلى يقين الصحابة والتابعين فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «لو رأيت الجنة والنار ما ازددت يقيناً لأني رأيتهما بعيني رسول الله ﷺ الذي قال فيه ربه: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾[3].

---

(١) رواه أبو داود وقال الألباني صحيح سنن أبي داود (٣/١٩٠) رقم :(٣١١٦).

(٢) رواه أحمد وابن ماجة من حديث أنس رضي الله عنه قال الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم: ٧٩٦٧ في صحيح الجامع.

(٣) من الآية (١٧) من سورة النجم.

وكذلك هناك مثال آخر: أبو بكر رضي الله عنه حين أتاه كفار قريش وقالوا له: إن صاحبك قد كان يزعم ويزعم أما الآن فقد جاء بأمر عجيب وما نظنك إلا تكذبه قال: ما هو؟ فقالوا له: يزعم أنه أسري به فقال: «إن كان قاله فقد صدق» فشرط يقينه بصحة الخبر وغير ذلك كعبدالله بن رواحة رضي الله عنه القائل:

يا حبذا الجنةُ واقترابها ... طيبةٌ وباردٌ شرابها
والرُّوم روم قد دنا عذابها ... علي إن لاقيتها ضِرَابُها

وكان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأُسُد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بَنِيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: **«أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك»**. وقال لبنيه: **«ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة»**. فخرج معه فقتل يوم أحد شهيداً[1]، فيقينه في الجنة وهو في المعركة وقت المعمعة؛ حيث تخفق القلوب، وتتزلزل الأقدام، يقين الصادقين المقبلين على رب العالمين.

وهذا عمير بن الحمام القائل: «بخٍ بخٍ ليس بيني وبين أن أدخل الجنة إلا هذه التميرات» وهذا أنس بن النضر يقول: «والله إني لأجد ريح الجنة من دون أحد» فهم يرون كأن عالم الغيب أصبح أمامهم عالم شهادة.

وهذا عامر بن عبد القيس رضي الله عنه حيث يقول فيما أثر عنه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»؛ فهكذا يبلغ اليقين في أصحابه وهذا هو اليقين الذي يمحو كل شبهة ويطفئ كل شهوة فيصبح الإنسان ذا قلب أجرد أزهر يتلألأ نوراً بما نوره الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه البيهقي في سننه (١٨٢٧٦) قال الألباني: صحيح بشواهده تخريج أحاديث فقه السيرة للغزالي ص(٢٦٠) ط/دار القلم ـ دمشق ١٩٩٨م.

الخوف[1]: سوط الله يسوق به عباده إلى العلم والعمل لينالوا بهما القرب من الله تعالى وهو عبارة عن: تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[2].

وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ فقال: «**لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ألا يتقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات**»[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً**» فغط أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين وفي رواية: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: «**عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم من الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**» فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم خنين»[4].

---

(١) البحر الرائق في الزهد والرقائق ص(٢١٩) ولخصها من :إحياء علوم الدين، ومدارج السالكين ورياض الصالحين، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.

(٢) الآيات (٥٧ - ٦١) من سورة آل عمران.

(٣) رواه الترمذي (١٢/ ٤) التفسير وابن ماجه (٤١٩٨) والحاكم (٢/ ٣٩٤) التفسير وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وفي سنده انقطاع وله شاهد عند ابن جرير وانظر جامع الأصول (٢/ ٢٥٤) وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (١١/ ٣١٩) الرقاق والترمذي (٩/ ١٢٤) الزهد. والخنين: هو البكاء مع غنة بانتشار الصوت من الأنف.

ومعنى الحديث: لو أنكم علمتم ما أعلمه من عظمة الله عز وجل وانتقامه ممن يعصيه لطال بكاؤكم وحزنكم وخوفكم مما ينتظركم ولما ضحكتم أصلاً فالقليل هنا بمعنى المعدوم وهو مفهوم من السياق.

وروت السيدة عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان إذا تغيّر الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير ويتردّد في الحجرة ويدخل ويخرج كلّ ذلك خوفاً من عذاب الله»[1].

والخوف هو الذي يكفّ الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات.

والخوف القاصر يدعو إلى الغفلة والجرأة على الذنب والإفراط في الخوف يدعو إلى اليأس والقنوط.

والخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعاً أو بحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون تكون قوة خوفه.

فأخوف النّاس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال ﷺ: **«والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»**[2].

وقيل للإمام الشعبي: يا عالم: قال إنما العالم من يخشى الله وذلك لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار جهلاً».

ولذلك قيل: ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه بل من يترك ما

---

(١) رواه البخاري (٦/٣٤٧) بدء الخلق بمعناه ومسلم (٦/١٩٦) الاستسقاء.

(٢) رواه البخاري (١٠/٥١٣) الأدب ومسلم (١٥/١٠٦) الفضائل وأحمد (٦/٤٥، ١٨١).

(٣) من الآية (٢٨) من سورة فاطر.

يخاف أن يعاقب عليه، وقيل لذي النون المصري: متى يكون العبد خائفاً؟ قال: «إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام».

وقال أبو القاسم الحكيم: «من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب إليه».

وقال الفضيل بن عياض: «إذا قيل لك: هل تخاف الله فاسكت، فإنك إن قلت: نعم كذبت، وإن قلت: لا كفرت».

والخوف يحرق الشهوات المحرمة فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً فتحرق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الخضوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخلب سبع ضار، لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلك فيكون بظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره فهذا حال من غلبه الخوف.

فضيلة الخوف:

جمع الله عز وجلّ لأهل الخوف والهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: من الآية ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: من الآية ٨].

وقد أمر الله عز وجل بالخوف وجعله شرطاً في الإيمان، فقال عز وجل: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٧٥].

فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه.

وقال رسول الله ﷺ: **«إن رجلاً حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً وأوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوماً راحاً** (أي شديد الريح) **فاذروه في اليم ففعلوا فجمعه الله فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له»**[1].

قال عليه الصلاة والسلام: **«لا يلج النار أحد يبكي من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع»**[2].

قال الفضيل بن عياض: «من خاف الله دلّه الخوف على كل خير».

وقال يحيى بن معاذ: «ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقها جنتان: خوف العقاب ورجاء العفو».

وقال الحسن البصري: «إن المؤمنين قوم ذلت منهم ـ والله ـ الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وإنهم والله الأصحاء ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن أما ـ والله ـ ما أحزنهم ما أحزن الناس ولا تعاظم في قلوبهم شيء طلبوا به الجنة إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله عليه نعمة في غير مطعم أو شرب فقد قل علمه وحضر عذابه».

الأخبار في الخوف:

روى عبدالله بن الشخير: «أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل في الصلاة

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٤٩٤) أحاديث الأنبياء ومسلم (١٧/ ٧٠) والنسائي (٤/ ١١٣) الجنائز وابن ماجه (٣٤٣٢) الزهد وأحمد (٢/ ٢٦٩).

(٢) رواه الترمذي (٧/ ١٣٠) فضائل الجهاد وقال: هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني.

يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل»[1].

ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من الصالحين من سلف هذه الأمة، وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط والأمن.

فهذا الصديق رضي الله عنه يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ سورة الطور حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [الطور: الآية ٧]. بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه وقال لابنه وهو يموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه يرحمني ثم قال: ويل أمي إن لم يغفر لي ـ ثلاثاً ـ ثم قضى وكان يمر بالآية في ورده تخيفه بالله فيبقى في البيت أياماً يعاد يحسبونه مريضاً وكان في وجهه خطان أسودان من كثرة البكاء.

وقال له ابن عباس: «مصّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح وفعل» فقال: «وددت أن أنجو لا أجر ولا وزر».

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته قال: «لو أنني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما أصير لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير».

---

(١) رواه أبو داود (٨٩٠) الصلاة بلفظ الرحى والنسائي (٣/ ١٣) والسهو وأحمد (٤/ ٢٥، ٢٦) وصححه الألباني وقال السيوطي: «أزيز»: أي خنين من الجوف وهو صوت البكاء وهو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء: كأزيز المرجل وهو بالكسر: الإناء الذي يغلي فيه الماء سواء كان من حديد أو صفيح، أو حجارة أو خزف ـ هامش (٣/ ١٣) النسائي.

وقال في المرقاة: وفي الحديث دليل على أن البكاء لا يبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا واستدل على جواز البكاء في الصلاة بقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾ [مريم ٥٨]. عون المعبود (٣/ ١٧٣).

وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه كان يقول: «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل».

وكان ابن عباس رضي الله عنه أسفل عينيه مثل الشراك البالي من كثرة الدموع.

وقال عليّ رضي الله عنه بعد أن سلّم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده: «لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فلم أر اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً، صفراً، غبراً، بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم بالدموع حتى تبتل ثيابهم والله فكأني بالقوم باتوا غافلين». ثم قام فما رُؤي بعد ذلك ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم.

وقال موسى بن مسعود: «كنا إذا جلسنا إلى سفيان كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه».

ووصف أحدهم الحسن فقال: «كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه وإذا جلس فكأنه أَسِيرٌ أُمِرَ بقطع رقبته وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له.

ورُوي أن زرارة بن أبي أوفى صلّى بالناس الفجر بسورة المدثر فلما قرأ قوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾[1]. أخذته شهقة فمات.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: «ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده: لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلّى حتّى ينكسر صلبه».

---

(١) الآيتان من سورة المدثر: (٨-٩).

وقال أبو سليمان الداراني الإمام الكبير زاهد عصره قال: أفضل الأعمال خلاف هوى النفس. وقال: لكل شيء علم وعلم الخذلان ترك البكاء ولكل شيء صدأ وصدأ القلب الشبع[1].

قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثور منحور أو بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد منا أن يسأله عن شيء إلا دفعه[2].

وأخبار السلف لا تنقضي في جانب الخوف والبكاء.

مقام الرجاء[3]:

هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده.

ومن رجا الله تعالى هيأ له الأسباب للدخول في مغفرته ورحمته، وإذا كانت الأسباب غير موجودة فاسم الغرور والحمق عليه أصدق، وإذا كان الأمر مقطوعاً فلا يسمى رجاء إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس ولا يمكن أن يقال: أرجو نزول المطر.

وقد علم علماء القلوب: أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذور فيها والطاعة جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾[4].

يعني أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/١٨٢).

(٢) المرجع السابق (٨/٣٩٤).

(٣) البحر الرائق في الزهد والرقائق ص(٢٢٧) بتصرف.

(٤) الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

ومما ينبغي أن يُعلم أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور:

الأول: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله.

أما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني والرجاء شيء والأماني شيء آخر.

وكل راجٍ خائف والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»**[1].

الآيات: قوله سبحانه وتعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[2]، وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3].

الأحاديث: ما ورد في صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: **«لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً»**[4].

---

(١) رواه الترمذي (١٠/ ٢٢٧) صفة القيامة، وقال: حديث حسن غريب والحاكم (٤/ ٣٠٨) الرقاق وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والألباني. ومعنى أدلج: أي صار من أول الليل والمعنى: أن من خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفاً من القواطع والعوائق.

(٢) من الآية (٥٣) من سورة الزمر.

(٣) من الآية (٦) من سورة الرعد.

(٤) رواه مسلم (١٧/ ٨٥) التوبة قال النووي رحمه الله معناه ما جاءه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لأنه استحق ذلك بكفره ومعنى فكاكك أنك كنت معرضاً لدخول النار وهذا فكاكك لأن الله تعالى قدر للنار عدداً يملؤها فإذا دخلها الكافر بذنوبهم وكفرهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين والله أعلم.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قدم على رسول الله ﷺ سبيٌ فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرجعته فقال رسول الله ﷺ: **«أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟»** قلنا: لا والله فقال: **«الله أرحم بعبده المؤمن من هذه على ولدها»**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي»**[2].

وفي رواية: **«غلبت غضبي»** وفي رواية: **«سبقت غضبي»**.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم: إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»**.

وقال يحيى بن معاذ: «من أعظم اغترار العبد التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط».

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

مقاما الصبر والشكر[3]:

لما كان الإيمان نصفين: نصف صبر، ونصف شكر كان حقيقاً على

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٢٦) الأدب ومسلم (١٧/ ٧٠) التوبة.

(٢) رواه البخاري (١٣/ ٣٨٤) التوحيد ومسلم (١٧/ ٦٨) التوبة، والترمذي (٣٦١١ تحفة) الدعوات.

(٣) البحر الرائق في الزهد والرقائق ص(٢١٤) ولخصها من: إحياء علوم الدين، ومدارج السالكين ورياض الصالحين، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. وعدة الصابرين.

من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين وأن يجعل سيره إلى الله عز وجل في هذين الطريقين القاصدين ليجعله الله يوم القيامة مع خير الفريقين.

معنى الصبر وحقيقته:

الصبر لغة: هو المنع والحبس وشرعاً فهو حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما.

وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

سئل عنه الجنيد فقال: «تجرع المرارة من غير تعبس».

وقال ذو النون المصري: «هو التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غُصص البلية وإظهار الغنى مع الحلول الفقر بساحات المعيشة».

وقيل: «الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب».

وقيل: «هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى».

ورأى أحد الصالحين رجلاً يشتكي إلى أخيه فقال له: يا هذا والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك.

وقيل في ذلك:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحمُ.

والشكوى نوعان: شكوى إلى الله عز وجل وهذه لا تنافي الصبر كقول يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: من الآية ٨٦] مع قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: من الآية ٨٣].

والنوع الثاني: شكوى المبتلى بلسان الحال أو المقال فهذه لا تجامع الصبر بل تضاده وتبطله.

وساحة العافية أوسع للعبد من ساحة الصبر ولا يناقض هذا قوله ﷺ: «**وما أعطا الله أحداً من عطاء أوسع من الصبر**»[1]، فإن هذا بعد نزول البلاء فساحة الصبر أوسع الساحات أما قبل نزوله فساحة العافية أوسع.

والنفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة أو النار والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام شردت في كل مذهب وحفظ من خطب الحجاج: «اقدعوا هذه النفوس فإنها طُلَعَةٌ إلى كل سوء فرحم الله امرءاً جعل لنفسه خطاماً وزماماً فقادها بخاطمها إلى طاعة الله وصرفها بزمامها عن معاصي الله فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه.

والنفس لها قوتان: قوة الإقدام وقوة الإحجام .. فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره ومن الناس من يصبر على قيام الليل ومشقة الصيام ولا يصبر على نظرة محرمة ومنهم من يصبر على النظر والالتفات إلى الصور ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد.

وقيل: الصبر شجاعة النفس ومن ها هنا أخذ القائل قوله: «الشجاعة صبر ساعة» والصبر والجزع ضدان كما أخبر سبحانه وتعالى عن أهل النار: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: من الآية ٢١].

من فضائله:

أن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو وصارماً لا ينبو وجنداً غالباً لا يهزم وحصناً حصيناً لا يهدم فهو والنصر أخوان شقيقان وقد مدح الله عز وجل في كتابه الصابرين وأخبر أنه يؤتيهم أجرهم بغير حساب وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين، فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[2].

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) من الآية (٤٦) من سورة الأنفال.

فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة ففازوا بِنِعَمِهِ الباطنة والظاهرة وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: الآية ٢٤].

وأخبر تعالى أن الصبر خيرٌ لأهله مؤكداً باليمين فقال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: من الآية ١٢٦].

وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدوّ ولو كان ذا تسليط فقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: من الآية ١٢٠].

وعلق الفلاح بالصبر والتقوى فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: الآية ٢٠٠].

وأخبر عن محبته لأهله، وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٦].

وبشّر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون: فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابر فقال عز وجلّ: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١١].

وخص في الانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييزاً لهم بهذا الحظ الموفور فقال في أربع آيات من كتابه جل وعلا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [من الآيات: إبراهيم: ٥ لقمان: ٣١ سبأ: ١٩ الشورى: ٣٣].

والصبر آخية المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها وَسَاقُ إيمانه التي لا اعتماد له بعد الله تعالى: إلا عليها فلا إيمان لمن لا صبر له وإن كان فإيمان قليل في غاية الضعف وصاحبه ممن يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ولم يحظ منها إلا بالصفقة الخاسرة فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: من الآية ٢١].

والصبر باعتبار مُتَعَلِّقِهِ ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقضية حتى لا يتسخطها وهذه الأقسام هي التي قيل فيها:

«لا بد للعبد من أمر يفعله ونهي يجتنبه وقدر يصبر عليه».

مقام الشكر: هو الثناء على المنعم بما أولاكه من معروف.

وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان ـ لا يكون شكراً إلا بمجموعها ـ وهي: الاعتراف بالنعمة باطناً والتحدث بها ظاهراً والاستعانة بها على طاعة الله فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه.

وقد قرن الله سبحانه وتعالى الشكر بالإيمان وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾[1].

وأخبر سبحانه عن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده فقال عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٣].

---

(١) النساء: من الآية ١٤٧.

وقسم الناس إلى شكور وكفور فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: الآية ٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٧].

فعلق سبحانه المزيد بالشكر والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره وقد أوقف الله سبحانه كثيراً من الجزاء على المشيئة.

كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: من الآية ٢٨].

وقال في المغفرة: ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: من الآية ٤٠].

وقال في التوبة: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة: من الآية ١٥].

وأطلق جزاء الشكر إطلاقاً حيث ذكره كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٥].

ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أجل المقامات وأعلاها يجعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه فقال: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: من الآية ١٧].

ووصف سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: من الآية ١٣].

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: أنه قام حتى تفطرت قدماه فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»**[1].

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٤١) التهجد. ومسلم (١٧/ ١٦٢) صفات المنافقين والترمذي (٢/ ٢٠٤٢٠٥) والنسائي (٣/ ٢١٩) قيام الليل.

وعنه ﷺ قال: **«إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها»**[1].

فكان هذا الجزاء العظيم الذي هو أكبر أنواع الجزاء كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: من الآية ٧٢].

في مقابلة شكره بالحمد والشكر قيد النعم وسبب المزيد قال عمر بن عبدالعزيز: «قيّدوا نعم الله بشكر الله» وذكر ابن أبي الدنيا عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لرجل من همذان: «إنّ النعمة موصولة بالشكر والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد».

وقال الحسن: أكثروا من ذكر هذه النعم فإن ذكرها شكر وقد أمر الله نبيه أن يحدث بنعمة ربه فقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: الآية ١١].

والله تعالى يحب أن يُرى أثر نعمته على عبده فإن ذلك شكرها بلسان الحال.

وكان أبو المغيرة إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: «أصبحنا مغرقين في النعم عاجزين عن الشكر يتحبب إلينا ربنا وهو غني عنا ونتمقت إليه ونحن إليه محتاجون».

وقال شريح: «ما أصيب عبدٌ بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاث نعم: ألا تكون كانت في دينه وألا تكون أعظم مما كانت وأنها لابد كائنة فقد كانت».

وقال يونس بن عبيد: قال رجل لأبي تميمة كيف أصبحت؟ قال:

---

(١) رواه مسلم (١٧/٥١) الذكر والدعاء والترمذي (٨/٩) الأطعمة.

«أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتها أفضل: ذنوب سترها الله عليّ فلا يستطيع أن يعيِّرني بها أحد ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي».

وعن سفيان في قوله تبارك وتعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: من الآية ٤٤].

قال: يسبغ عليهم النعم ويمنعهم الشكر وقال غير واحد: «كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نعمة».

قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟

فقال: إن رأيت بهما خيراً أعلنته وإن رأيت بهما شراً سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟

قال: إن سمعت بهما خيراً وعيته وإن سمعت بهما شراً دفعته.

قال: فما شكر اليدين؟

قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقاً لله هو فيهما.

قال: فما شكر البطن؟

قال: قال: أن يكون أسفله طعاماً وأعلاه علماً.

قال: فما شكر الفرج؟

قال: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: الآيات ٥ ـ ٧].

قال: فما شكر الرجلين؟

قال: إن علمت ميتاً تغبطه استعملت بهما عملَه وإن مقته رغبت عن عمله وأنت شاكراً لله.

وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه فما ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر.

وكتب بعض العلماء إلى أخ له: أما بعد فقد أصبح بنا من نعم الله ما

لا نحصيه من كثرة ما نعصيه فما ندري أيهما نشكر أجميل ما يَسّر، أم قبيح ما ستر؟!

مقام الزهد:

هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه وأما العلم المثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيراً بالإضافة إلى المأخوذ فما عرف أن ما عند الله باقٍ وأن الآخرة خير وأبقى كما أن الجوهر خير وأبقى من الثلج فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض، والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له وبقدر اليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع وقد مدح القرآن الزهد في الدنيا وذمّ الرغبة فيها فقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾[3].

والأحاديث في ذمّ الدنيا وبيان حقارتها عند الله كثيرة جداً.

عن جابر رضي الله عنه «أنّ النّبيّ ﷺ مرّ بالسوق والنّاس كنفتيه فمرّ بِجَدْي أَسَكَّ ميت فتناوله فأخذ بأذنه فقال: **«أيكم يحب أنّ هذا له بدرهم»** فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: **«أتحبون أنه لكم»** قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه أنه أسكّ فكيف وهو ميت؟ فقال: **«والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»**[4].

---

(١) الآيتان من سورة الأعلى: (١٦-١٧).

(٢) من الآية (٦٧) من سورة الأنفال.

(٣) من الآية (٢٦) من سورة الرعد.

(٤) رواه مسلم (١٨/٩٣) الزهد وأبو داود (١٨٤) الطهارة وقوله: «والناس كنفتيه» أي حوله وفيه أدب سير طلاب العلم مع العالم وقوله: «أسك» أي صغير الأذنين.

وعن المستورد بن شدّاد الفِهري عن النبي ﷺ قال: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع**»[1].

وعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»[2].

فالزهد: هو الإعراض عن الشيء لاستقلاله واحتقاره، وارتفاع الهمة عنه يقال شيء زهيد: أي قليل حقير.

قال يونس بن ميسرة: «ليس الزّهادة في الدّنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزّهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك وأن تكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن يكون مادحكم وذامّكم في الحق سواء».

ففسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشياء كلها من أعمال القلوب لا من أعمال الجوارح.

أحدها: أن يكون العبد بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه وهذا ينشأ من صحة اليقين وقوته قيل لأبي حازم الزاهد: ما مالك؟ قال: «مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله واليأس مما في أيدي الناس».

وقيل له: أما تخاف الفقر؟ فقل: «أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟».

ولهذا كان أبو سليمان يقول: لا تشهد لأحد بالزهد.

قال الفضيل: أصل الزهد: الرضى عن الله عزّ وجلّ.

وقال: القنوع هو الزّاهد وهو الغنى فمن حقق اليقين وثق بالله في أموره كلها ورضى بتدبيره له وانقطع عن التّعلق بالمخلوقين رجاءً وخوفاً

---

(١) رواه مسلم (١٨/٩٣) الجنة وصفة نعيمها والترمذي (٩/١٩٩) الزهد ابن ماجه (٤١٠٨).

(٢) رواه الترمذي (٩/١٩٨) الزهد وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: زكريا ضعفوه وقال الألباني: والصواب أن الحديث صحيح لغيره فإن له شواهد تقويه وانظر شواهده في الصحيحة رقم (٩٤٣).

ووضعه ذلك من طلب الدنيا بالأسباب المكروهة ومن كان كذلك كان زاهداً حقّاً وكان من أغنى الناس وإن لم يكن له شيء من الدنيا كما قال عمار رضي الله عنه: كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنًى وكفى بالعبادة شغلاً».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اليقين أن لا تُرضي الناسَ بسخط الله ولا تحسد أحداً على رزق الله ولا تلم أحداً على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره فإن الله بقسطه وعلمه وحكمته جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهمّ والحزن في السخط والشك».

الثاني: أن يكون العبد إذا أصيب بمصيبة في دنياه من ذهاب مال أو ولد أو غير ذلك أرغب في ثواب ذلك مما ذهب منه من الدنيا أن يبقى له وهذا أيضاً ينشأ من كمال اليقين.

قال عليّ كرم الله وجهه: «من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات». وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا الآخرة من المفاليس.

الثالث: أن يستوي عند العبد مادحه وذامّه في الحق وإذا عظمت الدنيا في قلب العبد اختار المدح وكره الذم وربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم على فعل كثير من الباطل رجاء المدح.

فمن استوى عنده حامده وذامّه في الحق دلّ على سقوط منزلة المخلوقين من قلبه وامتلاؤه من محبة الحق وما فيه رضى مولاه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اليقين أن لا تُرضي الناس بسخط الله».

وكل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو زاهد أيضاً ولكن في الآخرة.

قال رجل لأحد الصالحين: ما رأيت أزهد منك قال: أنت أزهد مني، لقد زهدت في دنيا لا بقاء لها ولا وفاء، وأنت زهدت في الآخرة فمن أزهد منك؟

ولكن العادة جارية على تخصيص اسم الزهد على الزهد في الدنيا،

الزهد يكون فيما هو مقدور عليه ولذا قيل لابن المبارك: يا زاهد قال: «الزاهد هو عمر بن عبدالعزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها وأما أنا ففي ماذا زهدت». قال الحسن البصري: «أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يُطوَ له ثوبٌ ولم يُنصب له قدْرٌ ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً ولا أمَرَ مَنْ في بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة فرحمة الله عليهم ورضوانه».

والزهد درجات فالأولى:

أن يزهد في الدنيا وهو لها مُشتَهٍ وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ولكن يجاهدها ويكفيها وهذا يسمى: متزهد.

والثانية: الذي يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه ولكنه يرى زهده، ويلتفت إليه كالذي يترك درهماً لأجل درهمين.

والثالثة: أن يزهد في الدنيا طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى أنه ترك شيئاً فيكون كمن ترك خَزَفَةً وأخذ جوهرةً.

ويمثل صاحب هذه الدرجة بمن منعه من الدخول على الملك كلبُ على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بها ودخل على الملك ونال القرب منه، فالشيطان كلبٌ على باب الله عز وجل يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوعٌ، والدنيا كلقمة فمن تركها لينال عز الملك فكيف يلتفت إليها[1].

---

(١) البحر الرائق في الزهد والرقائق (١٨٧). وانظر كتاب الزهد وصفة الزاهدين (١/ ٢٠).

مقام التوكل:

التوكل من مادة (وكل) يقال: وكّل بالله وتوكل عليه واتّكل: استسلم له. ووكَّل إليه الأمر وَكْلاً ووكولاً: سلّمه وتركه.

وفي الاصطلاح: اختلفت عبارات السلف في تعريف التوكل على الله تبعاً لتفسيره تارة بأسبابه ودواعيه وتارة بدرجاته وتارة بلازمه وتارة بثمراته وغير ذلك من متعلقاته. وسبب هذا الاختلاف أنّ التوكل من أحوال القلوب وأعمالها وهي صعبة لن تحدّ بحدّ أو تحصر بلفظ.

قال ابن عباس: التوكّل هو الثقة بالله. وصدق التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله فإنه أعظم وأبقى مما لديك في دنياك.

وقال الحسن: إن من توكل العبد أن يكون الله هو ثقته.

وقال الإمام أحمد: هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق وقال: وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جلّ ثناؤه والثقة به.

وقال ابن الجوزي عن بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقةً بحسن تدبيره

وقال ابن رجب الحنبلي: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها.

وقال ابن حجر: وقيل: هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب.

وقيل: هو حالٌ للقلب ينشأ عن معرفته بالله والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ فيوجب له اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وطمأنينةً به وثقةً به ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه.

. . . وللسلف والخلف تعاريف مختلفة.

والتوكل عمل القلب، كما ورد عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

واعلم أنّ للتوكّل درجات قال ابن القيم في مدارج السالكين:

١ ـ الأولى: معرفة الرّبّ وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته واليقين بكفاية وكيله وأنَّ غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

٢ ـ الثانية: إثبات الأسباب ورعايتها والأخذ بها.

٣ ـ الثالثة: رسوخ القلب في مقام التوحيد.

٤ ـ الرابعة: اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها وطمأنينته بالله والثقة بتدبيره.

٥ ـ الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل.

٦ ـ السادسة: استسلام القلب لله وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته.

٧ ـ السابعة: التفويض: هو إلقاء العبدِ أمورَه كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً. والتفويض هو روح التوكل ولبّه وحقيقته.

٨ ـ الثامنة: الرضا.

إن التوكل شرط من شروط الإيمان ولازم من لوازمه ومقتضياته؛ فكلما قوي إيمان العبد كان توكله أكبر، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. وفي الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤]، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل. وهو من أشرف الرتب وأعلى المقامات من أعمال القلوب التي هي أصل الإيمان الذي هو أجل وأعظم ما تعبد الله تعالى به. والتوكل من أجمع أنواع العبادة وأعظمها لما ينشأ عنه من

الأعمال الصالحة. والتوكل مقترن بمراتب الدين الثلاث (الإيمان والإسلام والإحسان) وشعائره العظام.

وفي الحديث «**أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب: الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا**» رواه الطبراني وهو في إتحاف السادة.

وقال علي: يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي مما سواه.

وقيل لبعض الحكماء: ما الفرق بين اليقين والتوكل؟ قال: أما اليقين فهو أن تصدق الله بجميع أسباب الآخرة والتوكل أن تصدق الله بجميع أسباب الدنيا.

وقال لقمان لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه أناس كثير فإن استطعت أن تكون سفينتك فيها الإيمان بالله وحشوها العمل بطاعة الله عز وجل وشراعها التوكل على الله لعلّك تبحر.

وعن سعيد بن المسيب قال: التقى عبدالله بن سلام وسلمان فقال أحدهما لصاحبه: إن متّ قبلي فالقني فأخبرني ما لقيت من ربّك وإن مت لقيتك فأخبرتك فقال أحدهما للآخر أو تلقى الأموات الأحياء قال: نعم أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءت قال: فمات فلان فلقيه في المنام فقال: توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط». أخرجه ابن منده وأورده ابن رجب في أهوال القبور والسيوطي في شرح الصدور.

ولأهمية التوكل وفضله كان النبي ﷺ يدعو كثيراً به فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والأنس يموتون**» رواه البخاري ومسلم وأحمد.

وعن الأوزاعي قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك**

التوفيق لمحابك من الأعمال وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك»[1].

ومن أقوال السلف في بيان أهمية التوكل وارتباطه بالإيمان:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: التوكل جماع الإيمان.

وقال سعيد بن جبير: التوكل على الله نصف الإيمان. وقال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الإخلاص والتوكل والاستسلام للرّبّ عزّ وجلّ، وقال أبو محمد سهل: ليس في المقامات أعزّ من التّوكل وقال: من طعن في الاكتساب فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان. وقال الجنيد بن محمد: التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب.

وقال فضيل بن عياض: التوكل قوام العبادة والتوكل من أوجب واجبات القلب وقال ابن القيم: إن التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله أما علمه: فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه وأنّ غيره لا يقوم مقامه في ذلك. وأمّا عمله: فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه وتفويضه وتسليمه أمره إليه ورضاه بتصرفه له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه. والتوكل من أقوال القلب وأفعاله التي كل منها حسنة وسيئة بنفسها يحصل بها الثواب والعقاب بما يكون في القلوب وإن لم يظهر على الجوارح. ولا يستقيم توكل العبد حتى يصلح له توحيده بل حقيقة التوكل توحيد القلب فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول.

وكذلك لا يحصل تحقيق التوكل حتى يؤمن العبد بكمال ربوبية الله تعالى وما تتضمنه من كمال الملك والتدبير والسلطان والقدرة والتّصرف والمشيئة والقيومية والإحاطة وملك الضر والنفع فذلك من أقوى أسباب ودواعي التوكل.

---

(١) قال شعيب الأرناؤوط: ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية عن الأوزاعي مرسلاً والحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عوائق التوكّل:

١ ـ الجهل بمقام الله من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات. ٢ ـ الغرور والإعجاب بالنفس. ٣ ـ الركون للخلق والاعتماد عليهم في قضاء الحاجات. ٤ ـ حبّ الدنيا والاغترار بها مما يحول بين العبد والتوكل لأنه عبادة لا تصح مع جعل العبد نفسه عبداً للدنيا.

قوادح التوكل:

من أهمها التفات القلب إلى الأسباب وتعلقه بغير الله تعالى. وتلك الأسباب على ثلاث درجات:

١ ـ التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يتخلف كالطعام فتركها ضرب من الجنون.

٢ ـ ليست متيقنة بل هي ظنية كالرّقى والاكتواء؛ فالتّعلق بها مضعف للتوكّل وكماله، وقيل إنّ الرقية والكيّ يقدحان في التوكل فكرهوهما دون غيرهما.

وقيل أنهما لا يقدحان في كمال التوكل ولا ينافيان هو قول ثالث بأنه يفرق بين فعل الرّقية بنفسه أو بغيره وبين طلبها وهو الرّاجح إن شاء الله.

٣ ـ الموهومة: ليست معتبرة شرعاً ولا قدراً كالتطير (وهو التّشاؤم بكلّ مرئي ومسموع ومعلوم) وتعليق التمائم والحروز، فالالتفات لها خوفاً وطمعاً بالاستدلال على أمر غيبي مناف لتحقيق التوكل وكمال التوحيد. وهناك أحاديث يثبت ظاهرها التشاؤم بأشياء معينة كالمرأة والدار والدابة وقد جمع العلماء بينها وبين أحاديث النهي عن الطيرة. وبالنسبة للتفاؤل هل هو من الطيرة أم لا؟ على قولين. والدرجة الثانية والثالثة جمعها حديث ابن عباس في حديث عرض الأمم على النبي ﷺ وفي آخره قوله: «**سبقك بها عكاشة**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٠ و٥٧٠٥ و٥٧٥٢ و٦٤٧٢ و٦٥٤١) ومسلم (٣٧٤ و٣٧٥) وأحمد (١/ ٢٧١).

ومن الأشياء التي تنافي أصل التوكل: ١ ـ التعلق بسبب لا تأثير له كالأموات والغائبين والطواغيت فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٢ ـ اعتقاد أنّ السبب سواء المشروع أو المحرم فاعل بنفسه دون الله فذلك شرك أكبر.

ومما ينافي كمال التوكل الواجب: ١ ـ التوكل في الأسباب الظاهرة العادية على أي شخص قادر حيّ فيما يقدر عليه. ٢ ـ الاعتماد على أمر ليس سبباً شرعاً مع اعتقاد أن الضرّ والنفع بيد الله وحده كالتطير والتمائم والتولة.

ومن ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط مذموم ومن فعل الأسباب المخالفة للشرع فهو مذنب مخالف محروم.

والتوكل باعتبار تعلقه بالأسباب ينقسم إلى قسمين:

١ ـ توكل اضطرار ٢ ـ توكل اختيار.

ومن الأدلة على ارتباط التوكل بالأخذ بالأسباب: من القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[١]، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٢]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[٣]، ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾[٤]، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٥]، ومن السنة حديث: «**وجعل رزقي تحت ظل رمحي**»[٦]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

---

(١) الآية (٧١) من سورة النساء.

(٢) من الآية (٦٠) من سورة الأنفال.

(٣) الآية (١٠) من سورة الجمعة.

(٤) من الآية (٦٩) من سورة الأنفال.

(٥) من الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

(٦) رواه أحمد وابن أبي شيبة وذكره البخاري تعليقاً والهيثمي في المجمع.

جاء رجل إلى النبي ﷺ على ناقة له فقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل؟ فقال: «**اعقلها وتوكل**»[1].

وعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتعود بطاناً**»[2]، خماصاً: جياعاً بطاناً: ممتلئات البطون.

والمعنى الإجمالي للحديث: أن التوكل الصحيح هو تفويض الأمر إلى الله عز وجل والثقة بحسن النظر فيما أمر به فلو أن المسلمين يتوكلون على الله جل ثناؤه في كل شئونهم لرزقهم كالطير تماماً ولكن بعضهم يعتمد على قوته وحذره ويحلف بالباطل وكل هذا خلاف التوكل. وعن المقدام بن معدي كرب عن النبي ﷺ قال: «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**»[3]. وعن عمر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته...» رواه البخاري ومسلم.

ولقي عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن فقال من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون فقال أنتم المتّكلون إنما المتوكل الذي يلقي حبَّه في الأرض ويتوكّل على الله. وفي ذلك الرّدّ البليغ على من يتركون الأسباب تقاعساً بدعوى التوكل على الله ولو صدقوا لأحسنوا العمل.

أما التواكل فهو: ترك الكسب والطمع في المخلوقين والاعتماد عليهم بالتخلي عن الأسباب التي وضعها الله عز وجل والانقطاع عن السعي والتقاعد عن العمل وانتظار النتائج من الخلق أو القدر أو الاتكال على الله أن يخرق له العوائد. ولأصحاب هذا المفهوم أدلة. والتواكل خسة همة وعدم

---

(١) رواه الترمذي وابن أبي الدنيا وأبو نعيم والبيهقي وابن حبان.

(٢) رواه أحمد وابن المبارك في الزهد والترمذي في الزهد وابن ماجه في الزهد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في الشعب. وأبو نعيم في الحلية وغيرهم.

(٣) رواه البخاري وابن ماجه وأحمد والبيهقي في الشعب.

مروءة لأنه إبطال حكمة الله التي أحكمها في الدنيا من ترتب المسببات على الأسباب. ولقد حارب الإسلام التواكل وحذر منه وهو حرام ليس من الشرع أصلاً وهو مخالف للنصوص.

نماذج عملية في التوكل واتخاذ الأسباب:

ترتيبات رسول الله ﷺ للهجرة للمدينة من استئجار دليل مشرك ليدلّه على طريق الهجرة للمدينة وغير ذلك ـ موقفه في غزوة بدر الكبرى ـ ظاهر رسول الله ﷺ يوم أحد بين درعين ـ وما حدث له بذات الرقاع من رفع الأعرابي سيف النبي ﷺ عليه.

ودخل رسول الله ﷺ وسلم مكة والبيضة على رأسه. وكان يحمل الزاد والمزاد إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة وجميع أصحابه.

وإبراهيم عليه السلام في قصة حرقه بالنار ـ موسى عليه السلام في لحاق فرعون وقومه له عند البحر ـ أصحاب الكهف والرقيم في نومهم بالكهف تاركين الكفر وأهله. كان الأنبياء يفعلون أسباباً يحصل بها الرزق، ويتقى بها العدو، ويستنزل بها النصر.

كان المهاجرون في مجموعهم أهل تجارة وكان الأنصار أهل زرع.

والكلام على هذه المقامات وشبهها أشبع فيها العلماء الكلام في كتبهم ككتاب ابن القيم مدارج السالكين والإحياء للغزالي وغيرها من الكتب التي اعتنت بالسلوك.

مقام الرضا بقضاء الله عز وجل:

للعبد فيما يكره درجتان: درجة الرّضا ودرجة الصبر فالرضا فضل مندوب إليه والصبر واجب على المؤمن حتم.

وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلى وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير متهم في قضائه وتارة يلاحظون عظمة المبتلى وجلاله وكماله فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالألم وهذا يصل إليه خواصّ أهل

المعرفة والمحبة حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره من حبيبهم.

والفرق بين الرضا والصبر: أن الصبر حبس النفس وكفها عن السخط ـ مع وجود الألم ـ وتمنى زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء وترك زوال الألم ـ وإن وجد الإحساس بالألم ـ لكنّ الرضا يخففه بما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله تعالى بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط».

وقال علقمة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[1]، هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.

وقال النبي ﷺ: **«ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمّد رسولاً»**[2].

وقال النبي ﷺ: **«من قال حين يسمع النداء رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمّد رسولاً غفرت ذنوبه»**[3].

ونظر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى عديّ بن حاتم كئيباً

---

(١) من الآية (١١) من سورة التغابن.

(٢) رواه مسلم (٢/٢) الإيمان والترمذي (١٠/٩١) الإيمان قال صاحب التجويد: معنى رضيت بالشيء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ ولا شك أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه. وقال القاضي عياض: معنى الحديث صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه لأن من رضي أمراً سهل عليه فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذات له والله أعلم.

(٣) رواه مسلم (٤/٨٦) الصلاة وأبو داود (٥٢١) الصلاة والترمذي (٢/١١١٢).

فقال: ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ فقال: وما يمنعني وقد قتل ابناي وفقئت عيني فقال: «يا عديّ من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله».

ودخل أبو الدرداء رضي الله عنه على رجل يموت وهو يحمد الله فقال أبو الدرداء: «أصبت إنّ الله عز وجل إذا قضى قضاء أحبّ أن يرضى به».

وقال أبو معاوية في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[1]، الرضا والقناعة.

قال الحسن: «من رضي بما قسم له وسعه وبارك الله فيه ومن لم يرض لم يسعه ولم يبارك له فيه».

وقال عمر بن عبدالعزيز: «ما بقي لي سرور إلاّ في مواقع القدر» وقيل له ما تشتهي؟ فقال: «ما يقضي الله عز وجل».

وقال عبدالواحد بن زيد: «الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا ومستراح العابدين».

وقال بعضهم: «لن يُرى في الآخرة أرفع درجات من الراضين عن الله تعالى في كلّ حال فمن وهب له الرضا فقد تبلغ أفضل الدرجات».

وأصبح أعرابي وقد ماتت له أباعر (جمع بعير) كثيرة فقال:

لا والذي أنا عبدٌ في عبادته ... لولا شماتة أعداء ذوي إحن
ما سرّني أن إبلي في مباركها ... وأنّ شيئاً قضاه الله لم يكن

وما أجمل قول من قال:

إذا اشتدت البلوى تخفف بالرضا ... عن الله قد فاز الرضي المراقب
فكم من نعمة مقرونة ببلية ... على الناس تخفى والبلايا مواهب

---

(١) من الآية (٩٧) من سورة النحل.

وكما قال القائل:

يجري القضاء وفيه الخير نافلة ... لـلـمـؤمـن واثـق بـالله لا لاهِ
إن جـاءه فـرح أو نـابـه تـرح ... في الحالتين يقول الحمد للـهِ

مقام المحبّة:

أي محبّة الله عز وجلّ:

المحبّة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والإنس والرّضا ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها.

وأنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلها محبة من جبلت القلوب على محبته، وفطرت الخليقة على تأليهه فإن الإله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم، والذل له، والخضوع، والتعبد، والعبادة لا تصلح إلا له وحده والعبادة: هي كمال الحبّ مع كمال الخضوع والذل.

والله تعالى يُحَبُّ لذاته من جميع الوجوه وما سواه فإنما يحب تبعاً لمحبته وقد دل على وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزلة، ودعوة جميع الرسل، وفطرته التي فطر عباده عليها، وما ركّب فيهم من العقول، وما أسبغ عليهم من النعم فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم عليها وأحسن إليها فكيف بمن كل الإحسان منه وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[1].

وما تعرف به إلى عباده من أسمائه الحسنى وصفاته العلا وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كمالاته ونهاية جلاله وعظمته.

---

(١) النحل: الآية (٥٣).

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[2].

وقد أقسم النبي ﷺ إنه: «**لا يؤمن عبد حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[3].

وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**لا حتى أكون أحب إليك من نفسك**»[4]. أي لا تؤمن حتى تصل محبتك إلى هذه الغاية.

وإذا كان النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها أفليس الربّ جلّ جلاله أولى بمحبته وعبادته من أنفسنا؟

وكل ما منه إلى عبده يدعوه إلى محبته مما يحب العبد ويكره فعطاؤه ومنعه ومعافاته وابتلاؤه وقبضه وبسطه وعدله وفضله وإماتته وإحياؤه وبره ورحمته وإحسانه وستره وعفوه وحلمه وصبره على عبده وإجابته لدعائه وكشف كربه وإغاثته لهفته وتفريج كربته من غير حاجة منه إليه بل مع غناه

---

(١) البقرة: من الآية (١٦٥).

(٢) المائدة: من الآيتين (٥٣ ـ ٥٤).

(٣) رواه البخاري (١/ ٥٨) الإيمان ومسلم (٢/ ١٥) الإيمان وقال الحافظ: قوله: «لا يؤمن» أي إيماناً كاملاً. وقال القاضي عياض وابن بطال وغيرهما: المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة وإحسان كمحبة سائر الناس فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته. وقال ابن بطال: ومعنى الحديث: أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأن به ﷺ استنقذنا من النار وهدينا من الضلال.

(٤) رواه البخاري (١١/ ٥٢٣) الإيمان والنذور.

التام عنه من جميع الوجوه كل ذلك داعٍ للقلوب إلى تأليهه ومحبته فلو أن مخلوقاً فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلكَ لم يملك قلبه عن محبته فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس مع إساءته؟

فخيره إليه نازل وشره إليه صاعد يتحبب إليه بنعمه وهو غنيٌّ عنه. والعبد يتبغض إليه بالمعاصي وهو فقير إليه. فلا إحسانه وبره وإنعامه عليه يصده عن معصيته ولا معصية العبد ولؤمه يقطع إحسان ربه عنه.

وأيضاً: فكل من تحبه من الخلق ويحبك إنما يريدك لنفسه وغرضه منك والله سبحانه وتعالى يريدك لك.

ومحبة الله عز وجل هي حياة القلوب وغذاء الأرواح وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، بل فساد القلب ـ إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق ـ أعظم من فساد البدن إذا خلا من الروح وهذا الأمر لا يصدق به إلا من فيه حياة وما لجرح بميت إيلام.

الآثار: قال فتح الموصلي: «المحبّ لا يجد للدنيا لذّة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين».

وقال بعضهم: «المحبّ طائر القلب كثير الذّكر متسبب إلى رضوانه بكلّ سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل دأباً وشوقاً».

وأنشد بعضهم:

وكن لربِّك ذا حبٍّ لتخدمه ... إنَّ المُحِبِّينَ للأحباب خُدّامُ

وأوصت امرأة من السلف أولادها فقالت لهم: «تعودوا حبَّ الله وطاعته فإنّ المتقين ألفوا بالطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها فإن عرض لهم الملعون بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون».

وأنشد ابن المبارك:

تعصي الإله وأنت تزعم حبّه ... هذا لعمري في القياس شنيع

لـو كـان حـبّـك صـادقـاً لأطـعـتـه إنّ الـمـحـبّ لـمـن يـحـبّ مـطـيـع

مقام الصدق:

قال الكشيري: (الصّدق: ألا يكون في أحوالك شَوْبٌ ولا في اعتقادك ريبٌ، ولا في أعمالك عيبٌ) التعريفات للجرجاني.

الصدق باطناً وظاهراً، شعار المخلصين، ودثار المخبتين، الذين لبوا نـداء رب الـعـالـمـيـن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1]، فالصدق طمأنينة في الدارين، يجلب للعبد المحبة والقبول من رب العالمين وملائكته والناس الطيبين ويجعل له لسان صدق في الآخرين، ومبوّأ فضل في جنة الخالدين وهو شعار الصالحين في كلّ وقت وحين ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[2].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى[3]:

فصل ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الصدق:

وهي منزلة القوم الأعظم، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلاَّ قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته فهو روح الأعمال، ومحكّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات: تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مدد متصل

---

(١) من الآية (١١٩) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٨٠) من سورة الإسراء.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

ومعين وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان: أن يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]... وأخبر تعالى أن من صدقه فهو خير له فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[3]... وأخبر سبحانه أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[5]، فالذي جاء بالصدق: هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله، فالصدق: في هذه الثلاثة فالصدق في الأقوال: استواء اللّسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاؤوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته ولذلك كان لأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وأرضاه ذروة سنام الصديقية سمي الصديق على الإطلاق والصّدّيق أبلغ من الصدوق والصدوق أبلغ من الصادق فأعلى مراتب الصدق: **مرتبة الصديقية: وهي كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل**، وقد أمر الله تعالى رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال: وقل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى

---

(١) الآية (١١٩) من سورة التوبة.

(٢) الآية (٦٩) من سورة النساء.

(٣) من الآية (٢١) من سورة محمد.

(٤) الآية (١١٩) من سورة المائدة.

(٥) الآية (٣٣) من سورة الزمر.

مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾[1] وأخبر عن خليله إبراهيم أنه سأله أنْ يهب له لسان صدق في الآخرين فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾[2]، وبشّر عباده بأنّ لهم عنده قدم صدق ومقعد صدق فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[4]، فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق، وحقيقة الصدق في هذه الأشياء: هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة، فمدخل الصدق ومخرج الصدق: أن يكون دخوله وخروجه حقاً ثابتاً بالله وفي مرضاته بالظفر بالبغية، وحصول المطلوب ضد مخرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له يوصل إليها، ولا له ساق ثابتة يقوم عليها، كمخرج أعدائه يوم بدر، ومخرج الصدق كمخرجه هو وأصحابه في تلك الغزوة...

ومن علامات الصدق: طمأنينة القلب إليه ومن علامات الكذب:

حصول الريبة كما في الترمذي مرفوعاً من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الصِّدْقُ طمأنينة والكذب ريبة**» وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الصّدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرَّ يهدي إلى الجنّة، وإن الرّجل ليصدق حتّى يكتب عند الله صدّيقاً، وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النّار، وإنّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**» فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدأها وهي غايته، فلا ينال درجتها كاذب البتة، لا في قوله، ولا في عمله ولا في حاله ولا سيما كاذب على الله في أسمائه

---

(١) من الآية (٨٠) من سورة الإسراء.

(٢) من الآية (٨٤) من سورة الشعراء.

(٣) من الآية (٢) من سورة يونس.

(٤) الآيتان (٥٤ ـ ٥٥) من سورة القمر.

وصفاته، ونفي ما أثبته أو إثبات ما نفاه عن نفسه فليس في هؤلاء صدِّيق أبداً، وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه بتحليل ما حرمه وتحريم ما لم يحرمه، وإسقاط ما أوجبه، وإيجاب ما لم يوجبه، وكراهة ما أحبه، واستحباب ما لم يحبه، كلّ ذلك مناف للصدّيقيّة وكذلك الكذب معه في الأعمال: بالتحلي بحلية الصادقين المخلصين والزاهدين المتوكلين وليس في الحقيقة منهم فلذلك كانت الصديقية: كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهراً وباطناً.

فصل في كلمات في حقيقة الصدق:

قال عبدالواحد بن زيد: الصدق الوفاء لله بالعمل، وقيل: موافقة السر النطق وقيل: استواء السر والعلانية، يعني أن الكاذب علانيته خير من سريرته كالمنافق الذي ظاهره خير من باطنه.

وقيل: الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة وقيل: كلمة الحق عند من تخافه وترجوه.

وقال الجنيد: الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة، والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة، وهذا الكلام يحتاج إلى شرح وقد يسبق إلى الذهن خلافه وأن الكاذب متلون لأن الكذب ألوان فهو يتلون بتلونه، والصادق مستمر على حالة واحدة، فإن الصدق واحد في نفسه وصاحبه لا يتلون ولا يتغير لكن مراد الشيخ أبي القاسم صحيح غير هذا، فإن المعارضات والواردات التي ترد على الصادق لا ترد على الكاذب المرائي بل هو فارغ منها، فإنه لا يرد عليه من قبل الحق موارد الصادقين على الكاذبين المرائين، ولا يعارضهم الشيطان كما يعارض الصادقين، فإنه لا أرب له في خربة لا شيء فيها[1]. اهـ.

فلذلك نوَّه الناظم رحمه الله تعالى: على الصدق مع الشاهد الرقيب

---

(١) انتهى ملخصاً من الفصل المذكور أعلاه من مدارج السالكين. وهو كلام نفيس لو وضع على جرح لبرئ فافهم.

الذي لا يمكن عنه أن تغيب. وأما الرضا بما قدره الله تعالى وقضاه فقد مضى الكلام عليه.

فاللّهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أسالك أن تجعلني ومن أحببناه فيك وأحبنا فيك، ومن قرأ كتابنا هذا، ونصحنا في السر والعلن، ودعا لنا بظهر الغيب لنا ولوالدينا مع الصادقين في الدارين يا وليّ الصالحين.

خاتمة الناظم رحمه الله تعالى:

قال الناظم رحمه الله تعالى:

ذَا الْقَدْرُ نَظْماً لا يَفي بالغاية ... وَفي الّذي ذَكَرْتُهُ كِفَايهْ
أَبْيَاتُهُ أَرْبَعَةَ عَشْرَة تَصِلْ ... مَعَ ثلاثمائة عَدَّ الرَّسُلْ
سَمَّيْتُهُ بِالْمُرْشِدِ الْمُعِينِ ... عَلَى الضَّرورِيِّ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ

أخبر الناظم أن هذا القدر الذي ذكره من النظم يكفي المكلف فيما يتعلق بعباداته، ولو تتبع الفروع والمسائل لطال النظم، وربما فقد المرجو منه، فاقتصر على ما أورد، ولو توسعنا نحن في الشرح لفات المقصود من الاختصار وما أشار به علينا شيوخنا الأبرار، وإخواننا الأخيار.

وأخبر أن عدة أبيات النظم أربعة عشرة مع ثلاثمائة وذلك عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتسكين العين من أربعة عشر لغة، وقد تقدم في العقيدة عدتهم مخرجة في أحاديث.

والضروري من علوم الدين هو الواجب على الأعيان سماه ضرورياً لأن التكليف به ضرورة تدعو إلى تعلمه، وإما لكونه لما كان واجباً على كل أحد ولا مندوحة عن تعلمه استحق أن يكون كالعلم المدرك ضرورة بلا تأمل والله تعالى أعلم.

ثم في الختام سأل الله النفع بهذا النظم وقد استجاب له ربنا الكريم فلا يخفى هذا النظم عن صغار طلبة العلم فأحرى كبارهم بل حتى عامتهم، لاسيما في قارة إفريقيا وعند كلّ مالكيّ المذهب.

وتوسل إليه بجاه سيّد الخلق، وخليل الحقّ سيدنا محمّد عليه أفضل صلاة وأزكى سلام ما نطق قائل بحقّ، وطلع فجر بأفق، وعدد ماذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون فقال:

فَأَسْأَلُ النَّفْعَ بِهِ على الدَّوَامِ مِنْ رَبِّنَا بِجَاهِ سَيِّدِ الأَنَامِ
قَدِ انْتَهى وَالْحَمْدُ لله الْعَظِيمِ صَلَّى وَسَلَّم عَلى الْهادِي الْكريم

كثر الحديث في هذه الأيام عن جواز التوسل بالنبي ﷺ وعدمه، ولما جاء في النظم أردت أن أنقل إليك ماوقفت عليه من أقوال أهل العلم في ذلك:

حكم التوسل بجاه النبي ﷺ:

جاء في الموسوعة الفقهية[1]: التّوسّل بالنّبيّ بعد وفاته:

اختلف العلماء في مشروعيّة التّوسّل بالنّبيّ ﷺ بعد وفاته كقول القائل: اللّهمّ إنّي أسألك بنبيّك أو بجاه نبيّك أو بحقّ نبيّك على أقوال:

القول الأوّل:

١١ ـ ذهب جمهور الفقهاء ـ المالكيّة والشّافعيّة ومتأخّرو الحنفيّة وهو المذهب عند الحنابلة ـ إلى جواز هذا النّوع من التّوسّل سواء في حياة النّبيّ ﷺ أو بعد وفاته. قال القسطلانيّ: وقد روي أنّ مالكاً لمّا سأله أبو جعفر المنصور العبّاسيّ ـ ثاني خلفاء بني العبّاس ـ يا أبا عبدالله أأستقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفّعه الله.

وقد روى هذه القصّة أبو الحسن عليّ بن فهر في كتابه «فضائل مالك» بإسناد لا بأس به، وأخرجها القاضي عياض في الشّفاء من طريقه عن شيوخ عدّة من ثقات مشايخه.

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤/١٥٦) ط/وزارة الأوقاف الكويتية مادة توسل.

وقال النّوويّ في بيان آداب زيارة قبر النّبيّ ﷺ[1]: ثمّ يرجع الزّائر إلى موقف قبالة وجه رسول الله ﷺ فيتوسّل به ويستشفع به إلى ربّه ومن أحسن ما يقول (الزّائر) ما حكاه الماورديّ والقاضي أبو الطّيّب وسائر أصحابنا عن العتبيّ مستحسنين له قال: كنت جالساً عند قبر النّبيّ ﷺ فجاءه أعرابيّ فقال: السّلام عليك يا رسول الله. سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2]، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربّي. ثمّ أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... وطاب من طيبهنّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وقال العزّ بن عبدالسّلام: ينبغي كون هذا مقصوراً على النّبيّ ﷺ لأنّه سيّد ولد آدم وأن لا يقسم على اللّه بغيره من الأنبياء والملائكة الأولياء لأنّهم ليسوا في درجته، وأن يكون ممّا خصّ به تنبيهاً على علوّ رتبته.

وقال السّبكيّ: ويحسن التّوسّل والاستغاثة والتّشفّع بالنّبيّ إلى ربّه.

وفي إعانة الطّالبين: . . . وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربّي. ما تقدّم أقوال المالكيّة والشّافعيّة.

وأمّا الحنابلة فقد قال ابن قدامة في المغني[3] بعد أن نقل قصّة العتبيّ مع الأعرابيّ: ويستحبّ لمن دخل المسجد أن يقدّم رجله اليمنى. . . إلى أن قال: ثمّ تأتي القبر فتقول. . . وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربّي. . .]. ومثله في الشّرح الكبير.

وأمّا الحنفيّة فقد صرّح متأخّروهم أيضاً بجواز التّوسّل بالنّبيّ ﷺ.

---

(١) كتاب الإيضاح في مناسك الحج والعمرة (٤٥٤-٤٥٥) المكتبة الإمدادية مكة المكرمة.
(٢) من الآية (٦٤) من سورة النساء.
(٣) أوردها في كتاب الحج عند فصل زيارة قبر النبي ﷺ. (٥٩٩/٣)، ط/دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٥.

قال الكمال بن الهمام في فتح القدير[1]: ثمّ يقول في موقفه: السّلام عليك يا رسول اللّه. . . ويسأل اللّه تعالى حاجته متوسّلاً إلى اللّه بحضرة نبيّه عليه الصلاة والسلام.

وقال صاحب الاختيار فيما يقال عند زيارة النّبيّ ﷺ. . . جئناك من بلاد شاسعة. . . والاستشفاع بك إلى ربّنا. . . ثمّ يقول: مستشفعين بنبيّك إليك.

ومثله في مراقي الفلاح والطّحاويّ على الدّرّ المختار والفتاوى الهنديّة.

ونصّ هؤلاء: عند زيارة قبر النّبيّ ﷺ اللّهمّ. . . وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك مستشفعين بنبيّك إليك.

وقال الشّوكانيّ: ويتوسّل إلى اللّه بأنبيائه والصّالحين[2].

وقد استدلّوا لما ذهبوا إليه بما يأتي:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[3].

ب ـ حديث الأعمى وفيه: **«اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرّحمة»**. فقد توجّه الأعمى في دعائه بالنّبيّ عليه الصلاة والسلام أي بذاته.

ج ـ «قوله ﷺ في الدّعاء لفاطمة بنت أسد: **اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء الّذين من قبلي، فإنّك أرحم الرّاحمين»**.

د ـ توسّل آدم بنبيّنا محمّد عليهما الصلاة والسلام: روى البيهقيّ في «دلائل النّبوّة» والحاكم وصحّحه عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي فقال اللّه تعالى: يا آدم كيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربّ إنّك لمّا خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله**

---

(١) مسائل منثورة من كتاب الحج.

(٢) تحفة الذاكرين ص(٥١) ط/دار القلم ـ بيروت ـ ١٩٨٤م.

(٣) سيأتي تفسير الآية.

إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك فقال اللّه تعالى: صدقت يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إليّ وإذ سألتني بحقّه فقد غفرت لك ولولا محمّد ما خلقتك».

هـ ـ حديث الرّجل الّذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفّان رضي الله عنه: روى الطّبرانيّ والبيهقيّ «أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفّان رضي الله عنه في زمن خلافته فكان لا يلتفت ولا ينظر إليه في حاجته فشكا ذلك لعثمان بن حنيف فقال له: ائت الميضأة فتوضّأ ثمّ ائت المسجد فصلّ ثمّ قل: اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرّحمة يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّك فيقضي لي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرّجل فصنع ذلك ثمّ أتى باب عثمان بن عفّان رضي الله عنه فجاء البوّاب فأخذ بيده فأدخله على عثمان رضي الله عنه فأجلسه معه وقال له: اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها له ثمّ قال: ما لك من حاجة فاذكرها ثمّ خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له: جزاك اللّه خيراً ما كان ينظر لحاجتي حتّى كلّمته لي فقال ابن حنيف واللّه ما كلّمته ولكن «شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره».

إلى آخر حديث الأعمى المتقدّم.

قال المباركفوري: قال الشّيخ عبدالغنيّ في إنجاح الحاجة: ذكر شيخنا عابد السّنديّ في رسالته والحديث ـ حديث الأعمى ـ يدلّ على جواز التّوسّل والاستشفاع بذاته المكرّم في حياته وأمّا بعد مماته فقد روى الطّبرانيّ في الكبير عن عثمان بن حنيف أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان... إلى آخر الحديث.

وقال الشّوكانيّ في تحفة الذّاكرين: وفي الحديث دليل على جواز التّوسّل برسول اللّه ﷺ إلى اللّه عزّ وجلّ مع اعتقاد أنّ الفاعل هو اللّه سبحانه وتعالى وأنّه المعطي المانع ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[1].

---

(١) تحفة الذاكرين للشوكاني (٢٠٨).

القول الثّاني في التّوسّل بالنّبيّ ﷺ بعد وفاته:

١٢ ـ جاء في التتارخانية معزيّاً للمنتقى: روى أبو يوسف عن أبي حنيفة[١]: لا ينبغي لأحد أن يدعو اللّه إلا به ـ أي بأسمائه وصفاته ـ والدّعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

وعن أبي يوسف أنّه لا بأس به وبه أخذ أبو اللّيث للأثر.

وفي الدّرّ: والأحوط الامتناع لكونه خبر واحد فيما يخالف القطعيّ إذ المتشابه إنّما يثبت بالقطعيّ. أمّا التّوسّل بمثل قول القائل: بحقّ رسلك وأنبيائك وأوليائك أو بحقّ البيت فقد ذهب أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمّد إلى كراهته. قال الحصكفيّ: لأنّه لا حقّ للخلق على اللّه تعالى: وإنّما يخصّ برحمته من يشاء من غير وجوب عليه.

قال ابن عابدين: قد يقال: إنّه لا حقّ لهم وجوباً على اللّه تعالى: لكن اللّه سبحانه وتعالى جعل لهم حقّا من فضله أو يراد بالحقّ الحرمة والعظمة فيكون من باب الوسيلة وقد قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ وقد عدّ من آداب الدّعاء التّوسّل على ما في الحصن وجاء في رواية «**اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ السّائلين عليك وبحقّ ممشاي إليك فإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً**» الحديث.

ويحتمل أن يراد بحقّهم علينا وجوب الإيمان بهم وتعظيمهم. وفي «اليعقوبيّة»: يحتمل أن يكون الحقّ مصدراً لا صفة مشبّهة، فالمعنى بحقّيّة رسلك، فليتأمّل. ا هـ. أي: المعنى بكونهم حقّا لا بكونهم مستحقّين. أقول (أي ابن عابدين): لكن هذه كلّها احتمالات مخالفة لظاهر المتبادر من هذا اللّفظ ومجرّد إيهام اللّفظ ما لا يجوز كاف في المنع. . . فلذا واللّه أعلم أطلق أئمّتنا المنع على أنّ إرادة هذه المعاني مع هذا الإيهام فيها الإقسام بغير اللّه تعالى: وهو مانع آخر تأمّل.

هذا ولم نعثر في كتب الحنفيّة على رأي لأبي حنيفة وصاحبيه في

---

(١) الدر المختار (٥/٧١٦).

التّوسّل إلى اللّه تعالى بالنّبيّ ﷺ في غير كلمة «بحقّ» وذلك كالتّوسّل بقوله: «بنبيّك» أو «بجاه نبيّك» أو غير ذلك. إلا ما ورد عن أبي حنيفة ـ في رواية أبي يوسف ـ قوله: لا ينبغي لأحد أن يدعو اللّه إلا به».

القول الثّالث في المنع:

١٣ ـ ذهب تقيّ الدّين ابن تيميّة وبعض الحنابلة من المتأخّرين إلى أنّ التّوسّل بذات النّبيّ ﷺ لا يجوز وأمّا التّوسّل بغير الذّات فقد قال ابن تيميّة: ولفظ التّوسّل قد يراد به ثلاثة أمور. أمران متّفق عليهما بين المسلمين:

أحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام وهو التّوسّل بالإيمان به ﷺ وبطاعته.

والثّاني: دعاؤه وشفاعته ﷺ «أي في حال حياته» وهذا أيضاً نافع يتوسّل به من دعا له وشفع فيه باتّفاق المسلمين.

ومن أنكر التّوسّل به بأحد هذين المعنيين فهو كافر مرتدّ يستتاب فإن تاب وإلاّ قتل مرتدّاً. ولكن التّوسّل بالإيمان به وبطاعته هو أصل الدّين وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام للخاصّة والعامّة فمن أنكر هذا المعنى فكفره ظاهر للخاصّة والعامّة.

وأمّا دعاؤه وشفاعته وانتفاع المسلمين بذلك فمن أنكره فهو كافر أيضاً لكن هذا أخفى من الأوّل فمن أنكره عن جهل عرف ذلك فإن أصرّ على إنكاره فهو مرتدّ.

أمّا دعاؤه وشفاعته في الدّنيا فلم ينكره أحد من أهل القبلة وأمّا الشّفاعة يوم القيامة فمذهب أهل السّنّة والجماعة وهم الصّحابة والتّابعون لهم بإحسان وسائر أئمّة المسلمين الأربعة وغيرهم أنّ له شفاعات خاصّة وعامّة.

وأمّا التّوسّل بالنّبيّ ﷺ والتّوجّه به في كلام الصّحابة فيريدون به التّوسّل بدعائه وشفاعته. والتّوسّل به في عرف كثير من المتأخّرين يراد به الإقسام به والسّؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصّالحين ومن يعتقد فيه الصّلاح. وحينئذ فلفظ التّوسّل به يراد به معنيان صحيحان باتّفاق المسلمين ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنّة.

ومن المعنى الجائز قول عمر بن الخطّاب: اللّهمّ إنّا كنّا إذا أجدبنا توسّلنا إليك بنبيّنا فتسقينا وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا» أي: بدعائه وشفاعته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي: القربة إليه بطاعته وطاعة رسوله طاعته. قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ فهذا التّوسّل الأوّل هو أصل الدّين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين. وأمّا التّوسّل بدعائه وشفاعته ـ كما قال عمر ـ فإنّه توسّل بدعائه لا بذاته ولهذا عدلوا عن التّوسّل به (أي بعد وفاته) إلى التّوسّل بعمّه العبّاس ولو كان التّوسّل هو بذاته لكان هذا أولى من التّوسّل بالعبّاس فلمّا عدلوا عن التّوسّل به إلى التّوسّل بالعبّاس علم أنّ ما يفعل في حياته قد تعذّر بموته.

بخلاف التّوسّل الّذي هو الإيمان به والطّاعة له فإنّه مشروع دائماً.

والمعنى الثّالث: التّوسّل به بمعنى الإقسام على اللّه بذاته والسّؤال بذاته فهذا هو الّذي لم يكن الصّحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم وإنّما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمّن ليس قوله حجّة.

ثمّ يقول ابن تيميّة: والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشّافعيّ وأحمد وقد حكي إجماع الصّحابة على ذلك. وقيل: هو مكروه كراهة تنزيه. والأوّل أصحّ. فالإقسام بالنّبيّ ﷺ على اللّه ـ والسّؤال به بمعنى الإقسام ـ هو من هذا الجنس.

ويذهب ابن تيميّة إلى أنّ التّوسّل بلفظ «أسألك بنبيّك محمّد» يجوز إذا كان على تقدير مضاف فيقول في ذلك: فإن قيل: إذا كان التّوسّل بالإيمان به ومحبّته وطاعته على وجهين: تارة يتوسّل بذلك إلى ثواب اللّه وجنّته ـ وهذا أعظم الوسائل ـ وتارة يتوسّل بذلك في الدّعاء ـ كما ذكرتم نظائره ـ فيحمل قول القائل: أسألك بنبيّك محمّد على أنّه أراد: إنّي أسألك بإيماني به وبمحبّته وأتوسّل إليك بإيماني به ومحبّته ونحو ذلك وقد ذكرتم أنّ هذا

جائز بلا نزاع. قيل: من أراد هذا المعنى فهو مصيب في ذلك بلا نزاع وإذا حمل على هذا المعنى لكلام من توسّل بالنّبيّ ﷺ بعد مماته من السّلف كما نقل عن بعض الصّحابة والتّابعين وعن الإمام أحمد وغيره كان هذا حسناً وحينئذ فلا يكون في المسألة نزاع ولكن كثير من العوّام يطلقون هذا اللّفظ ولا يريدون هذا المعنى فهؤلاء الّذين أنكر عليهم من أنكر وهذا كما أنّ الصّحابة كانوا يريدون بالتّوسّل به التّوسّل بدعائه وشفاعته وهذا جائز بلا نزاع.

ثمّ يقول: والّذي قاله أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم من العلماء ـ من أنّه لا يجوز أن يسأل اللّه تعالى بمخلوق لا بحقّ الأنبياء ولا غير ذلك ـ يتضمّن شيئين كما تقدّم:

أحدهما: الإقسام على اللّه سبحانه وتعالى به وهذا منهيّ عنه عند جماهير العلماء كما تقدّم كما ينهى أن يقسم على اللّه بالكعبة والمشاعر باتّفاق الفقهاء.

والثّاني: السّؤال به فهذا يجوّزه طائفة من النّاس ونقل في ذلك آثار عن بعض السّلف وهو موجود في دعاء كثير من النّاس لكن ما روي عن النّبيّ ﷺ في ذلك كلّه ضعيف بل موضوع وليس عنه حديث ثابت قد يظنّ أنّ لهم فيه حجّة إلاّ حديث الأعمى الّذي علّمه أن يقول: **«أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرّحمة»**، وحديث الأعمى لا حجّة لهم فيه فإنّه صريح في أنّه إنّما توسّل بدعاء النّبيّ ﷺ وشفاعته وهو طلب من النّبيّ ﷺ الدّعاء وقد أمره النّبيّ ﷺ أن يقول: «اللّهمّ شفّعه في» ولهذا ردّ اللّه عليه بصره لمّا دعا له النّبيّ ﷺ وكان ذلك يعدّ من آيات النّبيّ ﷺ.

ولو توسّل غيره من العميان الّذين لم يدع لهم النّبيّ ﷺ بالسّؤال به لم تكن حالهم كحاله.

وساغ النّزاع في السّؤال بالأنبياء والصّالحين دون الإقسام بهم لأنّ بين السّؤال والإقسام فرقا فإنّ السّائل متضرّع ذليل يسأل بسبب يناسب الإجابة

والمقسم أعلى من هذا فإنّه طالب مؤكّد طلبه بالقسم والمقسم لا يقسم إلاّ على من يرى أنّه يبرّ قسمه فإبرار القسم خاصّ ببعض العباد وأمّا إجابة السّائلين فعامّ فإنّ اللّه يجيب دعوة المضطرّ ودعوة المظلوم وإن كان كافرا وفي الصّحيح عن النّبيّ ﷺ أنّه قال:

«ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه اللّه بها إحدى ثلاث: إمّا أن تعجّل له دعوته وإمّا أن يدّخرها له في الآخرة مثلها وإمّا أن يصرف عنه من السّوء مثلها قالوا: إذا نكثر قال: اللّه أكثر».

وهذا التّوسّل بالأنبياء بمعنى السّؤال بهم ـ وهو الّذي قال أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم أنّه لا يجوز ـ **ليس في المعروف من مذهب مالك ما يناقض ذلك فمن نقل عن مذهب مالك أنّه جوّز التّوسّل به بمعنى الإقسام أو السّؤال به فليس معه في ذلك نقل عن مالك وأصحابه.** ثمّ يقول: ولم يقل أحد من أهل العلم: إنّه يسأل اللّه تعالى في ذلك لا بنبيّ ولا بغير نبيّ. وكذلك من نقل عن مالك أنّه جوّز سؤال الرّسول أو غيره بعد موتهم أو نقل ذلك عن إمام من أئمّة المسلمين ـ غير مالك ـ كالشّافعيّ وأحمد وغيرهما فقد كذب عليهم.

ثمّ يقرّر ابن تيميّة أنّ هذه المسألة خلافيّة وأنّ التّكفير فيها حرام وإثم.

ويقول بعد ذكر الخلاف في المسألة: ولم يقل أحد: إنّ من قال بالقول الأوّل فقد كفر ولا وجه لتكفيره فإنّ هذه مسألة خفيّة ليست أدلّتها جليّة ظاهرة والكفر إنّما يكون بإنكار ما علم من الدّين بالضّرورة أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها ونحو ذلك.

بل المكفّر بمثل هذه الأمور يستحقّ من غليظ العقوبة والتّعزير ما يستحقّه أمثاله من المفترين على الدّين لا سيّما مع قول النّبيّ ﷺ: «أيّما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما»[1].

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قلت: إن كثيراً من الذين يجيزون التوسل يستشهدون بقوله تعالى: في سورة الإسراء ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ويفسرونه بأنهم: ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به».

ومعنى الوسيلة في الآية: القربة.

وقيل: الدرجة، وهو ما عليه أهل التفسير ومعنى الآية عند الراسخين من أهل التفسير قاطبة: أن الله تعالى لمَّا عاب على المشركين في الآية التي قبلها آلهتهم عندما قال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦] وبين فيهم القصور عن درجة الألوهية أبان لهم نقصاً آخر في آلهتهم لا يستحقون به أن يُعبدوا من دون الله وهو أنهم أي الذين تعبدونهم من دون الله فقراء إلى الله يسعون إليه بالقرب والدرجات والأعمال الصالحة أيهم ينال القرب منه بالعمل الصالح. وهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه؛ فمن كان مفتقراً إلى غيره راجياً رحمته خائفاً من عذابه لا يستحق أن يُعبد من دون الله.

هذا الذي عليه أهل التفسير قاطبة في معنى هذه الآية كما ذكره الطبري في تفسيره (٩٥/٨) والقرطبي كذلك (١٨١/١٠) وابن كثير (٨٦/٥)، والسيوطي (٣٠٦/٥) والشوكاني (٢٣٧/٣) وغيرهم ولم ينقل عنهم خلاف في هذه الآية إلا في سبب نزولها وأصح ما روي في ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود أنها نزلت في أناس كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم أولئك النفر وبقي الإنس على عبادتهم من دون الله وقيل في سبب نزولها أقوال أخرى والمقصود أن الآية ليس فيها دليل على طلب الوسيلة من المخلوق. أمّا قولهم في معنى قوله سبحانه: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] أي: ينظرون أيهم أقرب إلى الله منزلة فيتوسلون به؛ فهذا من أعجب العجب بل ومن أبطل الباطل ولو كان المراد بذلك ما قالوه لكان معنى الآية: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] بزيادة (من) وأهل التأويل على

خلاف ذلك قال القرطبي (١٨١/١٠): (يبتغون: يطلبون من الله الزلفة والقربة، يتضرعون إلى الله تعالى في طلب الجنة وهي الوسيلة أعلمهم الله تعالى أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم). فلهذا لا يجوز لامرئ أن يفسر كلام الله تبعاً لهواه وإنما ينظر لأساطين التفسير ما قالوا.

خاتمة نسأل الله حسنها

إن شرح متن ابن عاشر ليس بالأمر الهين الذي يتسلق درجاته أمثالي، ولكن لما رأيت خلو الشروح من شرح سهل مؤصّل، استعنت بالله وحده، لا أقول في إصابة رد الفروع إلى أصولها، ولكن في تقريب ما أراه صالحاً لأن يكون استدلالاً، وقد أكون أنا المخطئ في ربط بينهما، ولكن حسبي أن جلة من مشايخي الفطاحل قد قرظوا الكتاب ومنهم من قرأه من ألفه إلى يائه، ومنهم من عرضته عليه فاستحسنه وقرظه، وكانت ولله الحمد والمنة تَرِدُني كثيراً من التقاريظ الشفوية والخطية، فأسأل الله القبول والإخلاص في القول والعمل، وأسال كل أخ من أهل العلم أن ينبهني على أي خطإ وقعت فيه، أو يصلحه بشرط التثبت في ذلك، فإن أصبت فمن الله العليّ الكبير، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشّيطان، والله ورسوله بريئان، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم وبارك على جدي وسيدي وقدوتي محمد رسول الله ﷺ وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم التناد.

كان الفراغ من تبييض قسمي العقيدة والتصوف (التزكية) يوم الإثنين ١٤٢٧/١١/٢١ هـ الموافق لـ: ٢٠٠٦/١٢/١١ بعد صلاة العصر بمدينة دوحة الخير بدولة قطر.

للتواصل: ص ب: ١٣٢٤١ الدوحة قطر

هاتف: ٠٠٩٧٤٥٣٦٥٨٤٠ ـ البريد الإلكتروني SAIDMOKHTAR314@gmail.Com

أو: شارع البشير الإبراهيمي عين السخونة ـ سعيدة ـ الجزائر.

الموقع: WWW.MOUMEN-DZ.com

موقع الشيخ مؤمن الجزائري

الفهارس العامة

فهرس الآيات
قسم التصوف

الآية	السورة	الصفحة
أ		
﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾	النصر	١٧٥
﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل﴾	الأنفال	١٧٧
﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾	الحجرات	١٩٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	الأنفال	٢٦١
﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾	الطور	٢٥٨
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	لقمان	٢٦٦
﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾	القمر	٢٩٠
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾	الأحزاب	٢٤٢
﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ﴾	النمل	١٤٩
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟﴾	النساء	٢٤٦
﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾	الكهف	٢١٨
﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾	الأعراف	٢١٧
﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾	الإنسان	٢٦٨
﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾	يوسف	٢٠٢
﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	يوسف	٢٦٤
﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾	القصص	٢١٨
﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾	النساء	١٦٩

الآية	السورة	الصفحة
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	المائدة	١٧٧
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾	فاطر	١٧٩
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾	فاطر	٢٥٦
﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	النحل	١٩٨
﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	يوسف	١٧٧
﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾	المؤمنون	٢٦٦
﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾	الصافات	٢٠٢
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾	الفاتحة	٢٤٩
ب		
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾	الأعلى	٢٧٠
﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾	الأنبياء	٢٠٢
ت		
﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾	الأنفال	٢٧٠
﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ﴾	القصص	٢٢٠
ث		
﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾	البقرة	١٧٥
﴿ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾	الأعراف	٢٦٨
خ		
﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	ص	٢٠٢
ذ		
﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾	الحديد	٢٦٧

الآية	السورة	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ﴾	آل عمران	٢٤٢
ر		
﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾	الإسراء	٢٨٨
﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾	القصص	١٧٢
﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	نوح	١٧٢
﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾	صٓ	١٧٢
﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾	الحجر	١٨٤
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ﴾	الأعراف	١٧٢
﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾	البينة	٢٥٧
س		
﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾	المائدة	٢٠٢
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾	القلم	٢٧٠
﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾	إبراهيم	٢٦٥
ف		
﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾	محمد	٢٨٩
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟﴾	الجمعة	٢٨٠
﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾	المدثر	٢٦٠
﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	النساء	١٥٢
﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾	ص	٢١٧
﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	النحل	٢١١
﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾	ص	١٧٢
﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾	محمد	١٧٢
﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾	القصص	٢١٨
﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾	التوبة	٢٦٨

الآية	السورة	الصفحة
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾	يوسف	٢٦٤
﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾	نوح	١٧٤
﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾	الأنفال	٢٨٠
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	النساء	١٤٩
﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾	النحل	٢٨٥
﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	الأنعام	١٩٨
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾	فاطر	١٦٥
ق		
﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	الكهف	١٧٩
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾	المؤمنون	٢٠٨
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾	الأنفال	١٧١
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾	النور	١٧٩
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن﴾	الزمر	٢٦٢
ك		
﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾	الذاريات	١٧٥
﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾	القيامة	٢٢١
ل		
﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾	النساء	٢٠١
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن﴾	البقرة	٢٣٣
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن﴾	الأحزاب	٢٤١
﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾	آل عمران	١٥٠
﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾	التوبة	١٩٤

الآية	السورة	الصفحة
﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾	الأحزاب	٢٣٢
م		
﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾	النجم	٢٥٣
﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾	ص	٢١٧
﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾	النساء	٢٦٧
هـ		
﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾	الأعراف	٢٥٧
﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾	المائدة	٢٨٩
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا﴾	الجمعة	١٥٠
و		
﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾	المائدة	٢٩٥
﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾	الشعراء	٢٨٩
﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾	الكهف	٢١٨
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾	إبراهيم	٢٦٨
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا﴾	الأنعام	٢٥٢
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾	الأعراف	٢٤١
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ﴾	الأنعام	١٩٧
﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾	القصص	١٨٨
﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾	النساء	٢١٣
﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾	محمد	١٧٢
﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	المزمل	١٧٣
﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾	الأنفال	٢٦٥
﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾	الأنفال	٢٨٠
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾	الضحى	٢٦٩

الآية	السورة	الصفحة
﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ﴾	الكهف	١٧٩
﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	هود	١٧٢
﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾		٢٣٣
﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾	آل عمران	٢٦٦
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ﴾	الرعد	٢٦٢
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾	الزمر	٢٨٩
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	العنكبوت	٢٥٠
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾	الفرقان	١٩٦
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾	المؤمنون	٢٧٠
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾	المؤمنون	٢١٩
﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	آل عمران	٢٦٦
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾	يونس	٢٩٠
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾	البقرة	٢٦٦
﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾	البقرة	١٧٦
﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	النور	١٦٧
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾	السجدة	٢٥١
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟﴾	السجدة	٢٦٦
﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	آل عمران	٢٥٧
﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾	التوبة	٢٦٩
﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	آل عمران	٢٦٨
﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	البقرة	١٧٩
﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾	الرعد	٢٧٠
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾	يونس	٢٧٦
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾	سبأ	٢٦٨

الآية	السورة	الصفحة
﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾	الأنعام	٢٦٧
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	الأنعام	٢٥٢
﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾	النحل	٢٦٦
﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾	الأنعام	١٩٨
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾	الكهف	٢٤٧
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾	الإسراء	٢١١
﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ﴾	النحل	١٩٩
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟﴾	المائدة	١٥٢
﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾	الحجرات	١٨٩
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾	الأعراف	٢٩٧
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾	النساء	٢٩٤
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ . . .﴾	النساء	١٤٩
﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾	النساء	١٧٩
﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾	النحل	٢٨٥
﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾	الحديد	٢٢١
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	الأنفال	١٧٣
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ﴾	الأنعام	١٩٨
﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾	الفلق	٢١٥
﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	الحجرات	١٦٨
﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾	الفرقان	١٦٩
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾	البقرة	٢٨٦
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾	البقرة	١٨٢
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	لقمان	١٨٦
﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾	التغابن	٢٨٣
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾	الطلاق	١٧٧
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾	النساء	٢٨٩

الآية	السورة	الصفحة
﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾	الزخرف	٢٤٥
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾	الأنبياء	٢٣٤
﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ﴾	هود	١٧٤
﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾	التوبة	٢٦٨
﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾	الأنبياء	١٦١
﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾	الطلاق	١٧٧
﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾	المائدة	٢٦٨
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾	المائدة	٢٨٦

ي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾	الأحزاب	٢٤١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾	التوبة	٢٨٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾	آل عمران	٢٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾	التحريم	١٦٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾	النساء	٢٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾	البقرة	٢٠٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾	المنافقون	٢٤٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾	الصف	١٩٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾	البقرة	٢٠٢

فهرس الأحاديث
قسم التصوف

طرف الحديث	الصفحة

أ

«اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ٢٢٢
«اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة» ٢٠٣
«أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل إيمان لا ريب فيه» ٢٥٢
«إذا أيقظ الرجل أهله من الليل» ٢٤٢
«إذا زنا أحدكم خرج منه الإيمان وكان عليه كالظلة» ٢١٠
«إذا مرض العبد أو سافر كُتب له من الأجر» ٢٣٩
«أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب: الصمت» ٢٧٧
«استعن بالله ولا تعجز» ٢٤٩
«أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» ١٧٦
«اضمنوا لي ستاً أَتَقَبَّلُ لَكُمْ الْجنَّةَ: إِذَا حَدَّث» ٢٠٩
«اضْمَنُوا لِي سِتّاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ» ١٩٩
«اعقلها وتوكل» ٢٨١
«اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد ووسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك» ٢٩٥
«أفلا أكون عبداً شكوراً» ٢٦٨
«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي» ٢١٤

طرف الحديث	الصفحة
«ألا أدلكم أو أخبركم بخير أعمالكم وأرفعها»	٢٤٨
«أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ»	١٩٧
«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأرضاها عند مليككم»	٢٤٣
«ألاَ إِنَّ الْكَذِبَ يُسَوِّدُ الْوَجْه»	٢٠٠
«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله»	٢١٢، ٢٣٣
«ألا والله مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَيُّها النَّاسُ إِلاَّ مَا يُخْرِجُ الله»	٢٢٢
«أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك»	٢٥٤
«أما بعد أيها الناس، إنه قد دنا مني خلوف من بين أظهركم»	٢٣٤
«أنا أغنى الشركاء»	٢١٣
«أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه»	٢٤٤
«أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه»	٢٤٤
«أنّ جبريل وميكائيل جاءاه قال»	٢١٠
«إن رجلاً حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصى أهله»	٢٥٨
«إن الإيمان سربال يسربله الله من يشاء فإذا زنى»	٢٠٩
«إن ربكم رحيم من همَّ بحسنة فلم يعلمها»	٢٣٣
«أنّ رسول الله ﷺ كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره»	٢٥٨
«أن رسول الله ﷺ كان إذا تغيّر الهواء وهبت ريح»	٢٥٦
«إن روح القدس نفث في روعي»	٢٠٥
«إنَّ الشَّيْطَان قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لاَ أَبْرَح أُغْوِي»	١٧٣
«إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة»	٢٩٠
«إنّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله»	١٨٨
«إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجّلوا»	٢١٣
«إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة يقول»	١٧٣
«إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَة وَفِتْنَة أُمَّتِي الْمَالُ»	٢٢٢
«إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة»	٢٤٣
«إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات»	٢٤٥
«إن الله تجاوز لأمتي عن ما توسوس به صدورها»	١٨٨

طرف الحديث	الصفحة
«إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته الحرب»	٢٣٦
«إنّ الله طيّب لا يقبل إلاّ طيّباً وإنّ الله»	٢٠٦
«إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق »	٢٦٣
«إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم»	١٧٨
«إن الله لا ينظر صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»	٢١٢
«إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها»	٢٦٩
«إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»	١٧٠
«إنّ ممَّا أَخافُ عَلَيْكُمْ مَنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ»	٢٢٢
«إنه ليغانَ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»	١٧٣
«إنهما يعذّبان وما يعذبان في كبير»	١٩٤
«أوقد وجدتموه»	٢٣٥
«أيّ الناس أفضل؟ قال: كلّ مخموم القلب صدوق اللّسان»	١٨٠
«أيكم يحب أنّ هذا له بدرهم»	٢٧١
«أيّما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما»	٣٠١
«إيّاكم والظَّنَّ فإنَّ الظنّ»	٢١٤
ب	
«بينما رجل يتبختر في بردين وقد»	٢١٨
ت	
«تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن»	٢٠٦
«التقوى هاهنا التقوى هاهنا ويشير إلى صدره»	١٧٨
ح	
«حرم على النار من شهد أن لا إله إلا الله موقناً بها من قلبه»	٢٥٣
«حسبك من صفية قصرها»	١٨٩
«الحلال بيّن والحرام بيّن»	٢٠٣

طرف الحديث	الصفحة

خ

«خياركم من ذكَّركم بالله رؤيته» ٢٢٨

د

«دبّ فيكم داء الأمم قبلكم» ٢١٤

«دَعْ مَا يريبُك إلى مَا لاَ يَرِيبُك» ١٩٩

ذ

«ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام دينًا» ٢٨٣

«ذكرك أخاك بما يكره» ١٩٠

ر

«رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم» ١٧٦

س

«سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك» ١٧٥

«سبقك بها عكاشة» ٢٧٩

«سيّد الاستغفار أن يقول العبد: اللّهمّ أنت ربي لا إله إلا أنت» ١٧٠

«سيروا هذا جمدان سبق المفردون» ٢٤٢

ش

«شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره» ٢٩٦

«الشيطان من الرجل في ثلاثة» ١٨٢

ص

«الصدق طمأنينة والكذب ريبة» ٢٩٠

«صدقك وهو كذوب» ١٥٠

طرف الحديث	الصفحة

ط

«طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً» ١٧٥

ع

«عَلَيْكُمْ بالصِّدق فإنَّهُ مَعَ الْبِرّ وَهُمَا في الْجَنَّةَ» ٢٠٠

«عليكم من العمل ما تطيقون فإن الله لا يملّ حتى تملّوا» ١٥٩

ق

«قالَ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارَ وَعَبْدُ الدّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ» ٢٢٢

«قال الله تعالى يا ابن آدم: إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك» ٢٦٣

«قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه» ٢٠٧

ك

«كان أحبّ الثياب إلى رسول الله ﷺ أن يلبس الحبرة» ١٥٧

«كان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم» ٢٨١

«كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» ٢٤٢

«كل لحم نبت من سحت» ٢٠٨

ل

«لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون» ٢٥٥

«لا أقول: ألَمَ حرف ولكن: ألف حرف ولام حرف وميم حرف» ٢٣٩

«لا تقل بلسانك إلا معروفاً ولا تبسط يدك إلاّ إلى الخير» ١٨٩

«لا تقل تعس الشيطان» ٢٤٥

«لا تكذبوا عليَّ فإنّه من كذب عليَّ فليلج النّار» ١٩٩

«لا حتى أكون أحب إليك من نفسك» ٢٨٦

«لا يؤمن عبد حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده» ٢٨٦

«لا، يا بنت الصديق» ٢١٩

طرف الحديث	الصفحة
«لا يحلّ لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه»	٢١١
«لا يدخل الجنّة إنسان في قلبه مثقال حبّة من خردل من كبر»	١٨٠
«لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ فَيُنْكَتُ»	٢٠٠
«لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل»	٢٤٣
«لا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»	٢١٠
«لاَ يَصْلُحُ الْكَذْبُ إلاَّ في ثَلاثٍ»	٢٠١
«لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»	٢٠٦
«لا يلج النار أحد يبكي من خشية الله»	٢٥٨
«لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً»	٢٦٢
«أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار»	٢٦٣
«لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج»	١٥٩
«لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد»	٢٩٥
«الله أكبر مائة مرة فهو»	٢٤٧
«اللهم إنا نستعينك ونستغفرك»	٢٤٨
«اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ السّائلين عليك وبحقّ ممشاي إليك»	٢٩٧
«اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال وصدق»	٢٧٧
«اللّهمّ إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرّحمة»	٢٩٥
«اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك»	٢٧٧
«لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم»	٢٨١
«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»	٢٥٥
«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً»	٢٧٢
«ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد إلاَّ أكل الربا»	٢٠٤
م	
«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»	٢٨١
«ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه»	٢٧٢
«ما ذئبان جائعان أرسلا في زَرِيبَة»	٢٢٠، ٢٠٧

طرف الحديث	الصفحة
«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»	١٨٨
«من أذلّ عنده مؤمن وهو يقدر أن ينصره»	١٩٠
«من ألقى جلباب الحياء عن وجهه»	١٩٣
«من جمع مالاً ثم تصدق منه فلا أجر له»	٢٠٦
«من حمى مؤمناً من منافق يعيبه بعث الله ملكاً»	١٩٠
«من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله»	٢٦٢
«من سرته حسنته»	٢١٩
«من شهد أن لا إله إلا الله موقناً بها من قلبه دخل الجنة»	٢٥٣
«من قال حين يسمع النداء رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً»	٢٨٣
«من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّتْ خطاياه»	٢٤٧
«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له»	٢٤٨
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً»	١٨٨
«من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»	١٩٩
«من لزم الاستغفار جعل الله له من كلِّ ضيق مخرجاً»	١٧٤
«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله»	١٩٨
«من مات مدمن الخمر سقاه الله»	٢١٠
«من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»	١٨٨
ن	
«الندم توبة»	١٦٨
«النّظر سهم من سهام إبليس مسمومة»	١٨٢
و	
«واعلم أن اللقمة الحرام إذا وقعت»	٢٠٧
«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين»	١٦٧، ١٧٣
«والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية»	٢٥٦
«وجعل رزقي تحت ظل رمحي»	٢٨٠
«وكان يعجبه الريح الطيبة»	١٥٧

طرف الحديث	الصفحة
«وما أعطا الله أحداً من عطاء أوسع من الصبر»	٢٦٥
«ومثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربَّه»	٢٤٦

ي

«يأتي على النَّاس زمان لا يبالي العبد بحلال»	٢٠٤
«يا ابن آدم إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك»	١٦٩
«يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك»	١٧٤
«يا سعد أطب مطعمك تستجبْ دعوتُك»	٢٠٨
«يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً»	١٧٣
«يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك»	٢٤٩
«يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنَّ»	٢١٠
«يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ، وَعَصَوكَ، وَكَذَّبُوكَ، وَعقَابُكَ إِيَّاهُمْ»	٢٣٤

فهرس الموضوعات
قسم التصوف

الموضوع	الصفحة
مقدمة بين يدي كتاب التزكية (التصوف)	١٤٩
موقف العلماء من التصوف	١٥١
كتاب مبادئ التصوف وهوادي التعرف	١٥٢
الحديث عن التصوف ونشأته	١٥٤
اشتقاق لفظ التصوف	١٥٥
نبذة تاريخية عن الحركة الصوفية	١٥٩
ظهور العُبَّاد	١٦٠
بداية الانحراف	١٦١
طلائع الصوفية	١٦٢
تعريف التصوف اصطلاحاً	١٦٥
التوبة ـ تعريفها ـ	١٦٧
شروط التوبة	١٦٨
موضوع التوبة	١٦٩
أقوال العلماء في التوبة النصوح	١٧٠
هل تصح التوبة من بعض الذنوب أم لا؟	١٧١
هل يجب الندم في كل وقت على من تذكر ذنبه؟	١٧١
هل توبة الكافر نفس إسلامه؟	١٧١

الموضوع	الصفحة

الاستغفار ١٧٢
من فوائد الاستغفار ١٧٤
التقوى ١٧٦
التقوى لغة واصطلاحاً ١٧٧
كل خير علقه رب العزة بالتقوى ١٧٧
لماذا التقوى؟ ١٧٨
كيف يتقي العبد ربه ١٧٩
درجات التقوى ١٨٠
البواعث على التقوى ١٨٠
غض البصر ١٨١
حكايتان تبينان عاقبة المخالفة في عدم الغض ١٨٣
سؤال وجواب ظريف ١٨٤
كف السمع عن المآثم ١٨٥
الغناء وخطره على القلوب ١٨٥
قول يزيد بن الوليد في التحذير من سماع الغناء ١٨٦
حفظ اللسان ١٨٨
أنواع الكلام ١٨٨
آفات اللسان ـ الغيبة ١٨٩
أقبح أنواع الغيبة ١٩٠
المستمع شريك المغتاب ١٩٠
الأسباب الباعثة على الغيبة ١٩١
الغيبة باسم الجرح والتعديل ١٩٢
المواضع التي تباح فيها الغيبة ١٩٣
النميمة ١٩٤
الإفساد بين المؤمنين ١٩٤
سبب محاسبة العباد على الدماء يوم القيامة وكلام نفيس لابن رجب ١٩٥
قصة عجيبة في بيان أثر الغيبة ١٩٥

الموضوع	الصفحة

ما يلزم أن يفعل من وصلته نميمة ١٩٦
الزور ـ معناه ـ ١٩٦
الكذب ١٩٧
الأحوال التي يباح فيها الكذب ٢٠٠
مثالب الكذب ٢٠١
اجتناب أكل الحرام، والخوض في الشبهات ٢٠٢
المكروه عقبة بين العبد والحرام ٢٠٣
تساهل الناس بكسب المال ٢٠٤
من آثار أكل الحرام ٢٠٦
حفظ الفروج ٢٠٨
خطر الزنا على الفرد والمجتمع ٢١٠
لا يحل لمؤمن أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ٢١١
تطهير القلب من أدران الشرك والأمراض المفسدة له ٢١٢
الرياء ٢١٣
أقسام العمل لغير الله ودخول الرياء على الإخلاص ٢١٣
الحسد ٢١٤
العقوبات العاجلة للحاسد ٢١٥
أبيات في ذم الحسد وأهله ٢١٥
قصة عجيبة في عدل الحسد ٢١٦
العجب ٢١٧
حب الرئاسة والتطلع لها ٢٢٠
أقسام الحرص على الشرف ٢٢٠
حب العاجلة ونسيان الآجلة ٢٢١
المسلك الوسط في طلب المال ٢٢٢
حرص السلف على جمع المال الحلال، خشية استحواذ الظلمة عليهم ٢٢٤
مصاحبة العلماء العاملين العارفين بالله تعالى ٢٢٥
سؤال من الإمام الشاطبي صاحب الموافقات لشيخ الصوفية في زمانه ٢٢٥

الموضوع	الصفحة

محمد بن عباد النفزي وجوابه أن شيخ التربية ليس بلازم لكل سالك ٢٢٦
لزوم التتلمذ على شيوخ التعليم لكل سالك ٢٢٧
رؤية الصالحين تذكر بالله عز وجل ٢٢٨
أحوال بعض السلف إذا رأى من فيه صلاح ظاهر ٢٢٩
أبيات جميلة في مدح أرباب التجلي ٢٢٩
محاسبة النفس ٢٣٠
أنواع المحاسبة ٢٣١
فوائد محاسبة النفس ٢٣٢
إثم أمراض القلوب وخطرات النفس ٢٣٣
وزن الخواطر بميزان الشرع ٢٣٤
رأس المال المحافظة على الفرائض ٢٣٦
النوافل جوابر للفرائض ٢٣٧
أعظم الفرائض في الإسلام ٢٣٨
أفضل النوافل ٢٣٩
الذكر وآدابه وأنواعه ٢٤٠
حضور الملائكة مجالس الذكر ٢٤٣
الاستعانة بالله في كل الأمور ٢٤٨
المجاهدة ٢٥٠
نماذج من مجاهدة السلف لأنفسهم ٢٥٠
مقامات اليقين ٢٥١
يقين الصحابة والسلف ٢٥٢
مقام الخوف من الله تعالى ٢٥٣
فضيلة الخوف ٢٥٧
الأخبار في الخوف ٢٥٨
مقام الرجاء ٢٦١
مقاما الصبر والشكر ٢٦٣
معنى الصبر وحقيقته ٢٦٤

الموضوع	الصفحة

من فضائل الصبر ٢٦٥
مقام الشكر ٢٦٧
مقام الزهد ٢٧١
معنى الزهد واختلاف عبارات السلف في تحديده ٢٧١
درجات الزهد ٢٧٤
مقام التوكل ٢٧٥
تعريفه لغة واصطلاحاً ٢٧٥
تعاريف السلف للتوكل ٢٧٥
عوائق التوكل ٢٧٩
قوادح التوكل ٢٧٩
التواكل ضد التوكل ٢٨١
نماذج عملية في التوكل واتخاذ الأسباب ٢٨٢
مقام الرضا بقضاء الله عز وجل ٢٨٢
الفرق بين الرضا والصبر ٢٨٣
مقام المحبة ٢٨٥
مقام الصدق ٢٨٨
منزلة الصدق ٢٨٨
مراتب الصدق ٢٨٩
الصديق أبلغ من الصدوق والصدوق أبلغ... ..... ٢٨٩
من علامات الصدق ٢٩٠
كلمات في حقيقة الصدق ٢٩١
خاتمة الناظم ٢٩٢
حكم التوسل بجاه النبي ﷺ وأقوال المذاهب في ذلك ٢٩٣
القول الأول: القول بالجواز ٢٩٣
القول الثاني: في حكم التوسل به بعد وفاته ٢٩٧
القول الثالث: المنع ٢٩٨
موقف ابن تيمية من التوسل وتعزير من كَفَّر متوسلاً بجاه النبي ﷺ ٢٩٨

الموضوع	الصفحة

وقفة مع آية ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ ٢٩٩
تفسير أهل التفسير قاطبة يبين مدى مخالفة أهل الأهواء للمفسرين ٣٠٢
خاتمة نسأل الله حسنها ٣٠٥
الفهارس العامة ٣٠٧
فهرس الآيات ٣٠٩
فهرس الأحاديث ٣١٧
فهرس الموضوعات ٣٢٥

متن ابن عاشر

العقيدة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

يَقُولُ عَبْدُ الْوَاحِد ابنُ عَاشِرِ ... مُبْتَدِئاً بِاسْمِ الإِلَهِ الْقَادِرِ
أَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَنَا ... مِنَ الْعُلُومِ مَا بِهِ كَلَّفَنَا
صَلَّى وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدِ ... وَآلِه وَصَحْبِهِ وَالْمُقْتَدِي
وَبَعْدُ فَالْعَونُ مِنْ اللهِ الْمَجِيْدْ ... فِي نَظْمِ أَبْيَاتٍ لِلأُمِّيِّ تُفِيدْ
فِي عَقْدِ الأَشْعَرِي وفِقْهِ مَالِكِ ... وَفِي طَرِيقَةِ الْجُنَيْدِ السَّالِكِ
وَحُكْمُنا الْعَقْلِي قَضِيَّةٌ بِلاَ ... وَقْفٍ عَلَى عَادَةٍ أَوْ وضْعِ جَلاَ
أَقْسامُ مُقْتَضاهُ بِالْحَصْرِ تُمازْ ... وهِيَ الْوجُوبُ الاستِحالَةُ الْجَوازْ
فَوَاجِبٌ لاَ يَقْبَلُ النَّفْيَ بِحالْ ... ومَا أَبَى الثُّبُوتَ عَقْلاً الْمُحَالْ
وجَائِزاً مَاقَبِلَ الأَمْرَيْنِ سِمْ ... لِلضَّرُورِيْ والنَّظَرِي كُلٌّ قُسِمْ
أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ كُلِّفَا ... مُمَكِّناً مِنْ نَظَرٍ أَنْ يَعْرِفَا
اللهَ وَالرُّسُلَ بِالصِّفَاتِ ... مِمَّا عَلَيْهِ نَصَبَ الآيَاتِ
وكلُّ تكْليفٍ بِشرْطِ الْعَقْل ... مَعَ الْبُلُوغِ بِدمٍ أَوْ حَمْلِ
أَوْبِمَنِيٍّ أو بِإِنْبَاتِ الشَّعَرْ ... أَوْ بِثَمانِ عَشْرَةٍ حَوْلاً ظَهَرْ
يجِبُ للهِ الْوُجُودُ وَالْقِدَمْ ... كذَا الْبَقَاء وَالْغِنَى الْمُطْلَقُ عَمْ

وَخُلْفُهُ لِخَلْقِهِ بِلاَ مِثَالْ ... وَوَحْدَةُ الذَّاتِ وَوَصْفٍ وَالْفِعَالْ
وَقُدْرَةٌ إِرَادَةٌ عِلْمٌ حَيَاةْ ... سَمْعٌ كَلاَمٌ بَصَرٌ ذِي وَاجِبَاتْ
وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ هَذِهِ الصِّفَاتْ ... العَدمُ والْحُدُوثُ ذَا لِلْحادِثَاتِ
كَذَاَ الْفَنَا وَالاِفْتِقَارُ عُدَّه ... وَأَنْ يُمَاثِلَ وَنَفْيُ الْوحْدَهْ
عَجْزٌ كَرَاهَةٌ وَجَهْلٌ ومَمَاْت ... وَصَمَمٌ وَبَكَمٌ عَمًى صُمات
يَجُوزُ فِي حَقِّهِ فِعْلُ الْمُمْكِنات ... بِأَسْرِهَا وَتَرْكُهَا فِي الْعَدَمَاتْ
وُجُودُهُ لَهُ دَلِيلٌ قَاطِعْ ... حَاجَةُ كُلِّ مُحدِثٍ لِلصَّانِعْ
لَوْ حَدَثَتْ لِنَفْسِهَا الأَكْوَانُ ... لاَجْتَمَعَ التَّساوي وَالرُّجْحَانُ
وَذَا مَحَالٌ وَحُدُوثُ العَالَم ... مِنْ حَدَثِ الأَعْرَاضِ مَعْ تَلاَزُمِ
لَوْ لَمْ يَكُ الْقِدَمُ وَصْفَهُ لَزِمَ ... حُدُوثُهُ دَوْرٌ تَسَلْسُلٌ حُتِمْ
لَوْ أَمْكنَ الْفَنَاءُ لاَنْتَفَى الْقِدَم ... لَوْ مَاثَلَ الْخَلْقَ حُدُوثُهُ انْحَتَمْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ وَصْفُ الْغِنَى له افْتَقَرْ ... لَوْ لَمْ يَكُنْ بِوَاحِدٍ لَمَا قَدَرْ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّاً مُرِيداً عَالِما ... وَقَادِراً لَمَا رَأَيْتَ عَالَماً
وَالتَّالِ فِي السِّتِّ الْقَضايَا بَاطِل ... قَطْعاً مُقَدَّمٌ إِذاً مُمَاثِلُ
وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْكَلاَمْ ... بِالنَّقْلِ مَعْ كَمَالِهِ تُرَامْ
لَوْ اسْتَحَالَ مُمْكِنٌ، أَوْ وَجَبَا ... قَلْبَ الْحَقَائِقِ لُزُوماً أَوْجَبَا
يَجِبُ لِلرُّسْلِ الْكِرامِ الصِّدْقُ ... أَمَانَةٌ تَبْلِيغُهُمْ يَحِقُّ
مُحَالُ الْكَذِبُ وَالْمَنْهِيُّ ... كَعَدَمِ التَّبْلِيغِ يا ذَكِيّ
يَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ كُلُّ عَرَضْ ... لَيْسَ مُؤَدِّياً لِنَقْصٍ كالْمَرَضْ
لَوْ لَمْ يَكُونُوا صَادِقِينَ لَلَزِمْ ... أَنْ يَكْذِبَ الإِلَهُ فِي تَصْدِيقِهِمْ
إِذْ مُعْجِزَاتُهُمْ كَقَوْلِهِ وَبَرْ ... صَدَقَ هَذَا الْعَبْدُ فِي كُلِّ خَبَرْ
لَوِ انْتَفَى التَّبْلِيغُ أَو خَانُوا حُتِمْ ... أَنْ يُقْلَبَ الْمَنْهِيُّ طَاعَةً لَهُمْ
جَوَازُ الأَعْرَاضِ عليهِمْ حُجَّتُهْ ... وُقُوعُها بِهِمْ تَسَلِ حِكْمَتُهْ
وَقَوْل لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ... مُحَمَّدٌ أَرْسَلَهُ الإِلَهُ
يَجْمَعُ كُلَّ هَذِهِ الْمَعانِي ... كَانَتْ لِذَا عَلاَمَةَ الإِيمان

وَهِـيَ أَفْـضَـلُ وُجُـوهِ الـذِّكْـرِ ... فَاشْغَلْ بِها الْعُمْر تَفُزْ بِالذُّخْر
فَـضْـلٌ وَطَـاعَـةُ الْـجَـوارِحِ الْـجَـمِيعْ ... قَـوْلاً وَفِـعْـلاً هُـو الاسْـلامُ الـرَّفِـيعْ
قَـوَاعِـدُ الْإِسْـلَامِ خَـمْـسٌ وَاجِبَـات ... وَهْـيَ الـشَّـهـادَتَـانِ شَـرْطُ البَـاقِـيـاتِ
ثُـمَّ الـصَّـلاةُ والـزَّكـاةُ فِـي الْـقِـطِـاعْ ... والـصَّـوْمُ والـحَجُّ عَـلَى مَنِ اسْتَطاعْ
الإِيـمـانُ جَـزْمٌ بِـالإِلـهِ والْـكُـتُـبْ ... والـرُّسـلِ والأَمْـلاك مَـعَ بَـعْـث قَـرُبْ
وقَـــدَرٌ كَـــذَا صِـــرَاطٌ مِـــيـــزانْ ... حَـوْضُ الـنَّـبـيِّ جَـنَّـةٌ نـيـرانْ
وأَمَّـا الإِحـسـانُ فَـقـالَ مَـنْ درَاهْ ... أَنْ تَـعْـبـدَ الله كَـأَنَّـكَ تـرَاهْ
إِنْ لَـمْ تَـكُـنْ تـرَاهُ إِنَّـهُ يَـرَاكْ ... والدِّينُ ذِي الثَّلاثُ خُذْ أَقوَى عرَاكْ

التصوف

وَتَـوْبَـةٌ مِـنْ كُـلِّ ذَنْـبٍ يُـجـتَـرَمْ ... تَـجِـبُ فَـوْراً مُـطْـلَـقـاً وهْـيَ الـنَّـدَمْ
بِـشَـرْطِ الاِقْـلاَعِ ونَـفْـيِ الاِصْـرَارْ ... ولـيَـتـلاَفَ مُـمْـكِـنـاً ذَا اسْـتِـغْـفـارْ
وحَـاصِـلُ الـتَّـقْـوَى اجْـتِـنَـابٌ وَامْـتِـثَـالْ ... فـي ظـاهِـرٍ وَبـاطِـنٍ بِـذَا تُـنَـالْ
فَـجَـاءَتِ الأَقْـسـامُ حـقّـاً أَرْبَـعَـهْ ... وَهْـيَ لِـلـسَّـالِـكِ سُـبْـلُ الـمَـنْـفَـعَـهْ
يَـغُـضُّ عَـيـنَـهُ عَـنِ الـمـحـارِمِ ... يَـكُـفُّ سَـمْـعَـهُ عَـنِ الْـمَـآثِـمِ
كَـغِـيـبَـة نَـمِـيـمـةٍ زُورٍ كَـذِبْ ... لِـسَـانُـهُ أَحْـرى بِـتَـرْكِ مَـا جُـلِـبَ
يَـحْـفَـظُ بَـطْـنَـهُ مِـنَ الـحـرَامِ ... يَـتْـرُكُ مَـا شُـبِّـهَ بِـاهـتِـمـامِ
يَـحْـفَـظُ فَـرْجَـهُ وَيَـتَّـقِـي الـشَّـهِـيـذْ ... فِي البَطْشِ والسَّعْي لِمَمْنوع يريد
وَيُـوقِـفُ الأُمُـورَ حَـتَّـى يَـعْـلَـمَـا ... مَـا الله فِـيـهِـنَّ بِـهِ قَـدْ حَـكَـمَـا
يُـطَـهِّـرُ الْـقَـلْـبَ مِـنَ الـرِّيـاءِ ... وَحَـسَـدٍ عُـجْـبٍ وكُـلِّ داءِ
يُـطَّـهِـرُ الْـقَـلْـبَ مِـنَ الـرِّيـاءِ ... وَحَـسَـدٍ عُـجْـبٍ وكُـلِّ داءِ
وَاعْـلَـمْ بِـأَنَّ أَصْـلَ ذِي الآفـاتِ ... حُـبُّ الـرِّيـاسَـةِ وَطَـرْحُ الآتِـي

رَأْسُ الخَطَايا هُوَ حُبُّ الْعاجِلَهْ ... لَيْسَ الدَّوَا إلاّ في الاِضْطِرَارِ لَهْ
يَصْحَبُ شَيْخاً عَارِفَ المَسالِكْ ... يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهالِكْ
يُذَكِّرُهُ اللهَ إِذَا رَآهُ ... وَيُوصِلُ الْعَبْدَ إِلى مَولاهُ
يُحاسِبُ النَّفْسَ عَلى الأَنْفاسِ ... وَيَزِنُ الْخَاطِرَ بِالْقِسْطاسِ
وَيَحْفَظُ الْمَفْرُوضَ رَأْسَ المالِ ... والنَّفْلَ رِبْحَهُ يُوَالِي
وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ بِصَفْوِ لُبِّهِ ... وَالْعَونُ فِي جَمِيعِ ذَا بِرَبِّهِ
يجاهد النَّفسَ لرَبِّ العالمينْ ... وَيَتَحلَّى بِمَقَامَاتِ اليَقِينْ
خَوْفٌ رَجَا شُكْرٌ وَصَبْرٌ تَوْبَهْ ... زُهْدٌ تَوَكُّلٌ رِضاً مَحَبَّهْ
يَصْدُقُ شاهِدَهُ فِي الْمُعَامَلَهْ ... يَرْضَى بِمَا قَدَّرَهُ الإِلَهُ لَهْ
يَصِيرُ عِنْدَ ذَاكَ عَارِفاً بِهِ ... حُرّاً وَغَيْرُهُ خلاَ مِنْ قَلْبِهِ
فَحَبَّهُ الإِلهُ وَاصْطَفَاهُ ... لِحَضْرَةِ الْقُدُّوسِ واجتَبَاهُ
ذَا الْقَدْرُ نَظْماً لا يَفي بالغايه ... وَفي الّذي ذَكَرْتُهُ كِفَايهْ
أَبْيَاتُهُ أَرْبَعَةَ عَشْرَة تَصِلْ ... مَعَ ثلاثمائة عَدَّ الرُّسُلْ
سَمَّيْتُهُ بِالْمُرْشِدِ الْمُعِينِ ... عَلَى الضَّرورِيِّ مِنْ عُلُومِ الدِّينِ